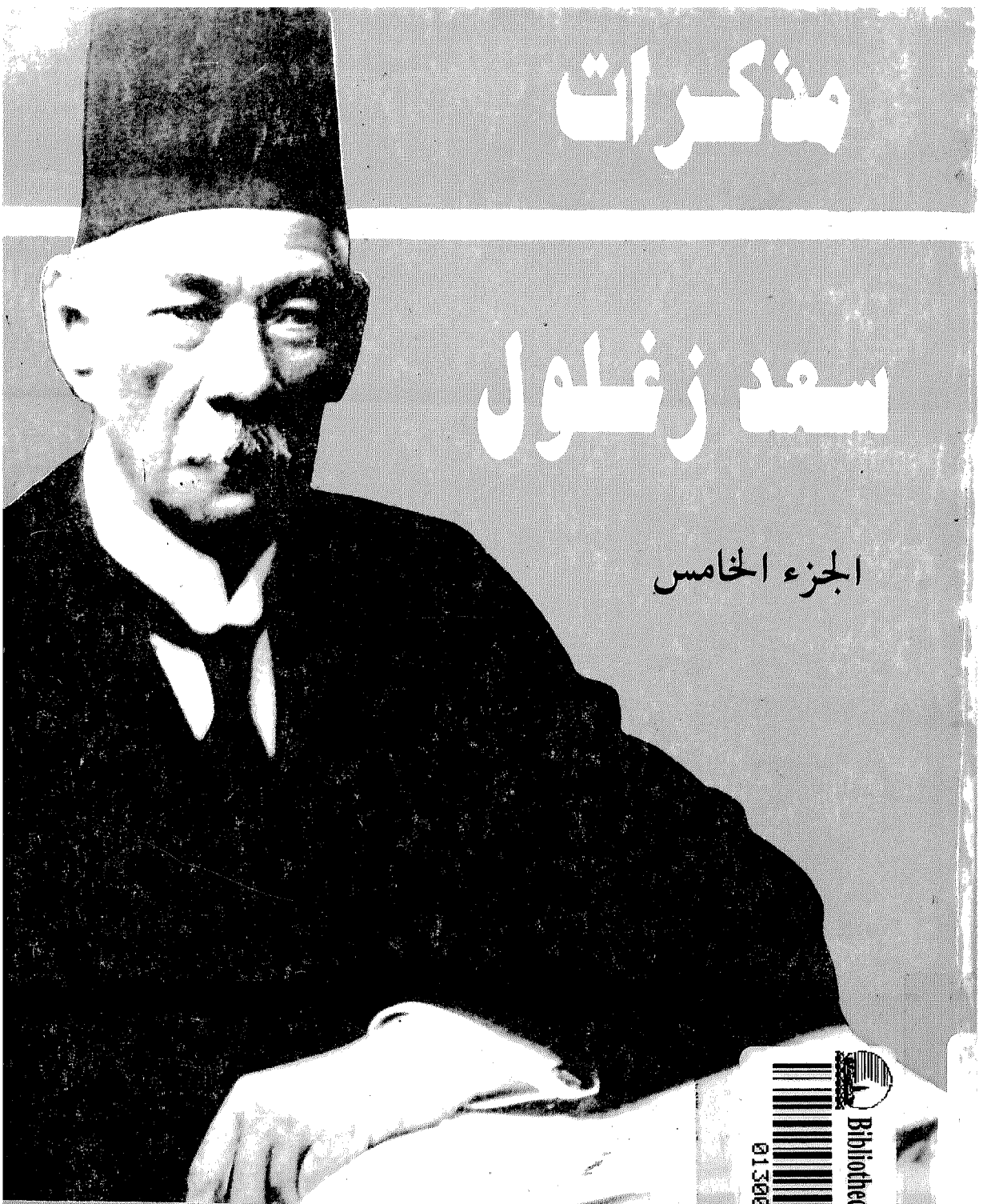


مذكرات

سعد زغلول

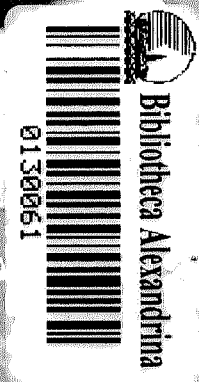
الجزء الخامس



تحقيق

د. عبد العظيم رمضان

مركز وثائق مصر المعاصرة



مذکرات سعد زغلول

مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر

مذكرات سعد زغلول

الجزء الخامس

تقيق

د. عبد العظيم رمضان



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٢

١٩٥٢

قام بقراءة الكراسات :

سامى عزيز
رمزى ميخائيل
ايزيس راغب
محمد حجازى
مصطفى الغايات
استر غالى
نبيلة الدسوقي

الإخراج الفنى

اسامة البدرى

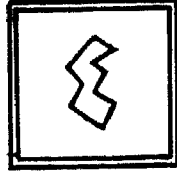
١٩٥٣

ويل لى من الذين يطالعون من بعدى هذه المذكرات !

سعد زغلول

(كراس (٢٨) صفحة (١٥٨١)

١٩٥٥



تقديم

يسرنى أن أقدم للقارئ الكريم هذا الجزء الخامس من مذكرات سعد زغلول ، وهو يتناول يوميات الزعيم الخالد من يوم ٨ مارس سنة ١٩١٥ إلى يوم ١١ أكتوبر سنة ١٩١٦ ، وهى فترة تقع فى أثناء الحرب العالمية الأولى . ومن هنا أهميتها ، لأنها تكشف أسرار فترة عاشت فيها مصر تحت ظلام الأحكام العرفية ابتداء من يوم ٢ نوفمبر ١٩١٤ ، وفرضت فيها الحماية البريطانية على مصر فى يوم ١٨ ديسمبر ١٩١٤ ، ورفعت سيادة تركيا عن مصر ، وخلع الخديو عباس ونُصّب الأمير حسين كامل سلطانا على مصر ، وعاشت البلاد فترة من القمع والمقاومة ، وتعرض الوطنيون لألوان من الاعتقال والنفى .

وقد عاش سعد زغلول هذه الفترة فى موقع قريب من السلطة ، باعتباره وكيل الجمعية التشريعية المنتخب ، وصديقا للسلطان حسين كامل وأعضاء وزارة حسين رشدى باشا ، ولكنه عاشها أيضا من موقعه الوطنى القريب من الجماهير ، الناقد للسلطة نقدا مريرا ، والمتعاطف مع الذين يتعرضون للعسف والاضطهاد .

كذلك عاش سعد زغلول هذه الفترة فى ظروف نفسية تماثل تلك الظروف التى مر بها فى أعقاب استقالته ، عندما وجد نفسه بلا عمل ، وكان يصبو للتعيين فى بعض الوظائف ، حتى أنه انتخبات الجمعية

١٩٥٦

التشريعية ، وانتخابه بتأييد شعبي كاسح نائبا عن الأمة ، لتخرجه من هذه الحالة النفسية ، وتقتلع من ذهنه فكرة الوظيفة ، وتجعله يعاهد نفسه على أن يبقى خادما للأمة وحدها دون أى حاكم . ذلك أن تعطل الجمعية التشريعية عن الانعقاد ، وصعوبة التكهن بالمستقبل بعد انتهاء الحرب ، قد أعادت إلى سعد زغلول فكرة الوظيفة من جديد ، فرشحه السلطان حسين لوزارة الأوقاف ، ولكن اللورد كتشنر في بريطانيا وقف في سبيل التعيين - وكل ذلك تناوله سعد زغلول في مذكراته بالتفصيل .

ويتضمن هذا الجزء الكراسات : ٢٤ و ٢٦ و ٢٥ على حسب الترتيب الزمنى ، وليس الترتيب الرقمى . ومع ذلك فقد تناولت هذه الكراسات أحداثا وقعت في أزمنة مختلفة ، كما عودنا سعد زغلول في مذكراته ، حيث يتناول في الكراسة الواحدة بعض الوقائع ، ثم يتركها إلى كراسة أخرى ، ويعود إلى الكراسة الأولى في فترة زمنية أخرى لمجرد أن فيها صفحات بيضاء ! ولعلنا نذكر - في هذا الصدد - أن سعد زغلول لم يكتب مذكراته ليقرأها الجمهور ، وإنما كتبها لمجرد تسجيل خواطره وما وقع له من أحداث ، وبالتالي فقد كان كل مايمه هو تسجيل الواقعة وليس نوع الكراسة التى يكتب فيها ، وما اذا كان قد سبق له الكتابة فيها أم لا !

وقد ترتب على ذلك أن هذا الجزء سوف يتناول وقائع حدثت في أزمنة تنتمى للأجزاء السابقة . وهو أمر لم يكن لى حيلة فيه ، ذلك أن رداءة خط سعد زغلول لم يكن من شأنها اتاحة الفرصة لقراءة مذكراته كلها مرة واحدة ، وتجميع ماينتمى لفترة زمنية معينة ، وترتيبه ترتيبا زمنيا ، وإنما القراءة فى هذه المذكرات تسير ببطء شديد ، وصعوبة زائدة ، وكان من العسير الانتظار لحين قراءتها كلها ، وتحقيقها ، ثم نشرها . ومن هنا كان هذا الاختيار ، الذى يتيح للقراء الإطلاع على هذه المذكرات الهامة فى أقرب وقت ممكن ، مع تقبل مخاطرة الرجوع إلى

١٩٥٧

وقائع وقعت في فترات زمنية سابقة .

وفي ضوء هذا التفسير ، فسوف يقرأ القارئ في هذا الجزء رحلة سعد زغلول إلى أوروبا في صيف عام ١٩٠٨ . وقد كتبها باللغة الفرنسية في الكراسة التي حصلت على ترقيم ٢٤ ، وهي عبارة عن أجندة فرنسية ، سجل فيها وقائع هذه الرحلة ، ثم تركها ، وعاد إليها في ١٧ مايو سنة ١٩١٥ ليشغل صفحاتها البيضاء بيوميته في هذا التاريخ وماتلاه حتى يوم ٢٢ سبتمبر ١٩١٥ .

وكانت قراءة هذا الجزء من الكراسة ٢٤ حافلة بالصعوبات والمتاعب ، بل والمشاكل أيضا ! فقد ترجمته الباحثة السيدة ايزيس راغب ، ولكنها غفلت عن أن ترقيم هذه الصفحات ، وهي من صفحة ١٢٧١ إلى صفحة ١٣١١ هو ترقيم عكسي ، وأن عليها أن تبدأ بصفحة ١٣١١ وتنتهي إلى صفحة ١٢٧١ ، فسرى التفكك والخلط في ترجمة اليوميات ، واصبحت بمثابة أحاجي ومعميات . وكان على الرجوع إلى الأصل الفرنسي ، فلاحظت الخلط ، وأخذت في ترتيب الترجمة حسب الترقيم الصحيح ، مما ترتب عليه عملية قص ولصق شاقة لترتيب الفقرات ، حتى تمكنت من ذلك بعد وقت طويل .

ولما كانت الترجمة ليست مجرد نقل الكلمات من اللغة الأجنبية إلى اللغة العربية ، وإنما هي نقل المعنى بصورة لنية تتوفر فيها روح اللغة العربية ، فلذلك عهدت إلى السيدة نجوى عبد الرحيم باجراء ترجمة أخرى ، ومن خلال المقارنة بين الترجمتين ، ومراجعتهما على الأصل الفرنسي ، أمكن لي تصويب الأخطاء ، وإعادة الصياغة من الناحية الفنية ، وتقديم ترجمة هذه الصفحات في الصورة اللازمة .

على أنه كان للسيدة ايزيس راغب فضل ملاحظة الأخطاء الاملائية التي وقع فيها سعد زغلول عند كتابته باللغة الفرنسية . وقد لاحظت أن منشأ هذه الأخطاء هو أن سعد زغلول كان يكتبها وفقا لنطقها ، فقد

١٩٥٨

كان يتكلم الفرنسية بطلاقة ، ولكنه لم يكن يستخدمها كثيرا في الكتابة . ومن هنا وقعت هذه الأخطاء . وقد رأيت أن الأمانة العلمية تتطلب الإشارة إلى هذه الأخطاء الاملائية في الحواشى كما سوف يرى القارىء .

كذلك تضمنت الكراسة ٢٦ يومية واحدة ، هى يومية ٢٥ مارس ١٩١٢ ، رغم أن سعد زغلول سجل في هذه الكراسة يومياته من ٢٥ سبتمبر ١٩١٥ إلى ٧ أكتوبر ١٩١٦ . وقد شغلت هذه اليومية صفحتى ١٣٨٦ و ١٣٨٧ ، وتقرآن عكسيا . والغريب فيهما أنها تتوسطان الكراسة ٢٦ التى تبدأ من ص ١٣٥١ إلى ص ١٤١٢ . ولعل مادعا سعد زغلول إلى اختيار هذه الكراسة هو مروره بنفس الظروف المالية التى كان يمر بها في مارس ١٩١٢ ، حيث تراكم عليه الدين لدرجة تفكيره في الاقتراض من السلطان حسين كامل والبنك العقارى .

ويتضمن هذا الجزء صفحات مؤلمة ، سطر فيها سعد زغلول معاناته القاسية بسبب سقوطه في رذيلة لعب الورق تحت الفراغ ، ومحاولاته التخلص من هذه العادة المخربة التى دمرته اقتصاديا وماليا ، حتى تمكن من الاقلاع عنها بعد أن أكلت الأخضر واليابس . وقد يرى علماء الاجتماع في هذه الصفحات شيئا مفيدا من الناحية العلمية . ومن الغريب أن بعض الكتاب ، ممن ينسبون أنفسهم إلى التيار الدينى ، استغل هذه الصفحات ، دون أن يقرأها قراءة دارسة ، في الهجوم على سعد زغلول ، والاساءة إلى تاريخه . ولو قرأوها لعرفوا أن سعد زغلول قد هاجم نفسه بأكثر مما يهاجمه عدو لدود ، ونقد نفسه بأكثر مما يمكن لغيره أن ينقده . لقد كانت محنة أليمة مرت في حياة هذا الزعيم الكبير بكل آثارها التدميرية ، ولكنه عبرها إلى بر السلامة بارادة من فولاذ .

ولكن هذا الجزء أيضا يتضمن صفحات من الدفاع البليغ والقوى عن الحريات ، تضع سعد زغلول في مصاف أكبر رموز المذهب الليبرالى في العالم . وقد ساق سعد زغلول هذا الدفاع عن الحريات أمام السلطان حسين ورئيس الحكومة المصرية رشدى باشا وممثلى الاحتلال والحماية في

١٩٥٩

مصر . وتعرض بسبب هذا الدفاع لغضب الجميع ، وعانى الكثير .

والمهم هو أننا اتبعنا في تحقيق هذا الجزء نفس المنهج الذى اتبعناه فى الأجزاء الأربعة السابقة ، وذلك بتوضيح النص بعلامات الترقيم التى خلت منها تماما مذكرات سعد زغلول ، بما تطلب ذلك من دراسة النص دراسه دقيقة لمعرفة الجمل المستمرة بفصلات ، والجمل المنتهية بنقط . وأيضا مراجعة النص عدة مرات للتحقق من مطابقتها التامة للأصل . وقد أثبتنا شكل بعض الكلمات التى تعود سعد زغلول كتابتها ، مثل : أكتوبر ، بدلا من أكتوبر ، وأفريل بدلا من أبريل ، وأوغسطس ، بدلا من أغسطس ، وأن لا ، بدلا من ألا ، والدوكتور ، بدلا من الدكتور ، واسكندرية ، بدلا من الاسكندرية ، والتلفون بدلا من التليفون . وذلك ليعيش القارئ فى جو المذكرات وعصرها .

أما الكلمات التى تعذرت قراءتها ، فقد أشرنا إليها فى الحواشى وقدمنا اجتهاداتنا فى قراءة ما اختلطت علينا قراءته ، سواء بالترجيح أو التقريب . مع ملاحظة أنه سبقنى فى قراءة هذه الكراسات الباحثون فى مجموعة سعد زغلول ، وهم سامى عزيز ومحمد حجازى ورمزى ميخائيل وايزيس راغب واستير غالى ومصطفى الغايات ، ونبيلة الدسوقى . وبعضهم توفى ، مثل المرحوم محمد حجازى ، والبعض ترك المجموعة مثل الدكتور رمزى ميخائيل ونبيلة الدسوقى . وقد سبق لى أن ذكرت فى تقديمى لبعض أجزاء المذكرات السالفة أن من غرائب قراءة خط سعد زغلول أن الكلمة التى يتعذر على البعض قراءتها ، يقرؤها الآخر بسهولة ، دون أى سبب !

وبطبيعة الحال فإن قراءة الكثير من أسماء الأشخاص والأماكن والحوادث ، تتطلب قدرا كبيرا من المعرفة التاريخية ، لأنها تتعلق بوقائع تاريخية لا يعرفها إلا مؤرخ متخصص . كما تحتاج أيضا إلى ثقافة عامة واسعة . وعلى سبيل المثال فقد احتاجت الكراسة الخاصة برحلة سعد

١٩٦٠

زغلول إلى أوروبا ، إلى كل خبرق ومعلوماتى التى حصلت عليها من رحلات السنوية إلى أوروبا على مدى اثنى عشر عاما ، مع الاستعانة بأطلس الطرق فى أوروبا الذى لم يكن يفارقنى ، لأنه يغطى كل مدينة وقرية فى كل دولة أوروبية . وبدون هذا الأطلس كان من المستحيل قراءة أسماء معظم البلدان التى وردت فى المذكرات .

وكما هو الحال فى الأجزاء السابقة ، فلم أقف بنهاية الكتاب عند حدث معين ، وإنما وقفت به عند حجم مناسب وعدد معقول من الصفحات ، حتى لايشذ عن أحجام الكتب الأخرى ، ويثقل على القارئ . كذلك التزمت فى الانتقال من صفحة إلى أخرى من الكراسات بكتابة رقم الصفحة التالية بينط أسود ، تميزا له عن البنط الأبيض الذى تكتب به الصفحات المطبوعة ، وذلك بين قوسين مستقيمين .

كذلك اتبعنا فى ترقيم الصفحات نفس ما اتبعناه فى الجزء الرابع ، حيث مضينا بالترقيم من حيث انتهى الجزء الرابع ، مع تخصيص ترقيم مستقل للجزء الخامس . وبذلك يحمل الكتاب ترقيمين : الأول ، فى أعلى الصفحة ، وهو الترقيم العام للمذكرات ، والثانى فى أسفل الصفحة ، وهو الترقيم الخاص بالجزء .

كذلك فقد حرصنا على تصدير كل كراسة بأهم النقاط التى تحتوىها من وجهة نظرنا ، وإن كان هذا لا يقلل من أهمية النقاط الأخرى بطبيعة الحال ، التى يمكن للقارئ الاسترشاد فيها بكشافات الكتاب ، وهى كشافات تفصيلية تشتمل على : كشاف للأعلام ، وكشاف للهيئات ، وكشاف للبلاد والأماكن ، وكشاف للحوادث ، وكشاف للدوريات . وقد عهدت بهذه الكشافات إلى مجموعة من الباحثين المشتغلين بالمذكرات ، كما هو موضح قرين كل كشاف . وسوف تجمع هذه الكشافات الخاصة بالأجزاء المختلفة فى نهاية الأجزاء ، فى شكل كشاف

١٩٦١

عام للمذكرات .

وكننت قد وعدت ، في مقدمتي للجزء الرابع ، بتقديم جدول حديث للكراسات ، يتضمن تقسيمات الكراسيات حسب موضوعاتها الزمنية ، بعد أن ثبت لنا أن الجدول الذي ألحقناه بالجزء الأول لم يعد يقدم الصورة الصحيحة لترتيب الكراسيات . على أننا عدلنا عن ذلك في آخر لحظة ، وآثرنا الانتظار إلى نهاية الأجزاء ، نظرا لما يتكشف لنا تدريجيا من وجود أجزاء في الكراسيات تنتمي إلى أزمنة سابقة للزمن الرئيسي الذي تناولته الكراسة . وعلى سبيل المثال فإن الكراسة رقم ٢٤ في هذا الجزء قد قسمت إلى جزئين : الأول ، يتناول الفترة من يونية إلى سبتمبر ١٩٠٨ ، وترتيبه يجب أن يقع عقب الكراسة رقم ١١ ، التي تناولت الفترة من ١١ يونية ١٩٠٨ إلى ٢٢ ابريل ١٩٠٩ ، وقد وردت في الجزء الثاني من المذكرات . أما الجزء الثاني من الكراسة فيقع في إطار زمنه الصحيح ، من ١٧ مايو ١٩١٥ إلى ٢٢ سبتمبر ١٩١٥ .

كذلك فإن الكراسة رقم ٢٦ قد قسمت إلى جزئين : جزء يتناول يومية وقعت في ٢٥ مارس ١٩١٢ ، وموقعه الزمني يأتي عقب الجزء الثالث من الكراسة ٢٠ ، وقد وردت في الجزء الرابع من المذكرات . أما الجزء الثاني فيقع في السياق الزمني للمذكرات ، وهو الفترة من ٢٥ سبتمبر ١٩١٥ إلى ١١ أكتوبر سنة ١٩١٦ .

وقد استعنت في تحقيق هذا الجزء ، وتوضيح أحداثه وشخصياته ، بعدد ضخم من المصادر والمراجع ، العربية والأجنبية ، وقدمت - فضلا عن ذلك - تعليقات تاريخية وانطباعات واستنتاجات ، لمساعدة القارئ على الرؤية الصحيحة لما ورد في المذكرات من وقائع وأحداث . وقد نظرت إلى هذا الجزء كجزء من كل ، وافترضت اقثناء القارئ لكافة أجزائه ، وبالتالي لم أكرر فيه ماسبق ترجمته للشخصيات في الأجزاء السابقة ، اللهم الا حين تتطلب الحاجة ، مع الإشارة إلى

١٩٦٢

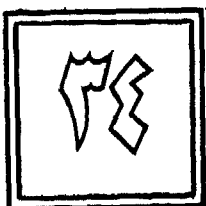
الحاشية السابقة في الأجزاء الأخرى ، إذا كان القارئ في حاجة إلى مزيد من التفاصيل .

وأخيراً فلا أملك إلا أن أقدم خالص شكرى للأستاذ الدكتور سمير سرحان ، رئيس هيئة الكتاب ، للمساعدة غير المحدودة التى يقدمها لمذكرات سعد زغلول ، إيماناً منه بأهمية هذه المذكرات الفريدة وموقعها الخاص بين الوثائق التاريخية المعاصرة عن الحركة الوطنية المصرية . كما أشكر الأستاذة سميرة عرابى ، وكيل الوزارة ورئيس الإدارة المركزية لشؤون المطابع بهيئة الكتاب ، التى لولا رعايتها لهذه المذكرات ، ومساندتها لها ، وتقديم كافة الإمكانيات الفنية لها ، لما أمكن إخراجها بهذه الصورة المشرفة . كما أشكر قسم الجميع التصويرى بالهيئة ، ورئيسه الأستاذ هاشم الأشمونى ، لعنايته الفائقة بإخراج الكتاب على هذا النحو ، وتنفيذ كافة التوصيات التى أصدرتها فى هذا الشأن ، والتى تميز هذا العمل العلمى عن غيره من الأعمال الأخرى . وأشكر الأستاذ أسامة محمد البدرى على مجهوده فى الإخراج الفنى للكتاب . كما أشكر مجموعة الباحثين ، وعلى رأسهم الأستاذ سامى عزيز ، لما بذلوه من جهد شاق ، سواء فى القراءة أو المراجعة وعمل الكشافات . وأشكر السيدة أميرة خواسك ، لتطوعها بمساعدتى على مراجعة بروفات الكتاب على أصل الكراسات دون أى أجر . وأدعو الله تعالى أن يبارك فى هذا العمل وينفع به شعبنا المصرى خاصة وأمتنا العربية عامة .

والله الموفق

مصر الجديدة فى ٩ فبراير ١٩٩٢ أ. د. عبد العظيم رمضان

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
بكلية الآداب - جامعة المنوفية
ورئيس اللجنة العلمية المشرفة على
مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر



الكراسة الرابعة والعشرون

الجزء الأول

**الكراسة الرابعة والعشرون
الجزء الأول**

**من ص ١٢٧ - ص ١٣١١
(عدا تنازليا)**

من يونية إلى سبتمبر ١٩٠٨

المحتويات :

- زيارة سعد زغلول لأوروبا في يونية - سبتمبر ١٩٠٨

١٩٦٧

[ص ١٣١١]

لا أستطيع أن أصف حالى النفسية . فمنذ عدة أيام وأنا معظم الوقت مهموم ، مستغرق فى التفكير ، ما من شيء يجذبني أو يشدني ، وكل شيء مظلم أمامي . وأنا أتساءل دائماً : لماذا هكذا الحياة قصيرة ؟ لماذا يقوم الإنسان بهذا الصخب ، وهذا الصراع^(١) ، وهذا التعب ، إذا كان وضعه مزعزعا^(٢) لحد كبير (...)^(٣) ؟

[ص ١٣١٠]

يوم السبت ٢٧ يونية ١٩٠٨^(٤)

قد سافرنا من مصر إلى اسكندرية ، ومنها إلى تريستا ، على ظهر

(١) كتبها سعد زغلول lute وصحتها lutte .

(٢) كتبها سعد زغلول Pricaire وصحتها Précaire

(٣) كلمة مطموسة .

(٤) هذا التاريخ هو المطبوع فى الأجنحة الفرنسية التى كتب فيها سعد زغلول هذه

اليوميات والصفحات من ١٣١١ - ١٢٨٦ تقرأ عكسياً . وصفحة ١٣١١

مكتوبة بالفرنسية .

١٩٦٨

الباخرة كيلوباتره^(٥) من بواخر شركة لويد النمساوية . وكان معنا كل من سعادة مصطفى باشا فهمي^(٦) وحرمة ، ومنيرة كريمة اسماعيل باشا سرهنك^(٧) .

وقد حضر بعض الذوات لوداع الباشا ، وفي^(٨) مقدمتهم جورست^(٩) ، والنظار . وحضر لوداعي بعض الأقارب والمعارف .

(٥) هكذا كتبها سعد زغلول .

(٦) مصطفى فهمي باشا ، والد صفية زغلول ، حرم سعد زغلول . كان محافظا لاسكندرية قبل أن يتولى منصب ناظر الأشغال العمومية في نظارة محمد شريف باشا الثانية التي تألقت في ٥ يولييه ١٨٧٩ ، ثم تولى منصب ناظر الخارجية في وزارة محمد توفيق الثانية التي تألقت في ١٨ أغسطس ١٨٧٩ ، واستمر ناظرا للخارجية في وزارة مصطفى رياض باشا الأولى في ٢١ سبتمبر ١٨٧٩ ، ثم في نظارة محمد شريف باشا الثالثة في ١٤ سبتمبر ١٨٨١ ، ثم في نظارة محمود سامي البارودي باشا في ٤ فبراير ١٨٨٢ بعد أن أضيف إليه نظارة الحقانية ، ثم ناظرا للداخلية في نظارة شريف باشا يوم ٢٨ أغسطس ١٨٨٢ ، ثم ناظرا للمالية في وزارة نوبار الثانية في ١٠ يناير ١٨٨٤ ، ثم أضيفت إليه نظارة الداخلية في ١٠ مارس ١٨٨٧ في نفس نظارة نوبار ، ثم تولى رئاسة النظارة للمرة الأولى من ١٤ مايو ١٨٩١ إلى ١٧ يناير ١٨٩٢ ، وللمرة الثانية من ١٧ يناير ١٨٩٢ إلى ١٥ يناير ١٨٩٣ ، وللمرة الثالثة من ١٢ نوفمبر ١٨٩٥ إلى ١١ نوفمبر ١٩٠٨ .

(٧) اسماعيل سرهنك باشا (١٨٥٤ - ١٩٢٤) عدل سعد زغلول ، وهو ضابط ومؤرخ مصري ، خدم بالبحرية المصرية ، وترقى في وظائفها ، وعين ناظرا للمدارس الحربية ، وألف كتاب «حقائق الأخبار عن دول البحار ١٨٩٦ - ١٩٢٣» .

(٨) في الأصل : « في » .

(٩) السير الدون جورست sir Eldon Gorst المعتمد البريطاني ، الذي خلف اللورد كرومر في أول أبريل ١٩٠٧ حتى وفاته في ١٢ يوليو ١٩١٢ . وكان قد عين

١٩٦٩

وأغلب من كان على محطة مصر كان من موظفي نظارة المعارف ،
وخصوصا الإنكليز منهم .

ولما ابتعدت الباخرة من الإسكندرية قليلا ، لعبت بها الأمواج ،
فأخذنا الدوار ، إلا قليلا منهم الباشا . ولزمت قمرق مع زوجتي .
ومكثنا طول الليل والمركب يرقس بنا زمنا^(١٠) . وقد هدأت الأرياح نوعا
في الصباح ، وأخذنا نستعيد بعض قوانا .

وقد كان معنا في السفر بعض قضاة المحكمة المختلطة ، وقليل جدا
من المسلمين ، ومنهم عزيز الأرنؤوطي^(١١) . وكان معنا منسفيلد باشا .
وقرينته شركسية تنصرت وتزوجت به ، وتبين من ملاحظها أنها كانت
جميلة ، وتبلغ فوق الخمسين سنة ، وكانت تبدو عليها - من وقت
لآخر - علامات الكسوف منا . ولم أكن أريد تعريف حرمي بها ، ولكن
ضرورة السفر قضت بشيء من التعرف ، خصوصا وقد بدأت هي به ،
حيث أحضرت شيئا من الدواء نتيجة الدوار .

[ص ١٣٠٩]

يوم الأحد ٢٨ يونية ١٩٠٨^(١٢)

كان الهواء جميلا في هذا اليوم ، وبدأنا نلعب الطاولة مع حسين ،

سنة ١٨٩٢ في منصب السكرتير المالي لنظارة المالية خلفا للورد ملز ، وفي خريف
١٨٩٤ عين مستشارا للداخلية ، وأخذ في تلك الأثناء يتعلم العربية ، واستمر في
هذا المنصب حتى عام ١٨٩٨ حين عين مستشارا ماليا خلفا للسير إلوين بالمر Elwin
Palmer ، واستمر في هذا المنصب حتى عام ١٩٠٤ .

(١٠) قراءة تقريبية .

(١١) قراءة تقريبية .

(١٢) هذا التاريخ هو المطبوع في الأجنحة .

١٩٧٠

ومع مدام مصطفى باشا ، ولم تظهر انكماشاً من الناس ، على حسب عادة الشرقيات عند أول تكشفهن . وساعدها على ذلك أنه لم يكن في المسافرين منا من المصريين من نعرفهم . وكان اللعب قليلاً .
رأيت أربعة يلعبون البرانس^(١٣) فحدثني نفسي بتعلمه . وقد كنت صحبت معي كتاباً مهماً^(١٤) فتناولته ، وأخذت أطلع فيه . ثم حضرت اللعب مرة .

وكان كلامي مع الباشا قليلاً ونادراً فيما يخص المسائل التي كانت موضوع حديثنا في مصر غالباً . وقل تفكرى في حوادث مصر . كان يجلس على المائدة ، على يسار القومندان ومصطفى باشا على يمينه ، وحسين على يمين الباشا . وكان القومندان أكولاً ، سريع البلع ، كبير اللقمة ، قليل الحديث .
وقد مررنا آخر النهار « بجريد »^(١٥) ، وبيتنا الليلة في أمان الله .

[ص ١٣٠٨]

يوم الاثنين ٢٩ يونية ١٩٠٨

لم يحدث فيه شيء يستحق الذكر ، ولكن الهواء اعتدل جداً ، فانتعشت نفوسنا . ولم يكن الأكل جيداً ، ولكنه لم يكن تعافه النفس . وقد مررنا بكورفو^(١٦) ويظهر عليها أنها مدينة جميلة .

(١٣) هكذا تقرأ .

(١٤) في الأصل « مهم » . وقد تقرأ : « فيه » .

(١٥) يقصد : كريت وهي قراءة تقريبية .

(١٦) Corfu وهي جزيرة في شمال غرب اليونان .

١٩٧١

[ص ١٣٠٧]

يوم الثلاثاء ٣٠ يونية ١٩٠٨

وصلنا في الساعة ثلاثة صباحا إلى برنديزي^(١٧) . وخرجنا في نحو الساعة أربعة إلى البر ، حيث اشترت بعض الفواكه ، كالتين والمشمش . وكان الأول جيدا ، أما الثاني فلا . واستمر الهواء أن يكون جميلا . وقد صادف هذا اليوم مولد الجناب الخديوى ، فأرسل كل منا للسراشيفاتى بإسكندرية تلغراف تهنئة . وفي هذا كان السرور شاملا لجميع ركاب السفينة .

[ص ١٣٠٦]

يوم الأربعاء أول يولية ١٩٠٨

في الساعة ٧ من صبيحة هذا اليوم ، وصلت السفينة إلى فينزيا^(١٨) ، حيث نزل منها كثير من الركاب . ثم أقلعت بنا السفينة إلى تريستا في الساعة ٩ ، ووصلناها في الساعة واحدة بعد الظهر . وقد رست بنا على المرفأ الجديد .

وكان مصطفى باشا حجز لنا محلات بأوتيل لافيل^(١٩) فقصدها ، وسلمنا متاعنا إلى وكيل « كوك » لحمله إلى المحطة . وفي نفس الأوتيل محل لوكالة كوك ، أردت أن آخذ منه محلات نوم في قطار السكة الحديد ، الذى يسافر إلى فينا في الساعة ٦ وثلاثين دقيقة . فلم أجد محلا

(١٧) Brindisi ميناء في جنوب شرق إيطاليا .

(١٨) Venice البندقية وتكتب بالإيطالية Venezia .

(١٩) هكذا تقرأ .

١٩٧٢

خاليا . وقال لى موظف إنتظر إلى الساعة الثالثة ربما يخلو بعض المحلات المحجوزة . فلم يقد الإنتظار شيئا . ثم ركبت مع حرمى عربية . وزرنا سراى^(٢٠) ميرامارا . وكانت هذه الزيارة الثانية بالنسبة لى ، والأولى بالنسبة لها ، فسرت بها . ثم عدنا ، وتناولنا الطعام وذهبنا إلى المحطة^(٢١) ، ولكن الخادمة تخلفت عنا ، فسبب ذلك لنا كدراً ، خصوصاً وكان معها حقيبة مصاغ الست . وقبل قيام القطار بقليل حضرت ، وفهمت منها أنها كانت خرجت مع خادم وخادمة الباشا للفسحة ، ولم تكن تعلم أن السفر تقرر بعد ساعتين . فتهربتها . وقام القطار ، وقد كان حُجز لنا قبل ذلك ثلاث مقاعد ، ولكنه كان يلزم أن نحول وجوهنا ضد إتجاه القطار ، مما لا أحتمله ، فرجوت خادم العربات أن يغير ذلك المحل ، ففعل (. . .)^(٢٢) وقد نمت عقب قيام القطار على المقاعد المذكورة ، والست فى مقعد على متاع بجانبى ، ولكن لم نذق النوم إلا قليلاً .

[ص ١٣٠٥]

يوم الخميس ٢ يولية ١٩٠٨

وقد وصل القطار متأخرا فى صبيحة اليوم المرسوم أعلاه . فتوجهنا نوا إلى أوتيل امبريال ، حيث كنا حنجزنا محلا . ولكننا لم نجد هذا المحل مناسبا ، لكونه كان وسخا جدا ، فغيروه لنا بآخر .

وفى المساء ، حضر الباشا ، ولم نكن نشعر عقب وصولنا بتعب ،

(٢٠) هكذا تقرأ .

(٢١) قراءة اجتهدية من أول « وتناولنا الطعام » بسبب طمس العبارة .

(٢٢) عبارة غير مقروءة .

١٩٧٣

لأننا ذهبنا فيه إلى الدكتور الشهير نوردون في محل عيادته . وقد كان قد
أبى الرد^(٢٣) وقبل بسبب مخابرة ، فلما علم إننا نحن الذين تكلم
(. . .)^(٢٤) بخصوصنا ، أرسل مع كاتمة أسرارته - وهى فتاة جميلة
الصورة ، لطيفة الوجه ، خفيفة الحركات - فقالت : إن الدكتور
لا يمكنه أن يقابلكم ، لأنكم لم تقيّدوا أسماءكم من قبل ، ولكنه يمكنه أن
يتوجه إليكم فى الأوتيل يوم السبت القادم . فاتفقنا على ذلك .

وكان معنا دليل ، فطلبت منه أن يرشدنا إلى محل تجارب^(٢٥) فأرشدنا
إلى محل واسع جدا ، حيث جلست ، وتحللت الخلاصة فى أقل من ربع
ساعة ، وتبين أن هناك إثنتين ونصف فى الألف من السكر . ثم
(. . .)^(٢٦) .

وعدنا إلى الأوتيل ، حيث وصل الباشا . وقد كنا وصلنا فوجدناه
وقد أعياه التعب ، وبعد أن تحدثنا قليلا ، ذهبنا إلى مخدعنا . وكان
يشغله فى كل ذلك المطالعة فى كتب إشتريتها (. . .)^(٢٧) .

[ص ١٣٠٤]

يوم الجمعة ٣ يولية ١٩٠٨

ومكثنا بفينا إلى يوم الأحد ، حيث سافرنا منها إلى كارلسباد فى
مسائه ، فى عربات النوم . ولم يحدث فى أثناء إقامتنا بفينا إلا أننى حللت

(٢٣) قراءة تقريبية .

(٢٤) اسم غير مقروء .

(٢٥) أى معمل تحاليل .

(٢٦) عبارة غير مقروءة .

(٢٧) عبارة غير مقروءة .

١٩٧٤

البول بعد ذلك ، فوجدت واحد في الألف . ويحث الدكتور يوم السبت وقال : إن الحالة خفيفة ، ويمكن أن تزول . وأثنى^(٢٨) على كارلسباد ، وكتبت خطاب إلى الدكتور (. . .)^(٢٩) بأنه يلزمني أن آخذ حمامات (. . .)^(٣٠) .

[ص ١٣٠٣]

يوم السبت ٤ يولية ١٩٠٨

لم يحدث شيء ، غير زيارة الطبيب كما سبقت الإشارة إليه .

[ص ١٣٠٢]

يوم الأحد ٥ يولية ١٩٠٨

تأهبنا إلى السفر ، وسافرنا في مسائه ، وكان الدكتور دلنا على محلات تباع خبزا طريا ومربات وحلويات للمرضى بالسكر ، فاشتريت من بعضها شيئاً من ذلك ، ووجدته جميلاً جداً ، ولكنه لا يخلو من سكر على الأغلب .

[ص ١٣٠١]

يوم الاثنين ٦ يولية ١٩٠٨

وصلنا كرلسباد متأخرين ساعة تقريبا . وتناولنا الفطور في القطار لبنا

(٢٨) قراءة تقريبية .

(٢٩) اسم غير مقروء .

(٣٠) اسم غير مقروء ، ويمكن أن يقرأ « أسيد كربولك » .

١٩٧٥

وشايا . ولم نجد بانتظارنا (. . .)^(٣١) ، ولكننا وجدنا عربة وقائدها ،
فسرنا إلى حيث نزلنا في golden Harfe^(٣٢) ملحق بأوتيل بوب .

وفي الدور الثالث وجدنا أربع محلات قيل لنا إنها هي التي أعدت
لنا . فلم نستحسنها لعلوها وعدم نفوذ الشمس إليها إلا قليلا . وقيل لنا
إنه ليس في هذا المنزل سوى محل واحد للخدم ، وسيكون فيه ثلاثة
غدا ، ولكم الخيار في اتخاذ أود النوم والصالون كما تختارون . فاستحسننا
قضاءنا ، وتنفذ ، ولكن المفروشات التي وضعت في الصالون قليلة ،
فتكلمت مع امرأة تدير المحل ، فخشنت القول ، فأسمعتها من الملام
ما حملها على زيادة المتاع .

وقدم الباشا مساءً ، وتعشنا جميعا في الصالون . ولم يرق له المقام ،
ولكنه لم يطل الكلام .

وبعد أن وصلنا استدعيت الطبيب ، فقابلنا بكلام حسن باش ،
ووجه بسام . وبعد أن أطلع على أوراق التحليل ، طمّن الخاطر ، وأشار
على أن أحلل البول مرة أخرى ، فجاءت النتيجة ظهور ستة في المائة ،
فقال : ينقصنا دراسته بزيت كيمائى . فحللت في اليوم التالى ، فلم
يوجد شيء ، ولكنه حلل هو ، فوجد أنه لا تغير فيه . وقد أخذت في
الاستشفاء بالمياه وشربتها وارتحت لها ، وكنت أستيقظ مبكرا فأكون في
العين ما بين الساعة خمسة وستة ، وأفصل ما بين المرتين ثلاثين دقيقة ،
وأمشي نحو ساعة في ظلال الشمس ، وساعة بعد ساعة أذهب إلى الحانة
مرتين للأكل ثلاثة أيام ، ثم أفطر مع الست والباشا وحسين في الساعة
٩^(٣٣) .

(٣١) اسم غير مقروء . . وقد يكون « بوب » .

(٣٢) هكذا تقرأ .

(٣٣) الفقرة كلها قراءة اجتهدية لرداءة الخط .

١٩٧٦

[ص ١٣٠٠]

وبعد أن نتمشى مع الباشا قليلا نعود إلى البيت ، وهنا نلعب البوكر مع الست وحسين إلى الساعة واحدة ، ثم نذهب إلى الغداء في مطعم بوب وقد أعد لنا محل في أودة مخصوصة . ثم نعود إلى مخادعنا فننام إلى الساعة التي نكون إتفقنا على الخروج للنزهة فيها ، ثم نذهب إلى النزهة ، ونعود في نحو الساعة الخامسة مساء . ونعود للعب إلى وقت العشاء ، ثم نتعشى في الساعة ثمانية ، وبعد ذلك أتمشى قليلا في كثير من الأحيان ، ثم أعود لنلعب البوكر إلى الساعة ١١ . وكنت أنفعل كثيراً أثناء اللعب عند الخسارة ، (. . .)^(٣٤) أن الزهر كان معاكس ، وكان زهر حسين سعيدا ، ولكن مع ذلك لعبت ولم أخسر . غير أن خسارتي كانت غن طريقتين : طريقي وطريق الست . لقد شاهدت أني أنفعل بمحتد الإنفعال إذا خسرت مع حسين (!) .

[ص ١٢٩٩]

وكنا نتحدث باللعب ونتأججه على المائدة أمام الباشا ، فلم يكن يشترك معنا إلا قليلا ، والظاهر أنه كان غير مستحسن له ، لأنه كان يحرمه من الإجتماع بنا إلا على المائدة وفي أوقات النزهة . وقد كنت منعت^(٣٥) أن تُرسل الجرائد العربية إلى مدة سفرى ، ولكن الجرائد الإفرنجية كانت ترد تباعاً . ورأيت أن في الإنقطاع عن قراءتها فائدة وقيمة ، هي راحة الفكر . وساعدنى على نسيانها اللعب بالورق .

(٣٤) كلمة غير مقروءة .

(٣٥) قراءة اجتهدية .

١٩٧٧

واستمرت على ذلك إلى أن وصل فتحى (٣٦) ومحمد محمود (٣٧) في ٢١ يوليو. وكان اجتماعنا معهم كل يوم في الشقة ، فلم يكن يخلو الحديث من ذكر مصر وأخبارها ، وكل يقص ما وصل إليه منها . فابتدأت أتكدر وأبتدأ عيشتى يتنقص . وقد توارد كثير من أهل مصر اليوم ، وغيرهم ، وكان ذلك من أسباب مضايقتى ، لأن رؤية الواحد منهم كانت تؤلمنى ، وتثير فى نفسى هموما وأوهاما ، خصوصا وإن كنت على كراهية [ص ١٢٩٨] إحساس حدث فى نفسى هذه الأيام ، وكنت أحس بغيره لغاية هذا العام .

(٣٦) أحمد فتحى زغلول باشا ، شقيق سعد زغلول (١٨٦٣ - ١٩١٤) قانونى مصرى ، كان يسمى فى صغره فتح الله صبرى ، واسمها أحمد خيرى باشا ناظر المعارف فى ذلك الوقت أحمد فتحى حتى يتسنى ادخاله المدرسة بعد فصله لاشتراكه فى الثورة العربية ، وأوفد إلى فرنسا فى بعثة عام ١٨٨٤ لدراسة الحقوق ، وعين بعد عودته إلى مصر فى عام ١٨٨٧ بقلم قضايا الحكومة ، ورقى رئيسا لنيابة أسبوط ، وأصبح رئيس محكمة مصر الأهلية بعد تعيينه بها فى سنة ١٨٨٩ ، وعين فى محكمة دنشواى فى يونيه ١٩٠٦ ، فعينه الإنجليز وكيلا لنظارة الحفانية فى عام ١٩٠٧ ، وظل بها حتى مات فى ٢٧ مارس ١٩١٤ . وصفه محمد فريد بالاشتهار بالارتشاء وسوء السلوك والانهاك فى القمار (ص ٥٢ من أوراق محمد فريد) وربما كان هذا من أسباب سوء علاقة سعد زغلول به كما يتبدى فى كثير من المواضع من مذكراته (انظر ص ١٢٩٢ من هذه الكراسة) .

(٣٧) محمد محمود بك (باشا فيما بعد) ١٨٧٧ - ١٩٤١ . مدير الفيوم ، وكان على علاقة ود واحترام مع سعد زغلول ، وكان يجتفى به عند زيارته للفيوم وهو وزير للمعارف . وقد اشترك فى تأليف الوفد المصرى فى ١٣ نوفمبر ١٩١٨ واعتقل ونفى إلى مالطة فى مارس ١٩١٩ وانشق على الوفد ، وكان من مؤسسى حزب الأحرار الدستوريين ١٩٢٢ ، وألف وزارة اليد الحديدية عام ١٩٢٨ ، وشكل وزارة الانقلاب فى ٣١ ديسمبر ١٩٣٧ .

١٩٧٨

كنت إذا تغربت ، أتلهف على مصر من البداية ، وأجد من نفسى
أثناءه سكينه وانعطاف نحو أمتى . فرحت مرة ببقاء بعض الأعراب فى
جنينة الحيوان فى باريز ، ولم يمنعنى احتقارى للمظهر الذى كانوا فيه عن
القرب منهم ، والإستئناس بهم . وحدث أنى كنت مرة فى جنيف سنة
١٨٩٥ ، وسمعت أن زكى بيك أحمد بمجلس النظر هناك ، فرغماً
عما (٣٨) كان بيننا من العزل ذهبت إليه وزرته .

كل ذلك تبدل الآن ، وصرت أشعر بنوع من الألم كلما وقع بصرى
على مصرى ! وأثقل شىء على أن يزورنى ، فلا أرد الزيارة له إلا مكرها !
ولم يكن هذا الحال قاصراً على الأشخاص ، بل الخطابات كانت تؤلمنى ألماً
خاصاً لا أقدر أن أعبر عنه ، إلا أنها كانت تحدث فى نفسى ذكرى
السيئات التى لا أبغيها من الذين كنت أنتظر منهم أن يقدروها حق
قدرها (٣٩) .

[ص ١٢٩٧]

رأيت من مصطفى باشا ميلا عن وظيفته ، وميلا إلى مفارقتها !
فأخذت أراجعه ، فقال : إنى أصبحت لا أستطيع صبرا ، وأخشى أن
يحدث ما لا أحب ، فيحدث منى ما لا أستحسنه . وقد كان الخديوى
أولاً مقيداً ، فأصبح اليوم مطلقاً ، يعاونه الذين سعوا من قبل فى
تقييده ! ولا يمكننى أن أكون عوناً له على أغراضه ، التى كلها ضرر عظيم
للبلاد . ويدهشنى من الإنكليز أنهم يؤيدون الحاكم ضد رعيته بعد أن

(٣٨) فى الأصل : عن ما .

(٣٩) واضح أن هذه الشاعر التى يروىها سعد زغلول ناتجة عما كان يلاقيه من
نقد وعدم تقدير لعمله كوزير للمعارف وقتذاك ، تحت دعايات الحزب الوطنى .
وهو ما عبر عنه فى أماكن أخرى من مذكراته .

١٩٧٩

كانوا يأخذون بيد الرعية ضده ! وإنى أحقر هذا التغيير ، وأعدده غير موافق حتى للكرامة الإنكليزية .

فقلت : ولكنك إذا فارقت مركزك في الأمة تشجع السفهاء على سفاهتهم ، وتشمت بنا الأعداء !

فقال : إن في ذلك راحتي ، ولست مسؤولاً عن نتائج هذه الحالة .
ولم أر من اللباقة الإلحاح عليه ، حتى لا يتوهم أنى أريد الدفاع عن نفسى . وعزمى أن لا أفاتحه الكلام في هذا الموضوع مرة أخرى .

[ص ١٢٩٦]

يخطر على بالى أن استعفاء مصطفى لا يوجب خروج غيره للاعتبارات الآتية :

أولا ، أن استعفاءه سيكون للصحة ، لا لأمر سياسى . فلا معنى لأن يسقط الآخرون .

ثانيا ، أن المنظور أن فخرى هو الذى يخلفه ، ولا معنى لأن يسقط تعيينه النظار ، مع اتفاقهم فى الصورة معه .

ثالثا ، لأن فى تغيير الكل بآخرين ، إنهما لا يرضاه الإنكليز الجبناء للحركة القائمة فى البلاد ضدهم ، واغراء للخديوى على التهادى فى أغراضه .

وأما ما ينظر إلى شخصى^(٤٠) ، فالظاهر أن الخديوى لم يكن فى ضيقه الماضى منى^(٤١) . وجورست لا يفتكر أن أسقط لأن فى ذلك مساسا

(٤٠) يقصد : وأما ما يختص بشخصى .

(٤١) أضيفت « منى » لتوضيح العبارة .

١٩٨٠

بشهادته وشهادة كرومر من قبله .
ومع ذلك فإنى لا أخاف من الأمر شيئاً ، والله واسع عليم !

[ص ١٢٩٥]

قرأت بغاية السرور خبر منح الأمة التركية مجلساً نيابياً ، وشعرت من
نفسى بفرح لا مزيد عليه ، وأخذت من ذلك الحين أتتبع أخبار هذه
المسئلة .

[ص ١٢٩٤]

إنى أعجب غاية الإعجاب بالنظام الذى حافظ الأتراك عليه ،
وبالرزانة التى ظهروا فيها فى هذه الحوادث ، وبالحكمة التى يسيرون بها
فى هذا الانقلاب الهائل . فلم يسلكوا طريق الإعلان عن أنفسهم ، بل
إن رؤساء الحركة ، من بدايتها إلى الآن ، فى الخفاء ، ولم يعلم من
أشخاصهم أحد . وقد تصافح الكل مصافحة الاخوان ، واتفقوا^(٤٢)
على اختلاف أديانهم . (. . .)^(٤٣) يتهادون التهانى ، ويعلنون فرحهم
واتفاقهم على تأييد النظام .

والجرائد الأوربية تلقت الخبر بالإرتياح والإنشراح ، ولكن بعضها
يبدى شيئاً من التحفظ ، ويظهر من خلال سطورها الحقد ، حقد
العاقل .

(٤٢) قراءة تقريبية .

(٤٣) عبارة غير مقروءة .

١٩٨١

وفى ظنى أن الأتراك ينجحون كثيراً إذا استعملوا الدقة فى سيرهم ، ولم يسلطوا الأغراض الشخصية على أعمالهم ، ولم يجعلوا الاختلافات المذهبية سلطاناً على نفوسهم [ص ١٢٩٣] فلأن أخشى عليهم أن الدول الأوروبية ، التى لا تود أن ترى الدولة العثمانية عادت إلى شبابها ، فتجد الوسائل إلى عرقلة تقدمها ، ويساعدها على ذلك الأقوام الذين ليسوا على دين الحكومة .

[ص ١٢٩٢]

تحلل البول ، فلم يوجد به شئ من السكر ، ونزل الحمض البولى إلى ٢١ ، بعد أن كان فوق الخمسين . فسررت سرورا عظيما بهذه النتيجة ، وحمدت الله حمدا كثيرا على حصولها .

كان مصطفى باشا يسافر للترهة إلى (. . .) (٤٤) مع حسين يوم الخميس ، ثم عاد فى الظهر من هذا اليوم . وقد كنت توليت الصرف على حرمه ومنيرة ، فلما حضر أخبرنى بواسطة حسين أن أقدم حساب ما صرفت . فلم أشأ تقديمه ، لكونه لا يتجاوز مائة وثمانين كرونا ، يخصه منها تسعون .

[ص ١٢٩١]

تهيئنا للسفر ، وأخذنا له عدته من محاسبة الأوتيل ، والتجار الذين اشترينا منهم بعض الشئ ، وإن لم يكن بالشئ الكثير .

(٤٤) كلمة غير مقروءة .

١٩٨٢

أمر مصطفى باشا حسين أن لا يأخذ منى شيئاً في مقابلة ما حاسب عليه من الأكل في يومى الأحد والإثنين ، معتبراً أن في ذلك مقاصة لما حصل في مدة عيشته في (. . .)^(٤٥) .

حضر فتحى لدينا قبيل العشاء مودعاً ، فعزمناه على العشاء معنا ، وبعده بقليل إنصرف ، ثم تقابلنا في الصباح على العيون ، فلأزمنى إلى وقت السفر . وكنت أحس منه التحفظ والإنغلاق أثناء الحديث ، وحب الظهور بالغلبة حتى في الأشياء التافهة وما من مرة إجتمعت به إلا تأسفت عقب الاجتماع على رويته .

[ص ١٢٩٠]

استيقظت في الساعة ٣ بعد نصف الليل ، ثم حاولت النوم ، ولم أنم حتى الساعة ستة . فخرجت إلى العيون وأخذت كوبة من Bernairs brun^(٤٦) . ثم كوبة أخرى من Sprudel Brun . ثم توجهت إلى الخبازة التي كنت بالأمس أوصيتها أن تصنع لنا من العيش (. . .)^(٤٧) فلم أجدها . فاشترت بعض الفطير إلى زوجتي ، وحملتة إليها . ثم عدت إلى الخبازة ونهيت الحساب معها .

وقد كنت أوصيت على ياقات مفتوحة من الأمام تاجرا بجانب النزل يدعى Braun et C. ، فصنع ثلاث دوزينات^(٤٧) فلم أجدها كما وصيت ، فأعدتها إليه ، فزعم أنه صنع غيرها ، وحضر في الساعة ستة

(٤٥) اسم غير مقروء ، وقد يقرأ «مارسمبلد» .

(٤٦) هكذا تقرأ .

(٤٧) كلمة غير مقروءة . وقد تقرأ «زادا» .

(٤٧ م) الدوزينة — بالفرنسية — تساوى ١٢ .

١٩٨٣

تماما ، وساعتها كنا ننتقل^(٤٨) من النزول إلى العربة ، وقال : هـاك الياقات التى أوصيتها ! فقلت - وقد انفعلت - ولكن لا يمكن أن أقيسها الآن ! فقال : إن ذلك لا يأخذ زمتا طويلا ! فاشتد الانفعال بى ، وقلت : لا وقت عندى ، وبما أن المسئلة مسئلة نقود ، فخذ الثمن وهاتها بلا قياس ، لأنى لا أضيع وقتى ! وتم ذلك .

ثم توجهنا إلى المحطة ، وقد كان المطر نازلا ، ولحقنا فتحى (. . .)^(٤٩) . وفى الساعة سبعة وخمسين دقيقة من صباح هذا اليوم ، توجهنا إلى Reichenhall فى قطار السكة الحديد فوصلناها فى الساعة تسعة وخمسة وثلاثين دقيقة . ونزل معنا فى العربة رجل ألمانى تظهر عليه الغلظة والفظاظة ، وامراته تلوح عليها علامة الرقة ، وتحليلنا أول الأمر أنها معا ، ولكن لم نلبث الحقيقة حتى ظهرت ، وتبين أنها فرنساوية لا تعرفه . وقد تحدثت معها ، فرأيتها محدثة^(٥٠) رقيقة . ولم نلبث معها غير قليل حتى تعرفنا بها ، وتعرفت بنا ، وفهمنا أنها قادمة من (. . .)^(٥١) حيث كانت تأخذ حمامات ثم قدمت إلى Salzburg لكى تريض فى نواحيها ، وتجول فى ضواحيها ، وأنها كانت زوجة فأصاها الزمان فى زوجها ، فترملت واتخذت السياحة فى البلاد مسلا لها ، ووجدت فيها فوائد كثيرة ، وتسلية عظيمة . وقالت : إنها تتجنب منازل الضيافة حتى لا يلزمها الإختلاط بأهلها بتكاليف لا تلائم صحتها ولا ثروتها .

(٤٨) قرأة اجتهدية .

(٤٩) عبارة غير مقروءة

(٥٠) فى الأصل : محدثة .

(٥١) اسم افرنجى غير مقروء .

١٩٨٤

وجرفنا هذا إلى الكلام على عوائد القوم في الأزياء والتفنن فيها ،
 فرأيناها تبغض التألق فيها ، وتبدي الأسف من وصول نساء بنى جنسها
 إلى الدرجة التي وصلن إليها ، فقلت : إني أتمنى أن يلزم من بنوع من الزى
 خاص بهن ، لا يتبدل ولا يتغير . فقالت : إن أول من يستحسن ذلك .
 ثم انجر الكلام إلى الإنجليز في مصر ، فقالت : إنهم أصلحوا كثيرا ،
 وأدخلوا نظمات كثيرة في مصر . وعن الفرنسيين وهيئاتهم فقالت :
 إنهم قليلو التقليد في البلاد ، ولذلك يحافظون على القديم ، ولا يتقدمون
 كثيرا . وكانوا يفعلون كثيراً في تونس لو كانت أيديهم مطلقة بها .
 وعلى الانتخابات ، فقالت : إن هذا من نتائج الحرية ، والحكومات
 الآن أصبحت ، بفضل الانتخابات العامة ، في أيدي الغوغاء الذين
 لا يملكون شيئا ، ويلتفون حول ذوى الغايات من محبى القلاقل والفتن .
 ولقد وصلنا هذه المدينة (. . .) فوجدناها جميلة . وزرنا بعض
 فنادقها وتغدينا في أحدها . ورجعنا الساعة خمسة إلى سالسبورج .

[ص ١٢٨٨]

في الساعة تسعة وعشرين دقيقة من صبيحة هذا اليوم ، توجهت مع
 الترام الوابورى إلى Berchtesgaden^(٥٢) . وهى بلد جميلة منازلها منتشرة
 هنا وهناك ، ومناظرها جميلة للغاية ، وفيها كثير من الفنادق . ولكن كل
 ما فيها ساكن ولا حركة فيه . وهى عظيمة جدا للذين ليس عندهم هموم
 ولا أقدار ، لأنها بسكونها ، لا تدخل في الذهن معلومات جديدة ،
 ولكنها تبعث الأفكار (. . .)^(٥٣) فيها ، وتحمله على الجولان فيها .

(٥٢) كتبها سعد زغلول Berchetsgaden وهو خطأ .

(٥٣) كلمة غير مقروءة .

١٩٨٥

وإني أختارها للمؤلفين الذين يحبون السكون ، لجمع أفكارهم ، وللعروسين في شهر العسل ، وللمكدورين في أعمالهم — لا الذين تهددهم الحوادث ، أو تشغلهم الأكداد .

ولذلك لم أمل إليها ، ورحلت عنها بعد أن تغذيت في جراندي أوتيل^(٥٤) وشتت فيه كتاب Bedecre وهو الدليل في السياحة^(٥٥) ولم نزر (. . .)^(٥٦) لعدم كفاية الوقت .

[ص ١٢٨٧]

في هذا اليوم فطرنا ، وطفنا في عربة لبعض التزهات . ثم توجهنا إلى وكالة كوك ، وعهدنا إليه أمر حجز محلات لنا في الوابور الذي يقوم من تريستا في ٢٤ سبتمبر ، ثم تريضنا في حديقة ميرابيل^(٥٧) وبعد ذلك عدنا فتغذينا ، وغننا .

ثم في الساعة خمسة وربع لبسنا ثيابنا ، وخرجنا إلى قاعة المطالعة ، فمكثنا بها حتى انقطع المطر ، الذي كان ابتداءً يتساقط . ثم خرجنا إلى المدينة ، فمشينا في بعض أرجائها ، وعدنا ، فأخذنا الجرائد الواردة من مصر ، وإذا فيها أمران إستدعيا أن نفكر فيهما :

الأول : المظاهرة التي عملت إلى جاويش في الصباح وفي المساء من يوم ٢٨ ، ٢٩ يولية ، أثناء محاكمته على الخبر الكاذب الذي نشره ! فرأينا (أولا) أن هذه المظاهرة ، على ما وصفتها بعض الجرائد ، لا بد أن تكون

(٥٤) Grand Hotel في الأصل .

(٥٥) وقد تقرأ « السباحة » .

(٥٦) كلمة أجنبية غير مفرومة .

(٥٧) في الأصل : Mirabel .

١٩٨٦

مدبرة ، وأنها مضرّة بقضية الحزب الوطنى ولا نافعة له . والذين يتفكرون فيها مثلنا لا يسعهم إلا أن يسخروا منها .

والثانية ، التلغرافات التى دلت على حسن ما لاقى الوفد المصرى فى لوندريه من الإكرام ، سواء كان من جهة أعضاء اللجنة البرلمانية المصرية ، أو من جهة ناظر الخارجية . وأحس أن فى الأمر نوعاً من المبالغة ، وأن أباطلة أذاع ذلك حتى يجعل لنفسه أهمية ، وحتى يتظاهروا له عند حضوره . ولا بد أن اللواء وأذنايه لا يهتمون^(٥٨) لذلك وسنرى .

[ص ١٢٨٦]

أصبحت السماء مغيمة ، والأمطار هاطلة ، وقواى خائفة ، وشهيق ضعيفة . فلم أخرج من الأودة ، ومكثت أكتب ما عَن لى ، ولم أنم إلا قليلاً ، وكان أغلب نومى حلمًا ، وأغلب حلمى قابضاً للمصدر !

رأيتنى بحضرة الخديوى ، وكان يكلم بعض الناس ، فانتظرت حتى انتهى الحديث بينهما ، وهممت بالإنصراف ، فأشار بالبقاء ، وقال : ما الخبر ؟ فقلت : لا شئ ، وإنما المأمورية التى كلفت الشيخ على يوسف حصل فيها كذا وكذا (نسيت التفصيل) . ولم يكن الشيخ على كلفنى أن أبلغ شيئاً عنها ، ولا أدرى كيف انتحلت لنفسى ذلك . وكان جواب الخديوى : أعند هذا الأمر التافه حضرت ؟ فقلت : ولكى أتشرف بالمثل بين يديك .

وكأنى كنت جالساً أمامه على كرسى ، وهو قاعد على الأرض ، فنظر إلى رجله وقال : قص على شيئاً من الذى فعلت مُهماً ! فقلت : كثيراً ،

١٩٨٧

وأغلب ما فعلته مصدق عليه منك ! فلم يعجبه ذلك ، وظن أنني أريد الاحتجاج عليه .

ثم ذهبت متكدرا ، وقابلت جمعا من الإنكليز يغادر قناة فتحوها^(٥٩) ، وكأنه كان نشأ عنها نزاع وانحسم لصالحهم . فاستلفتهم إلى الاحتجاج بالحكم الصادر لهم ، فاحتجوا ونجحوا .

ونحن عائدون قال لي الخديوي : (...) فقلت : إن لا دخل لي في ذلك ، ولكن كأنه يشير إلى (...)^(٦١) تلقين الاحتجاج .

وقد قصصت المنام على زوجتي ففسرته بما هو خير ، وبأنه سيكون لي خير كثير ، والله محقق الأحلام ومزيل الأوهام !

[ص ١٢٨٥]^(٦١)

سافرت إلى بودابست في الساعة^(٦٢) الثانية و٤٥ دقيقة من بعد الظهر ، ووصلت إليها في الساعة . وقد أقمت في فندق هنجاريا^(٦٣) وهو فندق جميل ، وموقعه طيب ، وحجراته مريحة ، ومطبخه فاخر ، وخدمته^(٦٤) ممتازة .

(٥٩) في الأصل فاتحوها .

(٦٠) كلمة غير مقروءة .

(٦١) عبارة غير مقروءة . ويجدر القول بأن النصف الثاني من الصفحة غير مقروء تقريبا ، بسبب سرعة خط سعد زغلول .

(٦٢) (م) الصفحات من ١٢٨٥ إلى ١٢٧١ مكتوبة بالفرنسية ، وتقرأ عكسيا .

(٦٣) كتبها سعد زغلول heure وصحتها heures .

(٦٤) في الأصل : Hungaria (أي المجر) .

(٦٤) كتبها سعد زغلول cervice وصحتها Service .

١٩٨٨

ولقد أعطونا حجرة جميلة^(٦٥) تطل على الدانوب ، كما تطل على منظر بديع . وبمجرد أن وصلنا ، أعطى لنا رئيس الخدمة^(٦٦) ورقة^(٦٧) تحمل رقم حجرتنا ، وكان ٢٠١ ، ورافقنا جارسون^(٦٨) اصطحبنا^(٦٩) حتى المصعد .

وعندما وصلنا للدور الثانى ، استقبلنا آخر آرائنا الحجرة . وقبل أن نفحصها قدم لنا ورقة^(٦٧) لكى أسجل عليها اسمى . ولأنى كنت متعبا^(٧٠) فقد تسلمتها بشيء من الامتناع (ص ١٢٨٤] وتركنا دون أن يأخذ الورقة إلا اليوم التالى .

ولقد نزلنا بعد ما غسلنا أيدينا إلى حجرة^(٧١) الطعام . وكنت قد سبقت زوجتى وسألت عن مكان تلك الحجرة ، فأشاروا لى إلى الطريق الذى يوصل إليها ، وهو يمر بدورة المياه^(٧٢) ثم الحجرة الملحقة بالمطبخ . وقد عتقدت فى البداية أنهم أساءوا فهمى ، فعدت أدراجى سريعا ، وكررت نفس السؤال ، وقيل لى نفس الرد ، ووجدت أناسا يسلكون نفس الطريق ، فسلكته حيث شممت رائحة المطبخ التى أتعبتنى . وأخيرا دخلت إلى حجرة الطعام ، وطلبت قائمة الطعام ، واخترت المنضدة ،

(٦٥) كتبها سعد زغلول un belle وصحتها une belle .

(٦٦) كتبها سعد زغلول cervice وصحتها service .

(٦٧) كتبها سعد زغلول une papier وصحتها un papier وقد عاد وكتبها صحيحة .

(٦٨) كتبها سعد زغلول garçon وصحتها garçon .

(٦٩) كتبها سعد زغلول aménés وصحتها emmenait .

(٧٠) كتبها سعد زغلول fatigé وصحتها fatigué .

(٧١) كتبها سعد زغلول sal وصحتها salle .

(٧٢) كتبها سعد زغلول les lieux d'aisances وصحتها aisances أى بيت

الراحة ، وهو الاسم القديم الذى كان يطلق عل دورة المياه .

١٩٨٩

وخرجت لكى أبحث عن زوجتى [ص ١٢٨٣] وكانت قد نزلت وحدث معها نفس القصة وانتابها نفس الشعور . وقد قيل إن هناك اصلاحات تجرى فى غرفة الطعام ، وإن استخدام هذه الغرفة مؤقت ، وأشاروا علينا بسلك ممر آخر يؤدى بنا إلى تلك الحجرة الملعونة، ولكن لكى نصل إليه يجب علينا أن نذهب إلى الدور الأول ! ولذلك فضلنا هذا على مضايقة الممر الآخر لمدة ثلاثة أو أربعة أيام . وبعد ذلك انتهت الاصلاحات ، وأصبح لدينا حجرة طعام ممتازة . وهم يخدمونا خدمة طيبة . ويعاملوننا معاملة حسنة تختلف عن معاملتهم لكل الناس بالفندق .

وقد قدموا لنا مرشدا يجيد الفرنسية ، علما بأن أصله ايطالى ، وكان يكره المجرين كراهية شديدة . وهو [ص ١٢٨٢] رجل ضخم ويبلغ الستين من عمره تقريبا ، وكان يوجه النقد دائما إلى المجرين (٧٣) وإلى عاداتهم .

وقد زرنا معه البرلمان الجديد ، الذى يعتبر بناء أثريا ضخما ، ثم الكاتدرائية ، والغابة (٧٤) ، ونادى دى بارك ، وجزيرة (٧٥) مرجريت . ثم طردناه بعد ذلك بيومين .

وعلى باب الفندق كان يوجد سعاة ، يرتدون قبعات حمراء مكتوب عليها أرقامهم (٧٦) . وقد وجدت أحدهم يعرف التحدث بالفرنسية ، وكان يتقاضى فى المتوسط فرانك يوميا . وكان يصحبنا غالبا (٧٧) ، وزرنا

(٧٣) كتبها سعد زغلول Hungrois وصحتها Hongrois .

(٧٤) كتبها سعد زغلول Boi وصحتها Bois .

(٧٥) كتب سعد زغلول هذه الكلمة l'il وصحتها l'ile .

(٧٦) كتبها سعد زغلول numero وصحتها numero .

(٧٧) كتبها سعد زغلول souvent وصحتها Souvent .

١٩٩٠

معه المحلات التجارية^(٧٨) ، وكثيرا من الأماكن في « بودا » ، ومنها مقبرة لأحد الأتراك يدعى [ص ١٢٨١] جال بابا ، كان الأتراك قد اشترطوا^(٧٩) على المجر في معاهدة السلام^(٨٠) التي عقدتها الحكومتان ، أن تحتفظ به إلى الأبد . وكانت المقبرة موجودة في فناء منزل مهندس معماري ، وتتكون من حجرة^(٨١) لا تتجاوز أبعادها ٢٠ مترا ، وقد عُلقت على حوائطها^(٨٢) بعض اللوحات التي^(٨٣) كتب عليها أبيات من الشعر التركي ، وبعض أسماء الخلفاء الراشدين ، مثل عمر وعلى .

لم أتصابق من اقامتي في تلك المدينة ، ولكن كانت الأفكار السوداء^(٨٤) ، تتابني دائما ، فقد كنت أفكر في الموت^(٨٥) وفقدان الأصدقاء ، وفي مركزي الحساس ، وفي الافتراءات^(٨٦) التي كنت موضوعها منذ تعييني وزيرا .

[ص ١٢٨٠]

كنت أقرأ صباح كل يوم (الفيجارو والطان والماتان)^(٨٧) ولم أكن

- (٧٨) كتبها سعد زغلول magazans وصحتها magasins .
- (٧٩) كتبها سعد زغلول Stibulé وصحتها Stipulé .
- (٨٠) كتبها سعد زغلول Pai وصحتها Paix .
- (٨١) قراءة تقريبية .
- (٨٢) كتبها سعد زغلول les mur وصحتها les murs .
- (٨٣) كتبها سعد زغلول lesquelles وصحتها lesquels .
- (٨٤) كتبها سعد زغلول noirs وصحتها noires .
- (٨٥) كتبها سعد زغلول la mor وصحتها la mort .
- (٨٦) كتبها سعد زغلول calomens وصحتها calomnies .
- (٨٧) Le Matin, Le Temps, Le Figaro

١٩٩١

أتسلم من جرائد مصر سوى بعض الصحف^(٨٨) الأوروبية^(٨٩) . ولم أكن أعرف بالضبط ماذا أريد ؟ إننى لا أستطيع أن أغير طبيعة^(٩٠) البشر ، وإذا قدر لى الاختفاء فليس هذا خطئى ، وإذا مت^(٩١) حتما^(٩٢) إن أجلا أو عاجلا ، فهو القانون^(٩٣) الذى يحكم العالم ، والذى لا يمكن عمل أى شئ تجاهه . أما بالنسبة لمنصبى فهو فى الحقيقة صعب^(٩٤) وحساس جدا ، ولكن ما العمل ؟ إننى لا أستطيع أن أفعل شيئا سوى أن أبذل قصارى جهدى لخدمة بلدى ، سواء جوزيت على ذلك بالسب أو بالمعروف . ولذلك لم يبق لى سوى العناية الإلهية أترك نفسى لها^(٩٥) [ص ١٢٧٩] ، فإذا تطلبت الظروف منى أن أترك هذا المنصب ، فإنى أتركه بطيب خاطر^(٩٦) لأننى فى الحقيقة لم أربح شيئا من ورائه ، بل خسرت عطف الشعب والأصدقاء . وإنى لأمل أن أتمكن من استعادة ذلك بقليل من الجهد والصبر^(٩٧) . لأن ..^(٩٨)

-
- (٨٨) كتبها سعد زغلول feuille وصحتها feuilles .
 (٨٩) كتبها سعد زغلول europeans وصحتها européennes .
 (٩٠) كتبها سعد زغلول natur وصحتها nature .
 (٩١) كتبها سعد زغلول meur وصحتها meurs .
 (٩٢) كتبها سعد زغلول fatalement وصحتها fatalement .
 (٩٣) كتبها سعد زغلول la loi وصحتها La Loi .
 (٩٤) كتبها سعد زغلول difficil وصحتها difficile .
 (٩٥) قراءة اجتهدية .
 (٩٦) فى الأصل : بدون نفور . وقد كتبها سعد زغلول sans repunance وصحتها repunance .
 (٩٧) قراءة اجتهدية .
 (٩٨) لم يكمل سعد زغلول الكلام

١٩٩٢

[ص ١٢٧٨]

كتب الأستاذ دييوا دي برن^(٩٩) كتابا هاما بعنوان : « الأمراض النفسية والعصبية ، وعلاجها الطبيعي » وقد أشارت جريدة « الفيجارو » في عددها الصادر يوم ٦ سبتمبر ١٩٠٨ إلى هذا الكتاب الهام^(١٠٠) وتحدثت أيضا عن عمل آخر للدكتور العالم مورييس دي فلوري^(١٠١) ، عنوانه : « مقدمة في الطب الروحي » . ويسمى هذان الأستاذان إلى مدرستين متعارضتين . وأريد أن أقتني هذين الكتابين . وهناك كتاب : « أمراض الحيوية » ، بقلم ألبرت دي شان^(١٠٢) .

[ص ١٢٧٧]

لقد قرأت في جريدة « لوفار دالكساندرى »^(١٠٣) أن محكمة القاهرة برأت شاويش^(١٠٤) من التهمتين اللتين نسبتا له ، وإن هذا الحكم قد

. le Professeur Debois de Pern (٩٩)

(١٠٠) كتبها سعد زغلول remarquable وصحتها remarquable

(١٠١) Maurice de fleury

. D. Albert Des Champs تأليف Maladies de L'énergie (١٠٢)

(١٠٣) le phare d'Alexandrie ومعناها فناء الإسكندرية .

(١٠٤) هو الشيخ عبد العزيز جاويش ، وكان سعد زغلول يكتب اسمه « شاويش » وكانت النيابة العامة قد أقامت دعوى على الشيخ جاويش بتهمة اهانة وزير الحرية ، ونشر أخبار مثيرة للخواطر ، عن حادثة الكاملين الشهيرة ، وهي بلدة بالسودان قامت فيها ثورة برئاسة زعيم يدعى الشيخ عبد القادر ، وقد قبض عليه وعلى أتباعه ، وقضت المحكمة المدنية الكبرى بأعدام اثني عشر وبالسجن المؤبد على ثمانية ، وقد استبدل حاكم السودان أحكام السجن المؤبد بالأعدام . وقد نشرت =

١٩٩٣

قوبل بالهتاف^(١٠٥) من الحاضرين^(١٠٦) .

ومن جهة أخرى ، قرأت في جريدة « ليجيت »^(١٠٧) أن صحيفة « الجريدة » نشرت مقالا :^(١٠٨) جاء فيه إن الذين يعارضون الدستور إنما هم الوزراء^(١٠٩) وكبار الموظفين والإنجليز^(١١٠) . وانتقد الوزراء بمراة ، ملمحا إلى كلمة كنت قد قلتها لرئيس تحرير^(١١١) ، هذه الجريدة ، وهي أنني مستعد لتقديم استقالتي إذا حل مكانى شخص آخر .

[ص ١٢٧٦]

وقد صدمنى هذا التلميح ، كثيرا ، وأعطاني فكرة^(١١٢) سيئة جدا عن هذا الرجل الذى كنت أعتبره صديقا ! ولقد لازمنى هذا الإنطباع السيء طوال اليوم^(١١٣) ، وذكرنى بسوء حظى مع أصدقائى^(١١٤) ، ومع الناس الذين فعلت بهم خيرا . وحتى الآن وأنا أشعر بقرف .

= « اللواء » أخبار المحاكمة فى عدد ٢٨ مايو ١٩٠٨ تحت عنوان « دنشواى أخرى فى السودان ، ٧٠ مشنوقا و١٣ سجيناً » ، فعدت الحكومة هذه المقالة اهانة لوزير الحربية . ونظرت القضية فى شهر يولية ١٩٠٨ ، وحكم ببراءة جاويش .
(١٠٥) كتبها سعد زغلول a été aclame وصحتها a été acclamé .

(١٠٦) قراءة اجتهدية .

(١٠٧) l'Egypte .

(١٠٨) كتبها سعد زغلول un article وصحتها un article .

(١٠٩) كتبها سعد زغلول les ministres وصحتها les ministres .

(١١٠) كتبها سعد زغلول anglais وصحتها anglais .

(١١١) كتبها سعد زغلول rédacteur وصحتها rédacteur .

(١١٢) كتبها سعد زغلول idée وصحتها idée .

(١١٣) كتبها سعد زغلول toute la journée وصحتها tout la journée .

(١١٤) كتبها سعد زغلول mes amis وصحتها mais amis .

كنا في النادي^(١١٥) منذ الساعة السابعة حتى الساعة العاشرة والنصف ، وقضينا وقتا مسليا .

[ص ١٢٧٥]

استيقظنا^(١١٦) اليوم مبكرين ، ووجدت نفسي رائق المزاج^(١١٧) ، ونحيل إلى أن الأفكار السوداء^(١١٨) التي تراودني^(١١٨م) أحيانا ، تنتج^(١١٩) عن اضطراب المعدة ، لأنى أشعر الآن بتحسن .

في هذه الساعة من المساء جاء من يقرع باب حجرتى . وقد سمحت له بالدخول^(١٢٠) معتقدا أنه مندوب التزوى الذى وعدنى بإرساله لكى يأخذ منى الجاكيت^(١٢١) لإصلاحه^(١٢٢) .

فوجدت رجلا لا يبدو عليه مظهر^(١٢٣) الخدم ، وقدم لى بطاقة مكتوب

-
- (١١٥) كتبها سعد زغلول Circle وصحتها cercle .
 - (١١٦) كتبها سعد زغلول reveille وصحتها reveillés .
 - (١١٧) كتبها سعد زغلول umeur وصحتها humeur .
 - (١١٨) كتبها سعد زغلول noirs وصحتها noires .
 - (١١٨م) كتبها سعد زغلول frecon وصحتها frequentent .
 - (١١٩) كتبها سعد زغلول vienent وصحتها viennent .
 - (١٢٠) كتبها سعد زغلول l'entr وصحتها l'entrée .
 - (١٢١) كتبها سعد زغلول Jaquete وصحتها Jaquette ، ولكن سعد كتبها صحيحة فى ص ١٢٧٤ .
 - (١٢٢) كتبها سعد زغلول courriger وصحتها corriger .
 - (١٢٣) كتبها سعد زغلول l'er وصحتها l'air .

١٩٩٥

عليها : هاباس برتلان^(١٢٤) (. . .)^(١٢٥) . [ص ١٢٧٤] وسألته عما يريد ، فأجاب بلغة لا أعرفها ، فسألته عما إذا كان يعرف الفرنسية فأجاب بأنه لا يعرفها على الإطلاق . وكنت قد أمسكت بسترى ودعوته لأخذها ، ولكنه رفض ، وقال كلاما غير مفهوم^(١٢٦) . ودققت الجرس عدة مرات لدعوة الخادم الذى يجيد الفرنسية ، ولكن ما من مجيب^(١٢٧) . وفى النهاية حذرت أنه صحفى يريد إجراء حديث معى ، فأفهمته^(١٢٨) أنه يمكنه العودة غدا مع مترجم . وانصرف .

وقضيت الليلة هادئا ، رغم أن صدرى كان يؤلى قليلا . ولكننى أشعر اليوم أننى أحسن حالا .

[ص ١٢٧٣]

لم أغادر المنزل بعد ظهر أمس ، فقد جلست مسترخيا أرقب الشارع^(١٢٩) وقرأت كل الجرائد التى وصلت من مصر . وقد اتفقت الصحف الأوروبية^(١٣٠) جميعها^(١٣١) على أن المصريين الذين يرمون فى

. Habas Bertalans (١٢٤)

(١٢٥) كلمة مطموسة بالخبر .

(١٢٦) قراءة اجتهدية .

(١٢٧) كتبها سعد زغلول il a pas وصحتها il n'a pas .

(١٢٨) كتبها سعد زغلول je lui fait comprendre وصحتها je lui fais

. comprendre

(١٢٩) قراءة اجتهدية .

(١٣٠) كتبها سعد زغلول europeans وصحتها européens .

(١٣١) كتبها سعد زغلول tout وصحتها tous .

١٩٩٦

أحضان تركيا^(١٣٢) طالبين منها الإغاثة^(١٣٣) ، هم جهلاء^(١٣٤) أو يفتقرون إلى الخلق والمهارة^(١٣٥) . وتقول إن المصريين يجب عليهم ألا يعتمدوا^(١٣٦) إلا على أنفسهم فقط ، وأن الإنجليز^(١٣٧) أفادوا مصر كثيرا ، وعلى الأقل فإنهم أنسوهم^(١٣٨) الشرور التي ألحقتها بها الأتراك أثناء^(١٣٩) إدارتهم .

وتعليقا على الخبر [ص ١٢٧٢] الذي يقول إن الخديوى لم يحضر إحتفال^(١٤٠) عيد ميلاد جلالة السلطان (. . .)^(١٤١) قالت الصحيفة : إنه لا يجب عليه الذهاب إلى القسطنطينية ، وإنه سيجد عند عودته لوطنه استقبالا^(١٤٢) حسنا سوف ينسيه ما قوبل به^(١٤٣) في عاصمة الأتراك . وقد ذهب البعض إلى حد القول بأن رجال « تركيا الفتاة »^(١٤٤)

-
- (١٣٢) كتبها سعد زغلول Turqui وصحتها Turquie .
 - (١٣٣) كتبها سعد زغلول Secourt وصحتها Secours .
 - (١٣٤) كتبها سعد زغلول igniorants وصحتها ignorants .
 - (١٣٥) كتبها سعد زغلول maladrois وصحتها maladroïts .
 - (١٣٦) كتبها سعد زغلول comter وصحتها compter .
 - (١٣٧) كتبها سعد زغلول anglais وصحتها anglais .
 - (١٣٨) كتبها سعد زغلول il وصحتها ils .
 - (١٣٩) كتبها سعد زغلول pandant وصحتها pendant .
 - (١٤٠) كتبها سعد زغلول cérémonie وصحتها cérémonie .
 - (١٤١) عبارة غير مفهومة .
 - (١٤٢) كتبها سعد زغلول acquille وصحتها accueil .
 - (١٤٣) كتبها سعد زغلول ce qui a rencontré وصحتها qu'il a rencontré .
 - (١٤٤) كتبها سعد زغلول Jeunens وصحتها jeunes .

هم الذين منعوا السلطان من إستقبال الخديوى .
وللتخفيف من شدة (٢١٤٤) [ص ١٢٧١] هذه الرواية (١٤٥) ،
فإن رجال القصر ، فيما يبدو لى ، أذاعوا أن الخديوى دعى إلى
القصر (١٤٦) ولكن جلالة السلطان لم يتناول معه طعام العشاء .
وقد سمعت من يوسف صديق (١٤٧) ، أحد رجال الخديوى
المقربين ، والذي كنت قد قابلته فى فينا فى أواخر الشهر الماضى ، عندما
كان يتفاوض مع كونتيسة (١٤٨) الخديوى ، أن الخديوى حظى بمقابلة
السلطان (١٤٩) ولكن جلالته لم يقل له شيئا سوى الجملة التالية « أتعشم
أن تكون قد قمت برحلة طيبة فى أوروبا » !

(١٤٤م) كتبها سعد زغلول regeur وصحتها rigueur .

(١٤٥) كتبها سعد زغلول version وصحتها version .

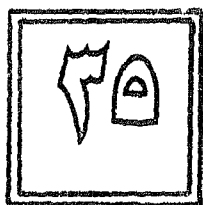
(١٤٦) كتبها سعد زغلول Palait وصحتها Palais .

(١٤٧) يوسف صديق بك ، درس الحقوق فى مونبلييه فى فرنسا ، وعندما كون
الخديوى عباس حلمى حوله مجموعة فرنسية من معارضى الاحتلال البريطانى للعمل
للاستقلال ، كان يوسف صديق بك قاضيا وطنيا فى المحاكم المختلطة ، وقد دخل
فى هذه المجموعة . وقد أصر اللورد كرومر على فصله مع اسماعيل الشيمى . وفى
أثناء الحرب العالمية الأولى ظل مع الخديوى عباس حلمى فى تركيا وأوروبا ، ولكنه
اختلف معه وانفصل عنه .

(١٤٨) كتبها سعد زغلول Conesse وصحتها comtesse .

(١٤٩) كتبها سعد زغلول Sultin وصحتها sultan .

١٩٩٩



الكراسة السادسة والعشرون

الجزء الأول

٢٠٠١

الكراسة السادسة والعشرون

الجزء الأول

من ص ١٣٨٧ - ص ١٣٨٦

(عدا تنازليا)

يوم ٢٥ مارس ١٩١٢

المحتويات :

- ديون سعد بسبب لعبه القمار .

٢٠٠٣

[ص ١٣٨٧]^(١)

يوم ٢٥ مارث سنة ١٩١٢ الساعة ٨ صباحا .

أصبحت منقبض الصدر ، ضائق الذرع ، ولم أنم ليلي ، بل بف طوله تساورني الهموم والأحزان ، وأتنفس الصعداء على ما فرط مني من اللعب ، وضياح الأموال التي جمعتها بكد اليمين وعرق الجبين ، وصيرورتي في حالة سيئة .

ولقد كان يجب عليّ - خصوصا في هذه الأيام التي تزعزع فيها مركزي - أن أكف عنه حفظا للبقية الباقية منه ، واتقاء أن أصير على ما أنا فيه من الضيق الشديد ، لأنني صرت مدينا في المبالغ الآتية :

(١) وردت صفحة ١٣٨٧ قبل صفحة ١٣٨٦ . وقد وردت الصفحتان في وسط الكراسة التي سجل فيه سعد زغلول مذكراته من ٢٥ سبتمبر ١٩١٥ إلى ٧ أكتوبر سنة ١٩١٦ .

	٢٠٠٤
إلى البنك الألماني الشرقي	٣١٥٠
إلى بنك روما	٢٠٠٠
إلى الكلوب	٠٢٠٠
إلى التجار	٠٢٠٠
إلى الخياط وبيع الأقمشة في باريس	٠١٠٠
	٥٦٥٠
تكملة مصروفات البيت لغاية شهر ديسمبر	٠٥٠٠
مصاريف السفر	٠٤٠٠
	٦٥٥٠

[ص ١٣٨٦]

	الإيرادات
إيجار أطيان	١٥٠٠
قيمة مائتي غزال ^(٢)	١٩٥٠
	٣٤٥٠

(٢) قراءة تقريبية . وقد يكون القصد في هذه الحالة : « مائتي مغزل » ! وقد تكون القراءة : قيمة ما على غزال » ! وفي هذه الحالة يكون « غزال » اسم شخص عليه لسعد زغول ١٩٥٠ جنيه .

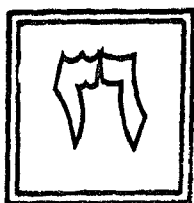
وفي كل من الحالتين فإن سعد زغول لم يحسب هذا المبلغ ، وهو ١٩٥٠ جنيه في إيراداته الدائمة ، التي قدرها بـ ٢٠٠٠ جنيه .

٢٠٠٥

على أن تقدير الأيجار بهذا المبلغ ليس مطابقاً للواقع في جميع الأحوال ، فقد ينقص كثيرا ولا يزيد إلا قليلا . والأحوط تقديره بمبلغ ١٢٠٠ جنيه في السنة . فإذا أضيف عليه مبلغ المعاش ٨٠٠ جنيه كان المجموع ٢٠٠٠ جنيه . وهو ما يلزمني للمصرف منه حتى أعيش تقريبا مثل ما أنا الآن عائش !

أنساني هم المال هم المنصب ! وأصبحت لا أفكر في خروجي ولكن في تنظيم معاشي !

٢٠٠٧



الكراسة الخامسة والعشرون

٢٠٠٩

الكراسة الخامسة والعشرون

من ص ١٣١٢ - ص ١٣٥٠

المحتويات :

- مقابلة سعد زغلول للسلطان حسين كامل يوم ٨ مارس ١٩١٥ ، وشكوى السلطان من تلامذة الحقوق والمعلمين الخديوية ، واستعطاف سعد له من أجلهم .
- السلطان حسين يذكر لسعد زغلول انه استبقى دنلوب بعد موقف التلاميذ منه .
- السلطان حسين يبدي رأيه في اختصاصات الجمعية التشريعية ويستبعد منها الأوقاف والمحاكم الشرعية والمجالس الحسينية . وسعد يدافع عن الجمعية .
- سعد يرى أن السلطان عاجز عن فعل الخير لأتمته منذ توليه السلطة .

- تعديلات رشدى باشا على القانون النظامى بخصوص الجمعية التشريعية واعتراضات سعد زغلول عليها ومهاجمته الوزارة .
- إثارة فكرة تعيين سعد زغلول وزيرا لأول مرة . ورد فعل سعد عليها .
- موقف سعد زغلول من حادثة مدرسة الحقوق ، وتدخله لدى رشدى باشا للعفو عن الطلبة .
- رأى سعد زغلول فى سياسة السلطان حسين ، وكيف أدت إلى استخفاف الناس به .
- فكرة عقد الحكومة المصرية قرضا أثناء الحرب ، واعتراض سعد عليها .
- عدول الحكومة عن استدعاء الجمعية التشريعية للانعقاد .
- سعد زغلول يعترض على نفى المواطنين المعارضين للحلفاء بأمر السلطة العسكرية البريطانية .
- عفو السلطان حسين عن تلامذة الحقوق باستثناء سبعة عشر ، ودفاع سعد زغلول عن هؤلاء الطلبة .
- مذكرة رشدى باشا للوكالة البريطانية برأى الحكومة فى مستقبل النظام السياسى فى مصر بعد الحماية بخصوص شكل الدولة ، وعلاقتها بإنجلترا ، واختصاصات الجمعية التشريعية ، واعتراض سعد زغلول على المذكرة ، وتنديده بالسلطان والوزارة .
- استياء السلطان حسين من كتاب اللورد كرومر عن عباس الثانى .
- ترويج الجرائد لفكرة تأجيل انعقاد الجمعية التشريعية .

- مقابلة سعد زغلول للسلطان يوم ١٧ مارس ، وحديث السلطان عن الحملة التركية على مصر ، وقصائد الهجاء ضده ، وأحوال الأوقاف الخصوصية ، وصعوبة موقفه .
- حديث رشدى باشا مع سعد زغلول عن مؤامرات محمد سعيد باشا لدى السلطة العسكرية ، وطعنه على مظلوم باشا رئيس الجمعية التشريعية .
- مكماهون يرفض الانتقال إلى السلطان حسين فى قصر عابدين ، ويطلب منه الانتقال إليه فى دار الحماية . وغضب السلطان حسين لهذا الطلب .
- الخلاف بين السلطان حسين ومكماهون حول حفل تسليم نيشان ملك الانجليز اليه .
- معارضة سلطة الحماية فى العفو عن شقيق مصطفى كامل .
- سعد زغلول يرى أن السلطان ووزرائه بعد الحماية أصبحوا يستمدون سلطتهم من الحماية .
- مقابلة سعد زغلول للسلطان حسين يوم ٢٣ مارس ١٩١٥ ، وحديث السلطان معه حول اتصالات الخديوى عباس حلمى بألمانيا وتسريه رسوم الاستحكامات ببجبهة القتال . وأسرار الحملة التركية على مصر ، وقطع السلطة البريطانية للموارد المالية عن الخديوى السابق .
- رفض سعد زغلول خضوع التعليم الدينى للجمعية التشريعية .
- استياء السلطان حسين كامل من إدارة الأزهر .
- اعجاب السلطان حسين بنبوية موسى ورغبته فى تعيينها فى الحرم السلطانى .

- مقابلة السلطان حسين لسعد باشا يوم ١٣ أبريل ١٩١٥ لاستطلاع رأيه في إنشاء معهد ديني للتعليم الابتدائي في عاصمة كل مديرية .
- شكوى السلطان حسين من فساد محمد سعيد باشا رئيس دائرة سيف الدين ، واعرابه عن عدم ثقته بإسماعيل صدقي باشا وزير الأوقاف .
- حادث اطلاق النار على السلطان حسين يوم ٨ أبريل ١٩١٥ ، ووقع الحادث عند الشعب .
- اجتماع مجلس إدارة الجمعية الخيرية الإسلامية .
- رغبة السلطان حسين في ترجمة العلوم المختلفة إلى اللغة العربية ، وتعميم التعليم باللغة العربية .
- مقابلة سعد زغلول مع مكماهون يوم الاثنين ١٢ أبريل ١٩١٥ ، وشكواه له من أن « نوم الجمعية التشريعية طال وثقل » ، ودفاعه عن الجمعية التشريعية ووجوب انعقادها ، وطلبه توسيع اختصاصها .
- استياء السلطان حسين لرفض ابنه الأمير كمال الدين حسين وراثته العرش من بعده .
- مقابلة سعد زغلول للسلطان حسين يوم ٢٠ أبريل ١٩١٥ .
- تقديم حسين رشدي باشا استعفائه من رئاسة الجامعة المصرية .
- مشكلة وراثته العرش بعد رفض البرنس كمال الدين حسين العرش ، واعتراض سعد زغلول على ترشيح الأمير أحمد فؤاد سلطانا على مصر .
- سعد يقترح أن تنتخب الجمعية التشريعية من عائلة محمد علي من يخلف السلطان حسين على العرش .

٢٠١٣

- رغبة السلطان حسين في العفو عن من اعتدى عليه ، ورفض السلطة العسكرية .
- اجتماع مجلس إدارة الجمعية الخيرية الإسلامية للنظر في مسألة التعليم .
- اعتراض سعد زغلول على سياسة وزارة المعارف في إلغاء البعثات ، والمعارضة في ترجمة الكتب الدراسية ، وعدم تعيين الوطنيين في مدرسة الحقوق .
- مقابلة سعد زغلول السلطان حسين كامل يوم ٢٨ أبريل ١٩١٥ ، وتنديد السلطان بالمدرسة الحربية ونظامها ، وتحذير سعد زغلول من إعلان هذا الرأي .
- طعن السلطان حسين على قلبي فهمي باشا لأنه يريد أن يجعل للأقباط وجوداً مستقلاً عن المسلمين .
- مهاجمة السلطان حسين للشيخ رشيد رضا .

٢٠١٥

[ص ١٣١٢]

يوم ٨ مارس سنة ١٩١٥^(١)

طلبت مقابلة السلطان^(٢) يوم الخميس ٤ مارس ، فكتب إلى كبير الأمناء بتحديد جلسة في يوم السبت الساعة ٦ والرابع مساءً . فدخلت

(١) انقطع سعد زغلول عن كتابة مذكراته من يوم ٢٦ سبتمبر سنة ١٩١٤ - أى لمدة خمسة أشهر واثني عشر يوما .
(٢) السلطان حسين كامل ، الذى عين فى ١٩ ديسمبر ١٩١٤ . وكان الخديو عباس حلمى قد سافر إلى الأستانة فى صيف عام ١٩٠٤ ، وعندما قامت الحرب العالمية الأولى فى ٥ أغسطس ١٩١٤، أظهرت إنجلترا عدم رغبتها فى عودته إلى مصر . ولما دخلت تركيا الحرب ضد إنجلترا وحليفاتها فى ٥ نوفمبر ١٩١٤ . إنتهزت إنجلترا الفرصة لإنهاء السيادة التركية على مصر ، وأعلنت حمايتها عليها فى ١٨ ديسمبر ١٩١٤ . وفى اليوم التالى لإعلان الحماية أعلنت بريطانيا خلع الخديو عباس حلمى عن العرش ، وتولية الأمير حسين كامل عرش مصر بلقب « سلطان » بدلا من « خديوى » ، باعتباره أكبر الأمراء الموجودين من سلالة محمد على .

فى ذلك الحين كانت الجمعية التشريعية قد عقدت فصلا تشريعيا واحدا انتهى =

٢٠١٦

عليه، وكان أمامه عباس بيك الدرملی، الأمين الثالث، يلقي على مسامعه - حسبها فهمت - حاصل تشييعه لجنازة طُرنيزُن باشا(٣)، الذي كان من موظفي المعية الخديوية، وتوفي في اليوم المذكور.

ولما انصرف عباس بيك، سألتني عن حالة البيت، وما تم بين الشقيقات، فأخبرته بأن القسمة تمت في كل شيء تقريبا، وأنهن يتكاملن ولكنهن لا يتزاورن(٤). فقال: إن كبيرتهن - مع الأسف - صارت سريعة التأثر، كثيرة الانفعال.

= في شهر يونية ١٩١٤ قبل نشوب الحرب، وعندما نشبت الحرب منعت انجلترا انعقاد الفصل التشريعي الثاني الذي كان مقررا ابتداءه في أول نوفمبر ١٩١٤ إلى أول يناير ١٩١٥، بحجة أن الظروف الجديدة قد تضطر السلطة التنفيذية إلى اتخاذ تدابير استثنائية ومستعجلة من حين لآخر.

وفي ٢٩ ديسمبر ١٩١٤ صدر مرسوم بتأجيل دور الانعقاد إلى فبراير ١٩١٥. ثم صدر مرسوم آخر بتأجيله إلى ١٥ إبريل، ثم إلى أول نوفمبر ١٩١٥، ثم أجلت إلى أجل غير مسمى بموجب المرسوم الصادر في ٢٧ أكتوبر سنة ١٩١٥. ولم تدع بعد ذلك إلى الانعقاد أبدا، وظلت البلاد بلا هيئة نيابية عشرة أعوام كاملة حتى صدر دستور ١٩٢٣.

(الرافعي: ثورة ١٩١٩، الجزء الأول الطبعة الأولى. مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٦).

(٣) (هو طورنيزون باشا (الميراخور)، وكان رجلا شديدا كبيرا، لدرجة أنه اعتبر مخاطبة مدير فندق سافوي في (كارلسباد له بلفظة «يا عزيزي» إهانة، وطلب مبارزته. (١)

(٤) الإشارة هنا إلى بيت سعد زغلول بعد وفاة مصطفى فهمي باشا، الذي خلف ثلاث كرميات قسمت التركة بينهن (انظر الجزء الرابع من مذكرات سعد زغلول (ص ٤١٠ وما بعدها).

٢٠١٧

ثم تأوه من الأحوال عموما ، ومن أحوال تلامذة الحقوق والمعلمين الخديوية ، وقال : إنه يشس من صلاحهم ، وإنهم تجاوزوا كل حد في الوقاحة وقلة الأدب ، وإن قلبه أصبح كسيرا من الأمة وشدة جهالتها وسوء أخلاقها ، وإنه عزم ألا يهتم بأمرها ، وأن يتركها وشأنها تعبت الحوادث بها .

فأخذت أستعطفه بأنه لا ينبغي أن يئأس ، ولا أن يؤاخذ كل الأمة بما صدر من بعض صغار أبنائها^(٥) .

فقال : إن الكبار كذلك سفهاء ! وأحلامهم طائشة ! أنظر كيف فعل أحمد بيك عبد اللطيف المحامي^(٦) ؟ فإني دعوته ضمن من عزمته من المحامين عندي ، فحضر قبل اليوم المعين إلى هنا ، وقال لسعيد باشا ذو الفقار ، كبير كبير الأمناء ، إنه لا يمكنه إجابة هذه الدعوة ، لأنه لا يعترف بسلطنة البرنس حسين ، ولا ينبغي له أن يعرفه كسلطان ! كما لا ينبغي أن يعرف الحماية الإنكليزية ، ولا أن يتردد عليها !

قال السلطان : وكنت أقدر أن أطلب من مكسويل ، قائد جيش الاحتلال ، نفيه إلى مالطة^(٧) لكونه ثوريا ، ولكني لم أفعل ذلك . ومن

(٥) كان السلطان حسين كامل قد زار مدرسة الحقوق يوم ١٨ فبراير ١٩١٥ ، ولكن طلبتها اتفقوا فيما بينهم على الامتناع عن الحضور في يوم الزيارة السلطانية . فلما جاء السلطان لاحظ غياب عدد كبير من الطلبة ، فأجرت الوزارة تحقيقا في الأمر ، أسفر عن فصل أربعة وخمسين طالبا وحرمان ١٣ طالبا من امتحان آخر العام وحرمان ١٨ طالبا من امتحان آخر العام مع إيقاف التنفيذ . (الرافعي نفس المصدر) .

(٦) أحمد عبد اللطيف بك المحامي من رجال الحزب الوطني . وكان من هيئة الدفاع عن الورداني في جريمة اغتيال بطرس غالي باشا .
(٧) في الأصل : ملطة .

منذ جلوسى وأنا أسدل المبرّات ، وأوالى النعم ، وأواسى ذوى الحاجات ، ولكن ليس فى الأمة من يعرف ذلك [ص ١٣١٣] ، ولا من يقدره قدره .

وتلامذة الحقوق لم يفعلوا مافعلوا إلا باغراء أشخاص معلومين ، فإن مرسى بدر - أحدهم - قريب الصوفانى^(٨) . وقد كنت أعرف ، قبل زيارتى مدرسة الحقوق بثلاثة أيام ، ما عزم التلاميذ عليه ، ولكنى ما باليت به ، ولن أبالى . وقد كنت سعت فى عزل دنلوب^(٩) من المعارف ، ولكنى عدلت عن هذا العزل ، واستبقيته ! ولم أقابل السير مكماهون^(١٠) إلا قليلا من المرات ، وسأقبله ! وأرى أن طرق التعليم الجارية غير ملائمة . وكذلك لا ينبغى أن تعقد الجمعية التشريعية ، ولا أن يكون لها صوت قطعى فى أمور الأوقاف والمحاكم الشرعية والمجالس الحسبية ، لأن الأوقاف تحت سلطتى ، ولا وجه لأن أتنازل عنها !

(٨) عبد اللطيف الصوفانى بك . من رجال الحزب الوطنى ، اشترك فى وفد اسماعيل باشا أباطة إلى لندن فى ١٤ يولية ١٩٠٨ . مما عرضه لغضب محمد فريد . وكان ممن هاجموا مشروع امتداد امتياز شركة قناة السويس فى الجمعية العمومية ، وكان معارضا للوفد بعد ثورة ١٩١٩ ، وهو من أبناء مديرية البحيرة . ومسقط رأسه بلدة أبو الخاوى مركز كوم حمادة . وتوفى فى ٢٤ مايو ١٩٢٥ - حسبما ورد فى إبراهيم مصطفى الوائلى : مفاخر الأجيال فى سير أعظم الرجال ص ١٠٣ .

(٩) فى الأصل : دنلوب .

(١٠) سير هنرى مكماهون Sir Henry Macmahon أول مندوب سامى بريطانى عين فى ظل الحماية ، وقد وصل إلى القاهرة فى ٩ يناير ١٩١٥ .

(للاستزادة أنظر حاشيتنا على صفحة ١٣٣٣ من المذكرات) .

٢٠١٩

فقلت : مهلا مولاي ! لا تترك اليأس يستولى على نفسك ، فإن حياتك ليست لك ولكنها للأمة ، وأنت سلطان ، وهذه رعييتك ، فاصبر عليها ، وقابل ما يبدو من بعض الطائشين من أبنائها بالحلم والرفق . وسياسة الأمم تقتضى كثيرا من التحمل وسعة الصدر .

ويمناسبة الجمعية التشريعية ، أعرض لعظمتكم أن أعطائها سلطة الرأى فى المسائل السالف ذكرها ، مع القيود التى علمنا بها من الجرائد ومن بعض النظائر - غير مناسبة ، خصوصا وقد علمت من هؤلاء أنهم هم الذين وضعوا هذه القيود !

فقاطعتى الحديث وقال : إنه لا يحسن الآن اعطاء شيء ما ! وعاد إلى حديثه الأولى .

فقلت : إذا كان أحمد عبد اللطيف خرج عن حده ، فبقية المدعويين من المحامين - وهم قريبا من الثلاثين - عرفوا لعظمتكم جميل إكرامها . وإذا كان بعض تلامذة مدرسة الحقوق ، وهم القليل - فإن أكثرهم ، وجميع تلاميذ مدرسة القضاء ، ومدرسة المعلمين الناصرية - أظهروا من الاحترام ماسر قلبكم . فلماذا يتغلب شر القليل على خير الكثير ؟ وهنا دخل كبير الأمناء ، مستأذنا لعدلى باشا وباغوث باشا ونوبار ، فنهض .

وانصرفت وقلبى [ص ١٣١٤] مملوء أسفا من هذه الحالة ، وشعرت بأن هذه الحدة تبدو من السلطان تعليلا لعجزه عن فعل الخير بصفة كونه سلطانا ، لأنه من عهد جلوسه لغاية الآن لم يأت^(١١) بعمل عام ترتاح إليه الأمة ، ولكنه أتى بأعمال شخصية - كإيلاء الولائم ، والإحسان على بعض المحتاجين ، وغير ذلك مما يحسن من الفرد ، ولكنه

(١١) فى الأصل : لم يأتى .

٢٠٢٠

أقل بكثير مما يطلب من الأمراء والملوك . والنغمة التي يضرب الآن عليها ، من التنديد بالأمة وأبنائها ، وتقبيح سيرتها ، والتشنيع بها ، تُطرب الإنكليز كثيرا ، وتمهد أمامهم السبل لإضعاف الناشئة ، وحرمان المصريين من حقوقهم الطبيعية .

وقد وقع في خاطري - بعد هذه المقابلة - أن بعض الوزراء لا يرفعون عن السعي لذيذة بالنميمة ، حتى ضد أصدقائهم ! إن السلطان ووزرائه ، وإن كانوا غير قادرين على فعل الخير ، يستطيعون فعل الشر ! ولذلك ينبغي التحرز منهم .

أما القيود - التي أشرنا سابقا إلى أن الوزراء قيدوا بها جعل رأي الجمعية التشريعية قطعيا في مسائل الأوقاف والمجالس الحسبية والمحاكم الشرعية - فهي :

أولا : يكون رأي هذه الجمعية قطعيا في مسائل الأوقاف وفي ميزانيته ، بشرط ألا تزيد المصروفات ، ولا تتحول .

ثانيا : أن يكون رأي هذه الجمعية قطعيا في المجالس الحسبية والمحاكم الشرعية ، بالنسبة لكل ما لا يرتبط بمسألة المالية .

وقد كان عرض على رشدي باشا^(١٢) التعديل ، المزمع ادخاله على القانون النظامي مشتملا على هذه الاختصاصات ، فاعتضت بشدة على هذه القيود ، وقلت : إن الأولى عدم اعطاء شيء ! لأن هذه القيود جعلت المنحة قليلة الأهمية ، ولا يصح أن تقابل مثل هذه المنحة التافهة - بعد ضياع البلد - بشيء من الإرتياح !

(١٢) حسين رشدي باشا ، رئيس الوزراء ، ولد في ١٨٦٣ وتوفي في ١٩٢٨ ، وكان والده طابو زاده محمود حمدي ، وكيلا لوزارة الداخلية ، وجده لأبيه حاكما لإقليم البرلس ، وكان جد أبيه قائدا عاما قهر الجنرال فريزر في معركة السنانية قرب =

٢٠٢١

ويظهر أنه استاء لهذا الاعتراض ، فزارني في المساء عدلى باشا ،
وفاتحنى الحديث في هذا الشأن ، [ص ١٣١٥] فأعدت له ما أبديته
لرشدى باشا ، بالشدة نفسها .

ولما علمت منه أن تلك القيود وضعها الرزراء من تلقاء أنفسهم ،
زادت شدتي ، وقلت : كيف ساغ لكم ، وقد كنتم تطلبون قبل الحماية
أشياء كثيرة للجمعية التشريعية ، أن تستكثروا — بعد إعلانها^(١٣) —
بعض ما طلبتم ، وتضعون له القيود ، بحجة أن الجمعية غير أهل
للإطلاق^(١٤) ؟ وكيف يصح لوزير مصرى أن يسم قومه بعدم الكفاءة
وهو واحد منهم ؟ ثم انصرف .

وفى يوم ١٨ فبراير — أى بعد هذا الحديث بيومين — أخبرني^(١٥) بأن

= رشيد ، ولذلك كان أول حاكم مصر حكم الإسكندرية بعد هذه المعركة .

حصل على ليسانس الحقوق من باريس في عام ١٨٨٥ ، وعلى الدكتوراه في
القانون من مدرسة باريس العليا ، وعين بقلم قضايا المالية عند عودته إلى مصر عام
١٨٩٢ ، ثم قاضيا في المحاكم المختلطة ، فمستشارا في محكمة الاستئناف ، ثم
مديرا لديوان الأوقاف ، فوزيرا للحقانية في عام ١٩٠٨ ، وتولى رئاسة الوزراء في ٥
أبريل ١٩١٤ ، واحتفظ لنفسه بنظارة الداخلية ، واستمر في الرئاسة بعد تولى
السلطان حسين كامل السلطنة ، وكان أول من لقب برئيس مجلس الوزراء عام
١٩١٤ ، واستمر في رئاسة الوزراء في عهد السلطان أحمد فؤاد ، وشارك من موقعه
كرئيس للوزراء في التمهيد لثورة ١٩١٩ ، واستمر في الوزارة حتى ٢٢ أبريل ١٩١٩
حين استقال بسبب اضطراب الموظفين المشهور . واختلف مع سعد زغلول ، وعين
رئيسا للجنة الدستور ١٩٢٢ ، فرئيسا لمجلس الشيوخ ١٩٢٦ .

(١٣) أى بعد اعلان الحماية .

(١٤) أى غير أهل للإطلاق رأيا دون قيود .

(١٥) أى : عدلى باشا .

٢٠٢٢

السلطان ممنون كثيرا منى ، وتكلم طويلا فى شأنى ، وقال : لابد من انهاء مسألتى مع مكماهون قريبا^(١٦) .

فقلت : أشكر للسلطان هذه العناية . وإنى لا أميل لنهوض هذه المسألة ، وأرى أن العمل مع السلطان ومع رشدى لا يلائم حالتى ، لأن الأول سريع التغير ، كثير التقلب ، والثانى ضعيف الرأى ، قليل التدبير ، وقد بدا^(١٧) من كل منهما أمور تقلل من ثقى^(١٨) بأقوالهما . وسردت له بعض ما حصل من رشدى باشا ، فتأسف وقال : إن هذا سر بيننا ، والسلطان لا يعرف منه شيئا .

ويخيل لى أن هذه المحادثة غير طبيعية ، لأنها كمثلها من الأحاديث التى جرت مع رشدى ! ولقد قال لى السلطان - أثناء الكلام على الجمعية التشريعية - : إنك لو كنت وزيرا ، لرأيت أن هذه الجمعية لا تستحق شيئا من توسيع الاختصاصات ! فرددت ذلك بقولى : إن هذا رأى ، وأبديته عندما كنت وزيرا ، وأصر عليه رغم تغير الأحوال^(١٩) .

حضر عندى محمود بيك أبو النصر^(٢٠) عقب حادثة مدرسة الحقوق ، ورجانى فى أن أسعى لدى ولاية الأمور فى الاستعطاف بهم . فلم أعدده بشيء ، نظرا لما أعلمه من عجز ولاية أمورنا فى مثل هذه

(١٦) يقصد مسألة تعيين سعد زغلول وزيرا فى الوزارة .

(١٧) فى الأصل : بدى .

(١٨) فى الأصل : تقلد من ثقة .

(١٩) واضح أن فكرة تعيين سعد زغلول وزيرا ، الغرض منها اثناءه عن طلبته توسيع اختصاصات الجمعية التشريعية .

(٢٠) محمود بك أبو النصر من رجال الحزب الوطنى ، أنشأ مع محمد فريد وأحمد حافظ عوض بك مجلة « الموسوعات » ، وهى مجلة علمية نصف شهرية ، =

٢٠٢٣

الحالة . ولكنى - مع ذلك - تكلمت مع رشدى باشا فى شأنهم ، وقلت : إنهم أخطئوا^(٢١) ، ولكن الحكم جاء غاية فى القسوة ، واللازم أن يكون التأديب [ص ١٣١٦] مناسبا للذنب ، وإن الأمم تعامل التلاميذ - فى جميع الأحوال - معاملة أبوية ، وتغترف لهم ما تعاقب عليه سواهم . والحرمان من التعليم لا يصبح أن يكون عقوبة ، لأن فيه ضررا كبيرا بالأمة ، التى يجب أن يكون العقاب دائما فى مصلحتها .

فرايت منه عطفاً عليهم ، ووعدنى بأنه سيبدل جهده ، فى العفو عنهم إلا بضعة عشر منهم . فقلت : إن العفو الشامل خير وأبقى ، والذين يراد التشديد عليهم منهم هم أذكاهم ، وأوسعهم كفاءة ، وفى حرمانهم من التعليم إضاعة لهم ، وخسارة عظيمة^(٢٢) .

فوعدنى خيرا . ولكنى سمعت هذا الرأى - أى رأى رشدى^(٢٣) باشا - من السلطان نفسه ! ففهمت أن هذا هو رأى السلطة الإنكليزية ، ولكن كل واحد منهما يتظاهر بأنه هو صاحب هذا الرأى .

= وانتخب فى ديسمبر ١٩٠٨ عضوا فى لجنة لتعديل قانون الحزب الوطنى ، وفى فبراير ١٩٠٩ اختير عضوا فى اللجنة التنفيذية المكلفة بعمل تمثال لمصطفى كامل ، وفى مارس ١٩١٠ اشترك فى لجنة الدفاع عن الوردانى قاتل بطرس غالى باشا . وبعد تأليف سعد زغلول الوفد المصرى فى ١٣ نوفمبر ١٩١٨ ، اختير عضوا فى الوفد فى عملية استكمال سعد العناصر التى تمثل الأمة ، ولكنه جنح إلى الاعتدال بعد اعتراف مؤتمر الصلح بالحماية البريطانية على مصر ، وخرج من الوفد .
(٢١) فى الأصل : أخطأوا .

(٢٢) هذه أول مرة يكشف فيها الستار عن دور سعد زغلول فى العفو عن طلبة الحقوق .

(٢٣) أى العفو عن الطلبة فيما عدا عدد منهم .

٢٠٢٤

[ص ١٣١٧]

في ٩ مارس سنة ١٩١٥

أخذ السلطان حسين من يوم توليته في مقابلة الناس على اختلاف طبقاتهم ، ودعوة كثير منهم إلى الأكل على مائدته ، بقصد استمالتهم . ولكنه يكثر الكلام معهم ، ويخاطب كل واحد منهم بما يخاطب الآخر به ، من غير تمييز بينهم !

وترجع أحاديثه إلى إمتداح شخصه بما يجريه من الصدقات ، ويسديه من الخيرات على اللاجئين إليه من ذوى الحاجات ، والاستشفاع لدى السلطة الإنكليزية بمن تقسو في معاملته بحبس أو نفى — مما تكرر وقوعه منها بعد إعلان الأحكام العرفية بالبلاد ! ويكثر لمحدثيه من الأيمان تأييدا وتأكيدا لما يبيده من الأقوال . وكثيرا ما يحلف على مصحف صغير يخرج من جيبه ويضعه على عينيه !

ولما تكرر ذلك منه أمام أغلب المترددين عليه ، استخف الناس بشأنه ، وسخروا منه ، وأخذوا يهزأون بما يبدو منه .

ولكن المقربين من الإنكليز يبدلون قصار جهدهم في الثناء عليه ، وتعداد مآثره — خصوصا بعد أن جاهر بالتشنيع على الأمة وتقبيح أخلاقها !

مما تأتية الجرائد (وكلها أصبح الآن شبيها بالرسمى ، لا ينطق إلا بما تأذن به ، ولا ينشر إلا ما تريد إعلانه واعداد النفوس لقبوله) أن الحكومة الإنكليزية تنوى أن تعقد مصر قرضا بمبلغ اثنين وثلاثين مليون جنيه ، بحجة صرفه في إنشاء مصارف وإصلاحات زراعية !

وهذا المشروع ليس من المشروعات المستعجلة ، حتى تتوجه الهمم

٢٠٢٥

لتنفيذه في هذه الأيام العصبية ، التي اشتد الخناق على الناس فيها ، وأصبحوا لا يدرون من أمر مستقبلهم شيئا ! فالحرب لا تزال قائمة ، ونيرانها تستعر بين أكثر أمم الأرض ، ومن لم يدخل فيها منها مشغول بتوفير الأسباب [ص ١٣١٨] الواقعة من شرورها . وما عند الناس من المال أصبح غير كاف لحاجاتهم الوقتية ، فكيف يتأتى لهم — وهم يرزحون تحت هذه الأحمال الثقيلة — أن يفكروا في مثل هذا المشروع ؟ ولكن السلطان ووزرائه يبذلون منتهى وسعهم في تمهيد الأفكار له (٢٤) ، بما يتحدثون به في مجالسهم الخصوصية ، ويوحون بنشره في الجرائد .

بلغنى أنه بعد أن عازمت الحكومة على استدعاء الجمعية التشريعية في ١٥ أبريل القادم ، عدلت عن عقدها ، وعولت على تأجيلها ، لما أحست بأن التعديل المنتظر لا يلاقى من أعضائها حسن القبول المأمول .

نُسب إلى سيدة مسلمة ، تدعى نعمة هانم ، قرينة حجازى بيك ، أنها تتكلم ضد الحلفاء وفي صالح الترك والألمان ، فنبه عليها بالكف عن هذا الكلام ، أو تنفى خارج القطر ! وهما فعلا بنفيها ، لولا شفاعة رئيس الوزارة لها !

واتهمت سيدة أخرى — مسلمة أيضا — وهى قرينة من يدعى عبد الباقي أفندى العمرى ، بمثل هذه التهمة ، ثم سافرت مع زوجها إلى إيطاليا منذ عشرين يوما ، وأكد الأقربون منها أنها سافرت منفية بأمر السلطة العسكرية الإنكليزية .

فأكبرتُ الأمر ، ونددت به أمام بعض الوزراء ، وقلت : إن هذه سياسة خرقاء ، ولم نسمع — من قبل هذا — أن الحكومة تهتز أركانها لما

(٢٤) فى الأصل : لهم . ويقصد سعد زغلول : تمهيد الأفكار للقرص .

٢٠٢٦

يتحدث النساء به في مجالسهن ، خصوصا المسلمات منهن ، لأنهن لا يجتمعن بالرجال ، ولا يمكن أن يحدث ما يبدو منهن أقل تأثير في الرأي العام !

وبعد قليل من الأيام ، عاد إلى هذا الوزير ، وأخبرني بعدم صحة نفى هذه السيدة . قال : وإنما هي التي خرجت من تلقاء نفسها ، لأن زوجها أعلن بأنه لا يمكنه إسكاتها ! وهو الذي اختار أن يسافر [ص ١٣١٩] بها ، لعجزه عن إلزامها بترك الكلام في الحرب وموضوعها . ولما قابلت السلطان ، كرر لي ما قاله ذلك الوزير ! فعلمت من ذلك أنه نقل إليه حديثي معه .

[ص ١٣٢٠]

القاهرة في ١٠ مارس سنة ١٩١٥

قرأت في الجرائد اليوم أن السلطان عفى عن تلامذة الحقوق ، الذين سبق الحكم عليهم بالرفق من المدرسة عقابا لهم على امتناعهم عن الحضور إلى المدرسة يوم أن زارها عظمتهم ، ولكن استثنى من المحكوم عليهم سبعة عشر تلميذا لم يعف عنهم^(٢٥) - قيل لأنهم هم الذين حرضوا زملائهم على ذلك الامتناع - ولكن الجرائد لم تنشر أسماء هؤلاء^(٢٦) .

(٢٥) في الأصل : لم يعفى .

(٢٦) هؤلاء الطلبة هم : أحمد مرسى (بدر) ومحمد صبرى أبو علم ، ومحمود وهذان ، ومحمد فؤاد حمدى ، وعبد العزيز إبراهيم عبده ، وأحمد والى الجندى ، وأحمد أحمد عبد الله ، وحافظ حسن عامر ، وأحمد لطفى ، وإبراهيم رياض ، =

والظاهر أنهم أذكى المحكوم عليهم ، وأوسعهم كفاءة ، وأكملهم استعدادا . وظاهر الأمر^(٢٧) شفقة ولكن في الحقيقة قسوة ، لأن حرمان سبعة عشر فتاً من أنبه التلامذه وأكفئهم ، خسارة كبيرة ، وقد يترتب عليه فساد عظيم ، إلا إذا تدورك ذلك بالعفو عنهم أيضا .

كان رشدى باشا أطلعنى - عقب اعلان الحماية - على مذكرة ، قدمها للوكالة الإنكليزية بخصوص ما ينبغي فعله بالنسبة للتغير الجديد ، وهذا تعريبها :

« أمام قرار الحكومة البريطانية بتعديل حالة مصر السياسية ، ينبغي وضع نظام سياسى إدارى لهذا القطر ، يكون موافقا بين حماية مصالح انجلترا السياسية وفوائد الأوروبيين المالية والتجارية ، ويكون من شأنه - مع ذلك - أن يحقق - بقدر الإمكان - آمال الأمة ، حتى ترضى عن الحالة الجديدة » .

وليك ما يمكن عرضه بهذه المناسبة :

أولا : اعلان مصر دولة ملوكية دستورية مستقلة ، بالقيود الآتية :

١ - أن يكون لانجلترا حق حماية قنال السويس ، والمحافظة بوجه الإجمال على سلامة القطر المصرى .

٢ - أن يكون لها حق المراقبة المالية - مراقبة تؤدى إلى إلغاء صندوق الدين ، واستبداله بهيئة [ص ١٣٢١] انكليزية .

= وإساعيل محمود حمدى ، ومحمد فهمى كراة ، وصادق العجيزى ، وعلى أحمد رضا ، ورياض الشريف ، ومحمد أمين الشاهد ، وحسن يس .

على أنه فى السنة التالية عفى عن هؤلاء السبعة عشر طالبا ، وعادوا إلى المدرسة . (الرافعى : ثورة ١٩١٩ ص ٢٦) .
(٢٧) أى العفو عن المفصولين .

٢٠٢٨

- ٣ - ضرورة موافقة الحكومة الإنكليزية على القوانين المختصة بالأجانب .
- ٤ - ضرورة موافقتها أيضا على عقد المعاهدات السياسية مع أية دولة أجنبية .
- ٥ - (٢٨) يكون للحكومة الجديدة حاكم وراثي ، بشارات الملك المعتادة (كالعلم الوطني والجيش الوطني والسكة الوطنية ، وامتيازات الشرف الوطنية الخ) .
- ٦ - (٢٩) تستلزم الطريقة الجديدة للدولة تعديل القانون النظامي الحالي ، بجعل رأى الجمعية التشريعية قطعيا في بعض المسائل ، لا سيما المسائل الآتية .
- ١ - الحقوق والواجبات المترتبة على الصفة المصرية (كالجنسية ، وحق الانتخاب ، والخدمة العسكرية) .
- ٢ - المحاكم الشرعية .
- ٣ - الوقف .
- ٤ - المجلس الحسبي .
- ٥ - التعليم المدني والديني .
- ٦ - ضرب الضرائب الجديدة ، وكل تعديل في الضرائب الموجودة ، أو إلغاء لها .
- ٧ - إعطاء امتيازات تتعلق بأكثر من مديرية .

يتبين من هذا التعداد أن الغرض هو تقوية وظيفة الجمعية التشريعية بطريقة متواضعة معقولة ، فإن توسيع اختصاصات هذه الجمعية محدود بالمسائل التي تخص المصريين وحدهم ، أو التي رأيا فيها كان من قبل قطعيا .

(٢٨ ، ٢٩) هذا التقييم غير موجود في الأصل ، ولكن السياق يقتضيه .

٢٠٢٩

ويلاحظ أنه ليس من المطلوب اعطاء الجمعية التشريعية صوتا [ص ١٣٢٢] قطعيا في القوانين العامة - أى التى تنطبق على المصريين والأجانب معا - إذ من المهم ، خصوصا بالنسبة للعزم على لغو الامتيازات الأجنبية ، أن يتأكد توحيد التشريع . وضرورة موافقة الحكومة الإنكليزية على هذه القوانين العامة ، لها مزية من وجهين :

الأول : تيسير قبول الدول بلغو الامتيازات .
الثانى : وضع ضمانة عند اللزوم للمصريين أنفسهم ، بجعلهم كالأوروبيين فى المعاملة .

ويمكن أيضا أن يعرض على الجمعية التشريعية - لكن بصفة استشارية - الاتفاقات التجارية التى تعقدها الحكومة المصرية » .

عرض على رشدى باشا هذه المذكرة ، فوجدتها غير وافية ، ورغبت أن تضاف إليها القوانين المدنية والجناية الخاصة بالوطنيين . فلم يعارض ، ولكنه أشار إلى تشدد الإنجليز .

ومن الغريب أن يُعدَّ الآن - فى عرفه وفى عرف زملائه - من لم يرض عن الحالة الجديدة ، ويعتبرها^(٢٩) من غير فائدة للجمعية ، أو بفائدة لا تذكر - طائشا متهورا فى رأى ! والسلطان ، الذى كان يجاهر - قبل توليته - بأنه يرفض العرش إذا لم يكن مصحوبا بتوسيع اختصاصات الجمعية التشريعية وحفظ استقلال مصر - اليوم^(٣٠) يسخط الآن كل السخط على من يبدى أقل اشمئزاز من عدم اعطاء شىء مفيد لنواب الأمة ، ويقول بأن هذه الأمة لا تستحق شيئا من الاستقلال ، وأن الجمعية ليست أهلا للرأى القطعى !

(٢٩ م) أضفنا : « ويعتبرها » ، لأن السياق يقتضيها .

(٣٠) قراءة تقريبية .

٢٠٣٠

ومن العجيب أني أسمع هذا القول من الوزراء ، ومن المقربين منهم ، يلوكونه بالسنتهم ، ولا يشعرون بأن هذا حكمٌ عليهم أنفسهم ، وأنهم إنما يدلّون بهذا القول على ضعف شعورهم ، وكثرة طمعهم ! ولو علموا أن ما يمنعونه عن أهلهم بمثل هذا القول ، لا يعود إليهم ، بل يرجع الأمر فيه إلى الأجنبي عنهم ، لكفوا عن هذا المقال !

[ص : ١٣٢٣]

١٧ مارس سنة ١٩١٥

كذبت الحكومة — منذ بضعة أيام — خبر عزمها على اقتراض مبلغ اثنين وثلاثين مليون جنيها ، رغما عن أن الأحاديث التي جرت مع السلطان ، ونشرتها بعض الجرائد ، تدل على صحتها !

بلغني من بعض الوزراء ، أن السلطان استاء لما يشير إليه اللورد كرومر في كتابه الأخير عن الخديوي عباس ، من عدم جعل سلطنة مصر وراثية ، وأنه^(٣١) فاتح في هذا الشأن السير مكماهون ، فقال له هذا : إن رأي اللورد كرومر هو رأي شخصي له ، لا رأي حكومته .

ولكن من يعلم أن حكومته كانت تسترشد في أمر التغيير الذي تم بمصر برأي^(٣٢) اللورد المشار إليه ؟ وسكوت مكماهون عن تقرير النظام الوراثي — الموعود به في عهد الولاية الموجهة إلى السلطان — يبين^(٣٣) أن هذا لم يكن رأيا شخصيا ، بل رأي الحكومة الإنكليزية !

(٣١) أي : السلطان حسين .

(٣٢) أضفنا : « برأي » لأن السياق يقتضيها .

(٣٣) في الأصل : يتبين .

٢٠٣١

يشيعون — من بضعة أيام — أن بين الوزراء نوعا من الفتور في العلائق ! ولكنهم لم يبينوا لهذا الفتور سببا . وقد زعم أحمد بيك عبد اللطيف المحامى ، أن السبب فيه ما كان من أمر امتناعه عن إجابة دعوة السلطان ، حيث قال لعزیز خانكى^(٣٤) ومحمد بيك يوسف : إن السلطة العسكرية أرادت نفيه إلى مالطة ، فاحتج رشدى باشا وهدد باستغفائه إذا تم هذا النفي ، لأن البيك المذكور صديقه الوحيد في مصر ، ونفيه يسقط نفوذه في أعين أهلها . فعدلت^(٣٥) عن ذلك . قال أحمد عبد اللطيف : وهذا منشأ الإشاعة عن فتور العلائق بين الوزراء .

ولا أدري مبلغ هذه الدعوى^(٣٦) من الصحة ، ولكنى شعرت من السلطان — عند مقابلته أخيرا — بنوع من الفتور عن رشدى باشا .

[ص ١٣٢٤]

تؤكد الجرائد — من بضعة أيام — أن الحكومة قررت تأجيل انعقاد الجمعية التشريعية إلى أول نوفمبر القادم — تاريخ انعقادها السنوى ! ولا بد أن يكون سبب هذا التأجيل خشية الحكومة من مقابلة هذه الجمعية للهيئة^(٣٧) الحاضرة بالفتور ! لأنها كانت تود عقدها في ١٥ فبراير

(٣٤) عزيز خانكى : محام بالنقض والإبرام ، ومؤرخ ، له أكثر من ٢٩ كتابا ، أهمها : « ترك وأنا تورك » ، « المحاكم المختلطة والمحاكم الأهلية : ماضيها ، حاضرها ، مستقبلها » ، « المحاماة قديما وحديثا » ، « التشريع والقضاء قبل انشاء المحاكم الأهلية » ، « الملكية العقارية في مصر ، ونفحات تاريخية » .

(٣٥) في الأصل : فعدل .

(٣٦) في الأصل : الدعوة .

(٣٧) في الأصل : « للهيئة » ، ويقصد بها هيئة الحكومة .

٢٠٣٢

الماضى ، وتبشرها بما عازمت عليه من جعل رأيها قطعيا فى مسائل الأوقاف والمحاكم الشرعية والمجالس الحسبية ، ولم يؤخرها عن ذلك إلا لأن المخابرة فى خصوص هذه المنحة لم تكن قد تمت بعد بين الحكومة المصرية والحكومة الإنكليزية .

حادث السلطان مكاتب جريدة ايتالية^(٣٨) محادثة نشرتها جريدته ، ولكن قلم المراقبة هنا حذف منها بعض الجمل ، واقتضى - لنشرها بتمامها فى بعض الجرائد العربية - مخابرات بين الوزارة ومكماهون .

٢٠ مارس سنة ١٩١٥

وبلغنى بأن السير مكماهون استاء لهذا الحديث ونشره ، وأرسل يعنف السلطان على محادثته لرجال الصحافة ، حتى قيل إنه منعه من الاجتماع بهم ومحادثتهم فى الشئون العامة !

قابلت السلطان يوم الأربعاء ١٧ مارس ، فوجدته أهذا من المرة الأولى ، وأروق فكرا ، وأعدل قولا . وتكلم - حسب عادته - فى موضوعات شتى لا يمكن ضبطها !

ورأيت أن عدلى باشا قد تكلم معه فى الشأن الذى سبق أن تكلمت مع هذا الوزير فيه . وفهمت منه أن ناظر الأشغال عرض عليه مشروعا لاصلاحات فى الرى تقتضى من النفقات ما يبلغ اثنين وثلاثين مليون جنيه - ولعل هذا هو منشأ حديث القرض الذى خاضت الجرائد فيه من بضعة أيام .

وأخبرنى^(٣٩) بأنه ضبط قصائد هجو فيه مع بعض المشايخ . وأنه ورد إليه جريدة يطبعها محمد فريد فى جنيف باللغة الفرنسية ، وفيها

(٣٨) يقصد : ايطالية .

(٣٩) أى : أخبر السلطان حسين كامل سعد زغلول .

٢٠٣٣

صورة الخديوى السابق ، وأن بعض المصريين رافقوا الحملة التركية إلى [ص ١٣٢٥] القنال ، وأن الخديوى حمل معه بعض سهام من البنك العقارى ، وهى التى ينتفع الآن من بيعها ، وأن أحوال الأوقاف الخصوصية سيئة^(٤٠) جدا ، وأن اللورد كتشنر سيعود بعد نهاية الحرب إلى مصر ، وأنه يرقبني من بعد ! وأن مركزه دقيق جدا ، وأن الأمة يجب أن تفهم الصعوبة التى هى أمامه .

فأخذت فى استرضائه عنها بقولى : إن التغير الذى طرأ على مصر^(٤١) من المصائب التى يعظم وقعها على النفوس ، وإنه ينبغي عذر المصابين بها إذا تألموا من شدة وقعها عليهم . ولأن تكون سلطانا لأمة حية ، شاعرة حساسة بالخير وبالشر ، خير من أن تكون حاكم قوم لا شعور فيهم ، ولا احساس عندهم ، ولا رابطة بين أفرادهم . فهش لهذا القول ، وبش لسماعه .

وذكرت له — عند الكلام على الأوقاف الخاصة — مسألة عبد الله بيك . فقال : إنه أصدر أمره فيها من قبل ، وعينه مفتشا للسبرياى^(٤٢) . فشكرته وطلبت صورته^(٤٣) ، فوعدنى بإرسالها ممضاة منه . وانصرفت من لدنه ، بعد أن لبثت فى حضرته ساعة وعشرين دقيقة .

(٤٠) فى الأصل : سيئة .

(٤١) يقصد : اعلان الحماية البريطانية على مصر .

(٤٢) بلدة فى الوجه البحرى .

(٤٣) أى : صورة السلطان حسين .

٢٠٣٤

ووجدت عند انصرافي نجله البرنس كمال الدين باشا^(٢٤٣) ، بقاعة كبير الأمناء ، فجلست معه برهة ، تكلمنا فيها عن مسائل شتى تتعلق بالزراعة وتربية الماشية . وكنت عند قدومي تلاقيت بهذه القاعة مع رشدي باشا ، فطلب أن أقابله في منزله في اليوم التالي .

بناء على ذلك قابلته في يوم ١٨ ، وفهمت منه أن رواية أحمد بيك عبد اللطيف صحيحة ، وأنه حقيقة هدد باستغفائه إذا نفى البيك المذكور . قال : وإن محمد سعيد وشيعته هم الذين جَسَمُوا الأمر وعظموه لدى السلطة العسكرية ، طمعا في أن يفضى ذلك إلى سقوط الوزارة ! وقال مستغربا : عجبا لمحمد سعيد ! كيف [ص ١٣٢٦] يتظاهر الآن بالغيرة على النظام الحالى ، وشدة الحرص على الدفاع عنه ؟ وإنه لم يكن ينتظر منه ، بعد أن ساعده على نوال الوظيفة الحالية ، ومده برأيه في القيام بأعبائها ، أن يدس له الدسائس ! فقلت : إنك تستحق أكثر من ذلك .

وفهمت منه أنه لم تفتته مسألة غيابه عن الجمعية التشريعية عند زيارة مكماهون ، وقال : إنه يعرف والسلطان أن هذا من فعل مظلوم ! وأخذ يطعن عليه بعدم اهتمامه بأمر الجمعية ومايراد عمله في نظامها . فسألته عما تنوى الحكومة فعله بالنسبة لتأجيل انعقادها وتوسيع اختصاصها ؟ فقال بصوت خافت : إنها ستؤجل ، ولم يتم شيء بالنسبة إلى اختصاصها . ولم يزد على ذلك .

فقلت : إن مظلوم^(٢٤٤) صنع خيرا بسكوته عن السؤال ، فإن من

(٢٤٣) م) ابن السلطان حسين كامل من زوجته المطلقة عين الحياة ، كريمة الأمير أحمد رفعت . وقد ولد في ٢٠ ديسمبر ١٨٧٤ .
(٢٤٤) محمد مظلوم باشا ، رئيس الجمعية التشريعية .

٢٠٣٥

تصدى له لم يظفر بطائل . وكان الرئيس يتشاءب في هذه الأثناء ، فهممت بالانصراف ، فمنعني ، وتحادثنا قليلا ، ثم انصرفت . ولم أجد في نفسي ركونا إلى ما سمعت في هذه المقابلة من الأقوال والآراء .

بلغني أن مكماهون أراد أن السلطان يعرض عليه في دار الحماية ما يريده إذا شاء ، ولكنه هولا ينتقل إلى السلطان في عابدين ، ذلك لأنه هونائب الملك : يعنى يزار ولا يزور ! فلم يقبل السلطان ذلك ، وانفعل انفعالا أثر عليه ، حتى أشار عليه طبيبه بالراحة ثلاثة أيام . وكان هذا هو السبب في أنه مضى هذه الأيام في مصر الجديدة .

[ص ١٣٢٧]

٢٦ مارس سنة ١٩١٥

علمت أن الخلاف المشار إليه سابقا حصل من زمان طويل ، عقب إهداء نيشان عالي^(٤٥) الشأن إلى السلطان من جلالة ملك الإنكليز ، حيث أراد السير مكماهون - نائبه - أن يسلم هذا النيشان إلى المهدي إليه في حفلة رسمية ، تنعقد بدار الحماية الإنكليزية . فكبر ذلك على السلطان ، وتخابر مع مكماهون في هذا الشأن ، ونتج عن هذه المخاطبة أن عُدل عن هذه الحفلة الرسمية إلى وليمة بسيطة ، حضرها السلطان ووزرائه وبعض كبار الإنكليز وغيرهم . ولما أقبل السلطان على دار الحماية ، دخل من باب خاص ، وادخل في غرفة خاصة على غير شعور من المدعوين ، وهناك سلم إليه السير مكماهون ذلك النيشان ، وتنبه بحفظ هذا الأمر مكتوما عن الجرائد وعن سائر الناس .

(٤٥) في الأصل : على .

٢٠٣٦

شاعت إشاعات عن فتور بين عظمة السلطان ورشدى باشا رئيس الوزراء ، واستفزت هذه الإشاعات بعض الناس ، فراح يستفهم عنها من سراى عابدين . وعلى أثر ذلك نشرت جريدة « جورنال دى كير » ، في العدد الصادر منها بتاريخ ٢٤ الجارى ، حديثا جرى لمحررها مع سعادة رئيس الوزراء ، كذب فيه هذا الرئيس تلك الإشاعات ، وأكد أنه متمتع بالثقة الكاملة من عظمة مولاه ، وأنه لا يُرغبه فى البقاء فى منصبه — على ضعف صحته ، وكثرة ما يلاقى من المشقات فيه — إلا الصفات السامية التى اتصف السلطان بها ، وجعلته يستخف كل مشقة فى العمل معه .

وقد توهم كثير من قراء هذا الحديث أن فى الأمر شيئا ، وإلا لما تكلم الرئيس عن صحته وضعفها ، ومنصبه وتشعب همومه !

ومما قيل فى أسباب تلك الإشاعات ، إنها ترجع إلى مسألة [ص ١٣٢٨] أحمد عبد اللطيف !

وقيل إن سببها أن عظمة السلطان وعد حسين واصف باشا بالعفو عن أخيه حسن بيك ، الذى كان مديرا لـجرجا وحكم عليه بالحبس مدة سنتين لتزوير ارتكبه فى بعض الأوراق الرسمية ، وحادث وزير الحقانية فى شأن هذا العفو فوافق عليه ، وحينئذ أبلغ السلطان حسين واصف أنه أحسن بالعفو على أخيه ، فقبّل هذا أردانه^(٤٦) شاكرا ، ولكن سلطة الحماية عارضت فى العفو ، ومنعت صدوره . والظاهر أن رئيس الوزراء جارى^(٤٧) هذه المعارضة ، إن لم يكن أيدها ، فتغير بسبب ذلك خاطر السلطان عليه ، وسبّب هذا تواتر تلك الإشاعات .

(٤٦) أردان جمع رُدن ، وهو الكم ، أو طرف الكم الواسع ، وأردان أى أكمام .

(٤٧) فى الأصل : جار .

٢٠٣٧

غير أن من يعرف حقيقة الأمر بعد الحماية ، يرى أنه لا يمكن أن تحدث أزمة وزارية في حكومة مصر بسبب خلاف بين السلطان ووزرائه ، لأن كلا من الفريقين ليس له سلطة ذاتية ، ولكنه يستمد سلطته من الحماية ، فهم في الحقيقة موظفون خاضعون لأوامر الحماية ، ولا يمكن أن يحدث من الخلاف بينهم إلا كما يحدث بين موظفين تابعين لسلطة واحدة ، لا كما يحدث بين حاكم ذى سلطان ووزراء مسؤولين بين يديه عن أعمالهم . وإذا حدث هذا الخلاف بين السلطان ووزرائه ، فقد يفضى^(٤٨) إلى إقالة السلطان واستبقاء الوزراء على العكس من الخلاف الذى يحدث بين ذلك الحاكم ووزرائه ، لأنه يستلزم حتما سقوط الوزراء من مناصبهم .

فى مساء يوم ٢٣ مارس ، حمل إلى سعيد صورة عظمة السلطان ، وقال : إن عظمته تكرم باهداء هذه الصورة إليك . فتقبلتها ، وذهبت فى اليوم التالى إلى سراى عابدين ، لتقديم الشكر على هذه الهدية ، فاستقبلنى السلطان أحسن استقبال . وبعد أن جلسنا [ص ١٣٢٩] فى القاعة الكبرى هنيهة ، أدخلنى فى مكتبه الخاص ، وقفل الباب ، وطلب قهوة ، وأنشأ يتكلم متنقلا من موضوع إلى موضوع ، بمناسبة وغير مناسبة !

وفهمت منه أن الخديوى السابق ، عقب شفائه وبعد اعلان الحرب الأوروبية ، كان يجتمع فى الخفاء تحت جناح الظلام بسفير ألمانيا ، ويعطيه أخبار مصر وحركات الإنكليز فيها ، وأوصل إليه رسوماً عن الاستحكامات التى شرعوا فى اقامتها بجهة القنال — وهى رسوم نقلها إليه نجل الشيخ سليم البشرى ، الذى هو من الضباط . فلما وقف الإنكليز على ذلك ، نقموا على الخديوى ، ومنعوه من العودة إلى مصر .

(٤٨) فى الأصل : يفدى .

ولما وجه الأتراك حملتهم على هذا القطر ، رغب الخديوى أن يعطوه كتابة^(٤٩) بأن مصر تكون بعد إخراج الإنكليز منها مستقلة ، كما كانت قبل سنة ١٨٨٢ – أى قبل الاحتلال الإنكليزى، وأن تتألف تلك الحملة من ثلاثمائة ألف مقاتل – طلب ذلك ، فيما يظهر ، بعد أن أخذت الحملة طريقها إلى مصر بقيادة جمال باشا – وكان يصحبها بعض رجال الخديوى من ضباط وغيرهم ، كالشيخ محمد عثمان ، وبعض خيام كانت أرسلت من مصر إلى الدرمان . فلما وصلت الحملة إلى مصر ، أمر قائدها بطرد أولئك الرجال ، فعادوا من حيث أتوا ، وأبت حكومة تركيا أن تعطى تلك الكتابة على نفسها . ومن ثم تغير الخديوى ، وبارح الأستانة إلى سويسرا ، واشتد الخلاف بينه وبين الحكومة التركية .

وكان عَيْن – من قبل هذا – عمه إبراهيم باشا حلمى^(٥٠) نائبا عنه فى حكم مصر عند دخول عساكر الترك فيها ، وعَيْن شفيق باشا رئيسا للوزراء . وأنه – بعد أن أقام فى سويسرة مدة – ذهب إلى فينا ، فأقام فيها ، ومعه شفيق باشا ، ويوسف صديق ، ومحب باشا .

وقال إنه^(٥١) ينفق من سهام للبنك العقارى كان أخذها معه ، ومما تمده به والدته من النقود . وإن [ص ١٣٣٠] السلطة العسكرية

(٤٩) أى خطابا أو بيانا مكتوبا .

(٥٠) إبراهيم حلمى باشا . هو الأمير إبراهيم حلمى ، رابع أنجال الخديو إسماعيل ، ولد فى ١٨٦٠ ، وتوفى فى «نيس» بفرنسا فى ١٥ / ٣ / ١٩٢٧ ، ثم نقلت رفاقته إلى مدافن الرفاعى بمصر فى ٩ فبراير ١٩٣٧ . وكان للأمير مكتبة شهيرة «بنيس» تحوى نحو ١٦٠٠٠ مجلد من أنفس الكتب عن مصر والشرق ، أهداها الورثة إلى الجامعة المصرية ، وسافر من أجلها أحمد لطفى السيد باشا ، مدير الجامعة إلى «نيس» مع محمود خليل بك ، ونقلها إلى مصر .

(٥١) أضفنا : «وقال إنه» لبداية فقرة جديدة .

٢٠٣٩

هنا ، لما شعرت بهذا الامداد ، أقامت على دائرة هذه الوالدة مراقبة لكي تعمل على منع هذا الإمداد . وقد كان وكيل هذه الدائرة ، محمود باشا فهمي ، أعد مبلغ خمسة وعشرين ألف جنيه ذهباً عينا ، لإرساله بطرق مخصوصة ، فمنع من ذلك .

وفهمت من عظمت أن مبروك باشا ، الجنرال المصري ، أراد أن يعظم من حادثة أحمد عبد اللطيف ، وسعى لدى عظمتة في نفيه ، موهما بخطورة ما صدر عنه ، وبغضب السلطة الإنكليزية منه — فاستدعاه^(٥٢) ، ووبخه ، ونبه عليه أن يكف عن التداخل في ما لا يعنيه ، والسعى فيما لا يليق بالشرف العسكري . وأضاف^(٥٣) : إن لا أحب السعاية ، ولا أميل للساعين . وإن هذه طريقة محققة يجب القضاء عليها ، إذ كثيراً ما أفسدت وأضررت بالبلاد .

فامتدحته على ذلك كثيرا ، وشكرت له هذه النزاهة ، ورغبتة في الاستزاده منها .

وفهمت منه أنه يريد أن يكون للجمعية التشريعية صوت قطعي في التعليم الديني . فلم أشجعه على ذلك كثيرا : أولا ، لأن التعليم الديني في مآمن بذاته من تداخل السلطة الإنكليزية فيه . وثانياً لأن^(٥٤) إطلاق يد المصلح الحر الأمين فيه ، خير من تقيدها بأراء الجمعية التشريعية ، التي تتألف الغالبية فيها من قوم تمكنت الأوهام الدينية من نفوسهم تمكنا لا يستطيعون معه أن يميزوا بينها وبين الحقائق الشرعية ، ويتعذر أن تتفق كلمتهم على اصلاح فيها .

(٥٢) أي : استدعى مبروك باشا .

(٥٣) في الأصل : « قال » .

(٥٤) في الأصل : إن .

وفهمت منه أنه متألم من إدارة الأزهر ، ومن أنه علم أن بعض تلامذته ، الذين لهم مراتب فيه ، مستخدمون سواقين في الترمواي ، ومنهم من هم مشايخ في البلاد - وغير ذلك من وجوه الخلل [ص ١٣٣١] والفساد . وأن ميزانيته تزيد على مائة ألف جنيه ، وكثير من هذا المبلغ يستولى عليه بعض العلماء بغيرها . وفهمت منه أنه استلقت الأنظار إلى اصلاح المدرسة الحربية ، وإلى اصلاح مجالس المديريات ، وتوجيه عنايتها إلى نشر التربية الأولية .

وفهمت منه أنه مسرور من مدرسة معلمات الكتاتيب ومعلميها ، ومعجب بنبوية موسى ، المدرسة في المدرسة الأولى ، ويرغب تعيينها بوظيفة في الحرم السلطاني .

وفهمت منه أنه يتوقع عودة كشنر ، ويخشاه ! وأنه يقرب إليه محمد سعيد ، ويدعوه إلى مأدته ، رغبة منه في الوقوف على حقيقة دائرة سيف الدين ، لاجبة فيه !

فقلت عند ذاك : 'إن تقريره يجرح خاطر رشدي باشا وزملائه . فقال : إنه يعرف ! وأضاف^(٥٥) أنه أمر بتعيين أهل خبرة ، حتى يقفوا على حقائق العقارات التي حصل التبادل فيها بين هذه الدائرة^(٥٦) وغيرها . وألح أن يكون معهم الإنكليزي السابق تعيينه ، وإنه موجه التفاته بنوع خاص إلى هذه الدائرة .

(٥٥) هذه الكلمة غير موجودة في الأصل ، وقد أضفناها لسلاسة العبارة .

(٥٦) أي دائرة سيف الدين .

[ص ١٣٣٢]

١٣ أفريل سنة ١٩١٥

كنت في كلوب محمد على يوم الأحد ٥ أفريل ، إذا بعباس بيك الدرملی^(٥٧) يدعوني في الساعة السابعة وعشرة دقائق إلى الحضور إلى عابدين ، للعشاء مع السلطان في الساعة ثمانية .

فاستقبلني بالهشاشة المعهودة ، وقال : دعوتك لأن آخذ^(٥٨) رأيك في مسألة هامة تتعلق بالتعليم في المعاهد الدينية ، ولم يوح^(٥٩) بها إلى أحد ، ولا تكلمت بها مع أحد - حتى رشدى باشا !

وقد كان إسماعيل صدقي باشا عرض على إنشاء معهد ديني كبير ، بما بقي من نقود المؤتمر ، وكان ذلك في يوم الجمعة ثلاثة أبريل ، فأخذت أفكر في الأمر حتى أمس ، حيث خطر ببالي أن أنشيء في عاصمة كل مديرية معهدا دينيا للتعليم الابتدائي ، الذي يكون الغرض منه تربية أئمة في المساجد ، ومأذونين للشرع ، وطلبة للأزهر الشريف ، الذي لا يدخله إلا من كان حاملا لشهادة الأهلية من أحد تلك المعاهد .

وفي هذه الطريقة من المزايا : أولا ، تسهيل طلب العلم على الراغبين ، وتقريب الشقة بينهم وبين أمكنة التعليم ، وتخفيف عدد المجاورين بالأزهر ، وقصر التعليم فيه على العلوم العالمية . فما رأيك في هذا المشروع ؟

قلت : إني أرى - بادئ الأمر - أنه مشروع حسن جليل ، ولم

(٥٧) عباس الدرملی هو الأمير الثالث .

(٥٨) في الأصل : آأخذ .

(٥٩) في الأصل : يوحى .

يسبق لى التفكير فيه . فأرجو إمهالى مدة تسع التأمل والبحث . فقال :
كذلك ، وبعد أن تتم البحث فيه أرجوك أن تعرض النتيجة علىّ ، فإنى
أحب — قبل البت فى أمر — أن أشاور أهل الرأى فيه .

ثم دعينا للعشاء ، فخرج ، وخرجت خلفه ، فوجدت موظفى
المعية مصفوفين صفا واحدا وأيديهم على صدورهم ينتظرون خروج
السلطان ، فسلم عليهم بالإشارة ، فانحنوا معظمين ، وأجلست عن
يمينه . وكانت الأطعمة فاخرة ، ولكن الحديث كان فى موضوعات عامة
لا أهمية لها !

[ص ١٣٣٣]

وبعد العشاء ، عدنا إلى المكان الأول ، فتجادثنا إلى الساعة عشرة
وربع ، وجرى الحديث فى موضوعات شتى : أهمها ، أن الإنكليز يبذلون
له من الاحترام كل ما ينبغى ، ولكنهم لا يفضون إليه بكل ما عندهم ،
ولا يكشفون له عن نياتهم فى المصالح . وأن مكماهون^(٦٠) ، المندوب

Sir Henery Macmahon المندوب السامى البريطانى الذى خلف اللورد
كتشنر فى يناير ١٩١٥ ، بعد أن تولى هذا منصب وزير الحربى فى انجلترا. وقد تلقى
ماكماهون خبراته الادارية فى الهند ورقى إلى وظيفة السكرتير السياسى للحكومة فى
سيملا فى شمال الهند . ولم تتح له الفرصة لدراسة الشئون المصرية قبل تعيينه فى
وظيفته ، مما أوقع الجفاء بينه وبين السلطان حسين كامل ، الذى انتقده علنا .
وعندما تبينت الحكومة البريطانية استحالة التفاهم بين الاثنين ، عينت فى نوفمبر
١٩١٦ السير ريجينالد ونجت ، سردار الجيش المصرى وحاكم عام السودان ، مندوبا
ساميا لبريطانيا فى مصر ، بدلا من السير هنرى مكماهون .

(انظر) Lloyd, Egypt Since Cromer Part 1 pp. 213 232.

٢٠٤٣

الثاني ، فيه شيء من الكبرياء .

ثم قال^(٦٠) إنه يراقب بكل انتباه محمد باشا سعيد في إدارة دائرة سيف الدين ، وإنه اشتبه فيه لمناسبة مشروع الاستبدال ، الذي عرض عليه إمضاه مع أمين كرم .

فقلت : إن الناس يتحدثون كثيرا في هذه الدائرة ، وينددون كثيرا بسعيد باشا ، ويزعمون أنه شريك لمن يدعى شارلى باكوس^(٦١) في السمسة ، ويؤكدون هذا الزعم .

فقال مطرقا : إني لم أسمع بهذا من قبل ، وإنما عينت سعيد باشا في هذه الدائرة رافة به ، لأنه كان في احتياج شديد . ثم قال : إنه ينظر بنفسه في أمور « الأوقاف »^(٦٢) ، ولا يغادر فيه صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وأصدر أمره فيها بما يناسب .

وفهمت — من خلال حديثه — أنه قليل الثقة بوزيرها إسماعيل باشا صدقي !

على ذكر سعيد باشا ، أثبت أنى تقابلت — في مأتم عبد الله بيك الطوير — برشدى باشا وعدلى باشا ، فأخبرنى الأول بأن اللورد سيسل ، المستشار المالى ، بلغه أن محمد سعيد سعى لديه أن تباع ماليته إلى شارلى باكوس الأقطان التى اشترتها من الزارعين ، فلم يقبل المستشار المذكور هذا الطلب . فألح عليه سعيد باشا إلحاحا شديدا ، حتى انتهى بأن يقول له : أرجوك أن تقبل هذا الأمر ، لأن فيه مصلحة لى ، وهى أن لى نصيبا مع باكوس فى السمسة ! فدهش المستشار لهذا التصريح ! ورفض الطلب .

قال رشدى باشا : فأخبرت السلطان بالأمر ، فاستغربه ، ورأى أن

(٦٠) م) أضفنا : ثم قال .

(٦١) فى الأصل : بقوس .

(٦٢) أى : وزارة الأوقاف .

يسأل اللورد سيسل في [ص ١٣٣٤] شأنه . والظاهر أنه سألته ، فأيد له صحة الخبر . ثم شاعت في الناس هذه الحكاية ، وتناولتها ألسنة الكثير منهم في المجالس الخصوصية .

وقد صحت هذه الإشاعات إشاعات أخرى^(٦٣) عن أعمال محمد باشا سعيد في دائرة سيف الدين ، منها أنه ألزم مستأجر الدائرة بأن يترك خمسين قرشا - أو أربعين - (على اختلاف الرواية) عن كل قنطار من أقطانه - التي كانوا باعوها لشارلي باكوس السالف ذكره - في مقابلة أن الدائرة تنقص الإيجار لهم في العام المقبل !

ومنها ، أنه أجر إلى شريعى باشا مقدارا عظيما من الأطيان في الوجه القبلى ، يزيد على أربعة آلاف فدان ، باعتبار الفدان الواحد ستة جنيه - مع أن العارفين يؤكدون أن هذه الأطيان في غاية الجودة ، وأنها كانت مؤجرة من قبل باعتبار عشرة جنيه الفدان !

ومنها ، أن أحد الخواجات أراد أن يستأجر من هذه الدائرة أربعة آلاف فدان أخرى ، فطلب منه رشوة أربعة آلاف جنيه ! فراح إلى أحد أغنياء الأقباط يعرض عليه أن يشاركه في هذه الإيجارة وفي المبلغ المذكور ! ويؤكد الاشاعتين الأخيرتين نجيب باشا غالى تأكيدا تاما .

قل : والله أعلم بالحقيقة ! غير أن ثوران هذه الإشاعات حول اسم محمد سعيد مما يزيد الشك في استقامته .

في يوم الخميس ٨ أبريل ، في نحو الساعة الرابعة ، مر السلطان بشارع عابدين في موكبه العادى ، ذاهبا لزيارة بعض البيوت القديمة ، كبيت مكرم ، والبكرى . فتقدم إليه شاب ، وأطلق عليه عيارا ناريا ،

(٦٣) في الأصل : « وصحبها إشاعات أخرى » ، وقد عدلنا العبارة بما يناسب

بداية فقرة جديدة .

٢٠٤٥

فأخطاه ، وأصاب كبوت العرب . وقبض على الجاني ، واستمر السلطان في طريقه .

وقد اجتمع^(٦٤) خلق كثير حول سراى عابدين ، وفي الطرقات . وشاع أولا أن الجاني قبضى ، وثانيا أنه تلمذ من مدرسة الحقوق .

ثم ذهبت - فيمن ذهب - إلى سراى عابدين ، التي تقاطر الناس [ص ١٣٣٥] عليها من كل فج . ومنهم من انصرف منها بعد كتابة اسمه في سجل التشريفات ، ومنهم من بقى حتى عاد السلطان بعد اتمام زيارته .

وقد استدعى^(٦٥) من كان موجودا من الزائرين إليه - وكنت في مقدمتهم - فوجدته متأثرا ، وقال ما معناه : (حُفَّت الجنة بالكاره ، ولا يسلم المكان الرفيع من أذى يلحقه ، ولا بد من مقابلة عظام الحوادث بالتجلد والصبر ، وكلما علت منزلة المرء كثر حاسدوه ، والمؤمن مصاب ، وإني من يوم جلوسى على هذه الأريكة ما أتيت شرا ، وما فعلت إلا خيرا ، وإني أتأسف أن الأمة لم تقدرنى قدرى ، حتى إن الأجانب قابلونى وأنا عائد بالهتاف ، أما الوطنيون فبالانصراف !

فقلت : يا مولاي لا تؤاخذ الأمة بما فعل ذلك السفیه ، وإن كان واحد خرج عن حده فإن الأكثرين انزعجوا لهذا الحادث ، وتأسفوا لوقوعه . وتكلم بعض الحاضرين بمثل ذلك ، وانصرفنا .

بلغنى - بعد ذلك - أن الحكومة أوعزت للحكام ومديرى الأقاليم ، بأن يدعوا الناس للحضور إلى تقديم التهانى للسلطان على نجاته . وتكلم معى رشدى باشا - فى صبيحة اليوم التالى - بالمخبرة مع مظلوم باشا فى

(٦٤) فى الأصل : فاجتمع .

(٦٥) فى الأصل : فاستدعى .

شأن استدعاء أعضاء الجمعية التشريعية لهذه الغاية ! وكان يتكلم معى بصوت المتردد ، وعبارة المضطرب !

فوعدت ، وبحثت عن مظلوم باشا حتى حضر ، واتفقنا على استدعاء الأعضاء للمقابلة يوم الأحد ١١ أبريل . ورجاني مظلوم باشا أن أكتب كلمة تهنئة يتلوها في حضرة السلطان عند مقابلته . فكتبت الكلمة المنشورة في الجرائد ، واستلمها يوم السبت مساء ، وتلاها أمامي ثلاث مرات . ولكنه لم يحسن تلاوتها أمام السلطان - وخصوصا آخرها - فرأيت أن أضيق من سوء هذا الأثر بدعوة [ص ١٣٣٦] الأعضاء للدعاء بـ « يحيا مولانا السلطان »^(٦٦) . ثلاث مرات . ويظهر أن ذلك وقع من السلطان موقعا حسنا ، ولكنه^(٦٧) أساء مظلوم - كما بلغنى !

في يوم السبت ١٠ أبريل ، اجتمع مجلس الإدارة للجمعية الخيرية الإسلامية^(٦٨) ، في الساعة الرابعة مساء^(٦٩) ، واقترح سعادة على باشا

(٦٦) في الأصل : يحى .

(٦٧) في الأصل : ولكنه أنه . ويقصد أن المتأف أغضب مظلوم باشا .

(٦٨) الجمعية الخيرية الإسلامية نشأت في سبتمبر ١٨٩٢ ، وكان من أعضائها سعد زغلول وأحمد السيوفى باشا وأحمد حشمت والشيخ محمد عبده وحسن عاصم ويوسف صديق وإبراهيم رشدى ، وكانت لها فروع في المديرية والبنادر والمراكز ، واستمرت قائمة حتى ثورة ٢٣ يوليو . وكان من أهم مشروعاتها مستشفى الجمعية بالعجوزة ، الذى استولت عليه القوات البريطانية أثناء الحرب العالمية الثانية ، واستولت عليه ثورة يوليو بعد قيامها .

(لمزيد من الاطلاع . انظر حاشيتنا بصفحة ٢٤١ ، ٢٤٢ من الجزء الثالث ، وكتاب د. حلمى أحمد شلبى : فصول من تاريخ حركة الاصلاح الاجتماعى في مصر ، سلسلة تاريخ المصريين رقم ٤٦ سنة ١٩٨٨ .
(٦٩) في الأصل : مساء .

شعراوى أن يكتب كل من الأعضاء الحاضرين بمبلغ ، يخصص مجموعه لتربية أبناء الفقراء وإسعاف المحتاجين ، شكر الله على نجاة السلطان من ذلك الغدر ، لأن الليلة السنوية التي كانت تحييها الجمعية في كل عام حصل العدول عنها في هذا العام ، وبذلك قل إيراد الجمعية .

فاستحسن الحاضرون هذا الاقتراح : بعضهم استحسانا حقيقيا ، والبعض ظاهريا ! واكتب كل من على شعراوى باشا وحسين واصف باشا وعدلى باشا مبلغ ثلاثين جنيها ، واكتبت بعشرة ، واكتب الباقي بمبلغ من خمسة عشر إلى اثنين . ثم تقرر أن يتوجه الأعضاء إلى عابدين لتهنئة السلطان ، وشكره على مبلغ مائتين وخمسين جنيه تصادف أنه تبرع به من أحد الأوقاف للجمعية الخيرية .

بناء^(٧٠) على ذلك ، قابلنا عظمته يوم الأحد ١١ أبريل في الساعة ١١ ونصف ، بعد انصراف الجمعية التشريعية من لدنه . غير أنه لم يُفتح علينا — عند الجلوس في حضرته — بكلمة تهنئة ، ولا كلمة شكر ، ولكن كان له كل الكلام ، ولنا كل الدعاء . ثم انصرفنا .

وفي مساء هذه الليلة ، كنت مدعوا ، مع ناظر مدرسة القضاء الشرعى وأساتذتها وبعض أعضاء مجلس إدارتها ، إلى العشاء مع السلطان . فتعشنا ، وكان طعاما فاخرا جدا ، وكان السلطان هشا بشا أنيسا .

وبعد الطعام ، تكلم في شأن ما اقترحه [ص ١٣٣٧] حسن بيك صبرى ، وأقره مجلس الأزهر الأعلى^(٧١) ، من امتحان تلامذة معهد الاسكندرية مع تلامذة مدرسة القضاء ، في علوم التعيين . وجعل النجاح في هذا الامتحان أساسا لترتيب درجات الناجحين .

(٧٠) في الأصل : بناء (ويلاحظ أن الكراسة بغير خط سعد زغلول) .

(٧١) في الأصل : الأعلا .

فاشتركت مع عبد الخالق باشا في تنفيذ هذا القرار ، وتقبيح نتائجه . وأكد السلطان أنه يعرف من أعمال حسن صبرى مالمو قاله لأوجب خنقه .

وقد تضمن كلامه على المائدة أمورا مهمة ، نرجو الله أن يوفقه إلى إتمام رأيه فيها ، وهى :

أولا : ترجمة العلوم المختلفة إلى اللغة العربية .

ثانيا : التبكير فى تعليم اللغة الفرنسية للترشحين من التلامذة إلى الدخول فى مدرسة الحقوق .

ثالثا ، تعميم التعليم باللغة العربية .

ولكنى أراه لا يقوى على تذليل الصعاب القائمة أمام هذه الأمور . ولقد قال لكل كلمة ترضية . ثم سلم ، وانصرفنا .

تم التحقيق أمس فى قضية التعدى على السلطان ، وتبين منه أن المعتدى شاب فى الخامسة والعشرين من عمره يدعى محمد خليل عباس ، وأنه أضاف اللفظ الأخير إلى اسمه تيمنا بمسماه^(٧٢) ، وإخلاصا له . وأنه ابن تاجر من المنصورة لم يتم تعليمه ، ولم يكن مرضيا عنه من والديه ، وكان منغمسا فى الشهوات . ويقول إنه اصر على جريمته من يوم تولية السلطان ، لأنه يعتبره خائنا لأمته ، ويتأسف لأن الضربة أخطأته .

وقد سلم هو وأوراق التحقيق إلى السلطة العسكرية ، التى طلبت ذلك لغرضين فيما يظهر : أولهما ، للسرعة فى الحكم ، وثانيهما للحكم بالإعدام الذى لا تحكم به المحاكم الاعتيادية فى مثل هذه الجريمة . ويجوز

(٧٢) أى الخديو عباس حلمى .

٢٠٤٩

أن ينضم إلى هذين الغرضين غرض البعد عن ضجة الحمامة^(٧٣) وعلانية
الجلسات .

[ص ١٣٣٨]

أما وقع هذا الحادث عند الناس ، فإنه يختلف باختلاف عقولهم :
فمنهم من استقبحه ، وهم العقلاء من خاصة الناس . ومنهم من
استحسنه وتأسف لعدم تمام الفعل ، وهم الجهلاء من العامة الذين
لا يدركون حقائق الأمور . ولكن التأثير العام عند الناس أقل بكثير عن
تأثير الورداني . ويمكن أن يكون اختلاف الدين في الحادثين سببا في
اختلاف الأثر الناشئ عنها في النفوس .

في يوم حادثة التعدي على السلطان ، تقابلت في مدخل سراي
عابدين مع مستر ستورس ، وتواعدنا أن أتوجه إلى دار الحماية يوم الاثنين
الساعة ١١ ونصف ، لمقابلة السير مكماهون .

وفي هذه الساعة وجدت ستورس مشغولا مع الليدي مكماهون
وبنته . وبعد هنيهة خرج معها ، وقدمني لهما . فوجدت الليدي امرأة في
نحو السابعة والثلاثين من العمر ، نحيله الجسم ، ولا جمال فيها ،
ولكنها خفيفة الروح ، وديعة الجانب . أما بنتها ، فقد جمعت إلى خفة
الذات جمال المنظر . وبعد تبادل التحية انصرفنا إلى حلوان . وحضر
مستر « شتم »^(٧٤) فأخذني إلى أودة السير مكماهون . فاستقبلني هذا
بالباشاشة والأنس ، وسألني عما إذا كنت أعرف الإنكليزية ؟ فقلت :
لا ، مع الأسف ! قال إنه تعلم الفرنسية ولكنه نساها بطول عدم
استعمالها ! ثم تكلم عن الجو .

(٧٣) في الأصل : الحمامات .

٧٤ Cheetham نائب المندوب السامي في مصر .

واستطرد الكلام إلى الجمعية التشريعية ، فقال : إنها الآن تائمة بسبب الحرب !

قلت : إن نومها قد طال وثقل ! حتى لم يمكن أن أستيظ منه يوم أن زرت مكان الجمعية فلم أحظ بمقابلة جنابكم فيها !

فتبسم ضاحكا وقال : إن الوقت كان ضيقا ، لأنه لم يمض بين دعوتى من مظلوم باشا [ص ١٣٣٩] إليها وأدائها إلا ساعتان فقط .

قلت : (٧٥) : وهل تستمر نائمة ؟

فقال : إلى أن تنتهى الحرب !

قلت : إن المجالس الشورية فى بلاد الحرب تنعقد !

قال : ولكنها لا تبحث الأشياء إلا ظاهرا فقط ، وفيما يختص بأمور الحرب .

قلت : ولكن هذا الظاهر حرمت منه أيضا الجمعية التشريعية ! لأنها أهملت كما أهمل أخذ رأى أعضائها فى مهام الأمور ، ولو بصفة غير رسمية : فقد تقرررت الميزانية - وهى من أهم الأمور - بدون أن يستشار أحد من الأعضاء فيها . وفى ظنى أن الجمعية تعاون الحكومة على أعمالها ، وتخفف من المسؤولية عنها .

فقال : إن عدم عقدها لم يكن لقللة الثقة فيها ، بل لكثرة اشتغال الوزراء بمهام الأعمال ، وعدم وجود وقت عندهم يتفرغون فيه لمشاركة الجمعية فى أعمالها !

(٧٥) فى الأصل : وقلت .

٢٠٥١

فقلت مبتسما : إن مَنعت الوزراء كثرة الأعمال من الاشتغال مع الجمعية ، فلا أظن أن هذه الكثرة تمنعهم من مشاورة أعضائها ! فقال : إني أؤكد لك بأن الحكومة واثقة بالجمعية ، وأنها تشتغل بتوسيع اختصاصاتها .

فقلت : إن كان توسيع الاختصاص بالمعنى الذى قرأناه فى الجرائد ، فهو قليل الأهمية بالنسبة لما كنا نؤمله . ومع ذلك فقد قيدوه يقيدوا قلت من فائدته ! ومادامت نية الحكومة نحو الجمعية حسنة فمن اللازم إظهار هذه النية لا إخفاؤها !

ثم قلت : إن تقيد^(٧٦) المنحة السنوية بتلك القيود من شأنه أن يوهم قلة ثقة الحكومة بالجمعية ، وإن الأوفق أن يُبدأ بالإطلاق لا بالتقيد ، لأنك إذا دعوتنى للتنزه فى هذه الحديقة بشرط ألا أجول إلا فى مكان معين منها ، ولا أتعداه إلى سواه ، شعرت بشيء [ص ١٣٤٠] من الضيق وقلة الثقة — بخلاف ما إذا أذنتنى بالتجول فيها بلا شرط ، فإني أكون كثير المنة والشكر لك ، ولا أشعر بشيء من الضيق .

فقال : ولكنى أخشى إذا أطلقت الأمر لك ، أن تفسد الزهر والشمر ، وتقطع الشجر ، فألتزم بدعوة البوليس لإخراجك ، وهناك يكثُر صياحك ، وتعلو الضجة منك !

فقلت : ولكنى عند ذلك أفحم بما فعلت من الأضرار بالحديقة ! جرت هذه المحادثة بين الابتسام والضحك . ثم قال : إن المشروع بيد مستر برنيوت^(٧٧) . وامتدحه .

(٧٦) فى الأصل : وتقيد .

(٧٧) Sir William Brunyate السير وليم برونييت ، المستشار القضائى الإنجليزى للحكومة المصرية .

فقلت : إني أعرفه ، واشتغلت معه مدة طويلة قدرته فيها حق قدره . وهو عالم واسع الاطلاع ، دقيق النظر ، ولكنه صلب ! فقال : وصلب علىّ أيضا ! فإنه يعارضني فيما ليس من رأيه . ثم قال إنه يجب المناقشة في الأمور ، ومبادلة الآراء فيها ، لأن كل إنسان معرض للخطأ في رأيه ، والمناقشة تجلو الحقائق ، وتكشف عن الصواب .

قلت : يسرنا أن نرى جنابك على هذه الصفات ، وكن واثقا أننا نسير معك على مبدأ تبادل الثقة وحسن التفاهم والصراحة في القول والعمل . علاقتنا حسنة على الدوام . ثم نهض ، فنهضت ، وانصرفت . وقد تركت هذه المقابلة في نفسي أثرا حسنا من ذلك الرجل ، لأني رأيته هشا بشا بساما ، وديع الجانب ، لين العريكة ، حاضر الذهن ، متأنيا في القول ، ومتعقلا في الرأي . فإذا انضاف^(٧٨) إلى ذلك حسن في النية ، وقصد للخير ، قوى الأمل في صلاح المستقبل . والله أعلم .

[ص ١٣٤١] (٧٨م)

في يوم ١٥ افريل سنة ٩١٥

مر بي عدلي باشا^(٧٩) نحو الساعة السادسة من مساء هذا اليوم

(٧٨) هكذا في الأصل ، والمعنى : « أضيف » .

(٧٨م) من هذه الصفحة حتى صفحة ١٣٥٠ مكتوب بخط سعد زغلول .

(٧٩) عدلي يكن باشا ، وزير المعارف العمومية في وزارة حسين رشدي باشا

منذ ١٩ ديسمبر ١٩١٤ ، ولد في ١٨٦٦ وتوفي ١٩٣٢ ، وهو ابن خليل إبراهيم باشا يكن . تعلم في الآستانة ، وعاد إلى مصر ليتعلم في المدرسة الألمانية ، والفرير ، والجزويت ، ولما أتم دروسه عين في سنة ١٨٨٠ كاتبا بقلم الترجمة بنظارة الداخلية ، فكاتب بقلم المطبوعات ، ثم سكرتيرا لنظارة الخارجية ورئاسة مجلس =

٢٠٥٣

بالبيت ، فلم يجدنى ، وسأل عنى فى الكلوب بعض صحبى ، ثم حضر عندى فى الساعة التاسعة والنصف . وفهمت أنه يريد أن يقف منى على ما جرى فى تلك المقابلة . وكان هذا الفهم مطابقا للواقع ، فحكيت له ما جرى تفصيلا ، فقال : أحسنت فيما قلت إلى جناب المندوب ، ولقد تركت عنده أثرا حسنا ، فإنه شافه عظمة السلطان بذلك أمس ، فقال له عظمته : إذا كان الأمر كذلك ، فهلما نعطى للجمعية ما أردت إعطاءه ! فقال له : إن هذا موضوع آخر أو ما فى معناه .

ثم قال لى : إن رشدى باشا وضع مذكرة فى الرد على مذكرة حسن صبرى إلى موسيو « برونيت » ، وجاءت مذكرة وافية . واقتنع برونيت بخطا صبرى ، ولكنه تشدد فى منع الميزانية من أن يكون رأى الجمعية قطعيا فيها . فقلت : إني فهمت من جناب المندوب أنه ينبغي اقناع برونيت وبالمناقشة معه .

وقد سألت عدلى عن حال السلطان فقال : إنه سليم ، ولكنه مستاء من مشكلة الوراثة ، فإن ابنه يأبى أن يكون ولى عهد له ! وقد تكلم

: النظار فى عهد نوبار ، وعين فى عام ١٨٩٠ وكيلا لمديرية المنوفية ، فوكيلا لمديرية المنيا ، فوكيلا لمحافظة القنال ، فمديرا للفيوم فى ١٨٩٤ ، فمديرا للمنيا ، والشرقية ، والدقهلية ، والغربية ، فمحافظا للقاهرة ، ثم مديرا لديوان الأوقاف ، وعين ناظرا للخارجية فى وزارة حسين رشدى باشا فى ٥ أبريل ١٩١٤ ، وعندما ألغيت وزارة الخارجية بعد فرض الحماية على مصر فى ١٩ ديسمبر ١٩١٤ ، عين وزيرا للمعارف العمومية فى وزارة حسين رشدى باشا الثانية التى تألفت فى ١٩ ديسمبر ١٩١٤ . وتولى رئاسة الوزراء عدة مرات ، الأولى فى ١٦ مارس ١٩٢١ والثانية فى ٧ يونية ١٩٣٠ ، والثالثة فى ٣ أكتوبر ١٩٢٩ ، وتوفى فى باريس فى ١٩٣٣ ، وكان أول رئيس لحزب الأحرار الدستوريين بعد الانشقاق الأول للوفد فى ١٩٢١ .

١٠٥

معه مرارا هو ورشدى فأصر على الإبقاء كل الإصرار ، وكان آخر الكلام معه اليوم^(٨١) . وقد ترك هذا الرفض عظمة الأب ، ورئيس وزرائه ، وأنا ، فى أشد حالات الحيرة ، ولا ندرى ماذا نفعل !

قلت : ومسئلة الوراثة هى بيت القصيد فى التغير ، فإن لم تنته هى

(٨١) ابن السلطان حسين كامل هو الأمير كمال الدين حسين . وقد ظل على رفضه العرش حتى وفاة والده يوم ٩ أكتوبر ١٩١٧ . فقد كتب إلى والده كتابا فى ٨ أكتوبر ١٩١٧ - قبل وفاته بيوم واحد - يعتذر فيه عن عدم قبول وراثة العرش ، وقد قال فيه : « يا صاحب العظمة السلطانية .

« ذكرتمونى عظمتكم بما اتفقتم عليه مع الحكومة البريطانية الحامية ، وقت ارتقاء عظمتكم عرش السلطنة المصرية ، من تأجيل وضع نظام وراثة العرش السلطانى إلى ما بعد بحثه . وقد تفضلتم عظمتكم فأعربتم لى عن رغبتكم فى أن تكون وراثة عرش السلطنة المصرية منحصرة فى الأكبر من الأبناء ، ثم بعده لأكبر أبنائه ، وهكذا على هذا الترتيب .

« وإنى لأذكر لعظمتكم هذه الثقة الكبرى ، لما فى هذه الرغبة من التشريف لى ، على أنى مع اخلاصى التام لشخصكم الكريم وحلمكم الجليل ، مقتنع كل الاقتناع بأن بقائى على حالتى الآن يمكننى من خدمة بلادى بأكثر مما يمكن أن أخدمها به فى حالة أخرى . لذلك أرجو من حسن تعطفاتكم أن تآذنوا لى أن أتنازل عن كل حق أو صفة أو دعوى كان من الممكن لى أن أتمسك به فى إرث عرش السلطنة المصرية بصفتى ابنكم الوحيد . وإنى بهذه الصفة ، أقرر الآن بتنازلى عن جميع ذلك ، وإنى لا أزال لعظمتكم السلطانية النجل المخلص والابن الكثير الاحترام .

« كمال الدين حسين »

« القاهرة فى ٨ أكتوبر سنة ١٩١٧ .

(انظر : الرافعى : ثورة ١٩١٩ ، الجزء الأول ص ٣٤) .

٢٠٥٥

أيضا على ما نروم كنا من الخاسرين . وقد انطلقنا إلى منزل أدولف (٨٢) قطاوى ، حيث كنا مدعوين لسهرة ، فمضينا جزءا طويلا من الليل . وفي العودة ، ركبت مع رشدى بعد أن أركب معه عدلى ، وسألنى عما سألنى فيه عدلى ؟ فأجملت له الحكاية ، وأحلتها فى التفصيل على عدلى . فقال : ويمكنك أنت أن تقوم بالتفصيل لى . نقلت : إذا فابعث لى آت إليك ! وذهب إلى أهله فى نحو الساعة الثالثة .

[ص ١٣٤٢]

فى يوم ٢٠ أبريل سنة ١٩١٥ الساعة الرابعة بعد الظهر .

عدت الآن من زيارة السلطان فى عابدين ، حيث جلست بحضرته من الساعة ٢ لغاية الساعة ٣,٣٠ ونصف . وقد دار الكلام على موضوعات شتى ، أهمها أنه اعتذر عن تسميتى بشيخ العصبه ، بأن هذه تسمية مزح ومباسطة ! وقال كذلك فى تسميته حسن صبرى تلميذا ، وأضاف إليه إنه كان يعلم أنه يتردد على . فأفهمته الحقيقة .

ومن هنا ، ذكر أن الإنكليز متساهلون معه فى كل شيء ، إلا فى توسيع اختصاص الجمعية التشريعية . وأنه وجد برونيث مملوءا من أفكار لا يتأتى أن يكون فهما إلا من مسلم ملهم بأمور الشرع ! وأنه علم بأن الذى دس عليه هذه الأفكار إنما هو حسن صبرى . وأنه تكلم مع صدقى فى شأنه ، ففبرا منها . ولكن يظهر أن السلطان لا يصدق ، وأنه أنذره أن يعتدل فى سيره .

واستطرد من هنا إلى اقتراح حسن صبرى امتحان تلامذة معهد اسكندرية مع مدرسة القضاء ، وأنه لام على صدقى لوما عنيفا ، ولم يجد

(٨٢) قراءة تقريبية .

١٠٧

هذا عذرا يقدمه سوى أن حسن صبرى عضو منته في المجلس الأعلى .
وتحدث السلطان عما^(٨٣) ينوى ادخاله في المعارف من الاصلاحات ،
كتمديد مدة الدراسة الثانوية ، وتوحيد لغة التعليم ، وتنظيم المدارس
على وجه يوسع مدارك التلامذة ، ويجعل منهم في المستقبل رجالا قادرين
على خدمة بلادهم . ومنها أنه ينوى أن ينفذ فكرة تعدد المعاهد الدينية
بالتدريج . ومنها أنه طلب من مكماهون أن يسأله رأيه في المصريين الذين
يريد أن يتعرف عليهم ، وأن يدعوهم الى مائدته ، وأن لا يقتصر في ذلك
على الاسترشاد برأى استورس وغيره . ومنها أنه في غاية الامتنان من عدلى
ومن رشدى . ومنها أنه إذا حدث تغيير^(٨٤) في الوزارة ، لا يترك التعيين
الى الإنكليز .

[ص ١٣٤٣]

في ٢١ أبريل سنة ٩١٥

انقطعت من مدة عن التردد على رشدى باشا ، لأن لطفى بيك
السيد كان عندى ذات يوم ، وأراد مقابلته ، فبعثت الخادم إليه ليرى
ما إذا كان في الإمكان مقابلته ، فعاد مخبرا بأنه مشغول ، من غير أن يحدد
زما آخر ! فأخذت ذلك عليه .

ويظهر أن لطفى قابله بعد ذلك ، وذكر له هذه المسئلة . ومضت
بضعة أيام حتى قابلني في ميتم عبد الله بيك الطوير ، وقال إن خادمى
كذب عليه ! وطلب أن أرسل إليه خادمى للتحقيق . وعند خروجنا من
الخميمة ، أخذ يلعن ذلك الخادم أمام المودعين ، فأرجعته عنه .

(٨٣) قراءة اجتهادية مستقاة من السياق ، وقد قرأ : فبهت السلطان بحق .

(٨٤) قراءة اجتهادية .

٢٠٥٧

ولكنى أخذت عليه تهاونه أولا وثانيا ، فانقطعت عنه . وقد حضر لطفى من يومين ، ودعوته للغداء عندى أمس ، فعاتبني رشدى فى التلفون على عدم دعوته معه . فقلت : إني مستعد لها إذا تنازل وقبل .

ثم حضر بعد الغداء ، وقال لعلوى باشا : إني قدمت الاستعفاء من رئاسة الجامعة^(٨٥) ، لأن البرنس فؤاد أثقل على الكلام فى شأنها ، واتهمنى بأنى أنا المانع له من العودة إليها ، فأردت أن أبرهن له على خطئه^(٨٦) باستعفاي ، حتى يخلو المكان له .

وطلب منى أن أساعده^(٨٧) على العودة إلى الرئاسة ! فقلت : لا يمكننى ذلك ، خصوصا وأنه كان يريد العودة لاجراج علوى^(٨٨) وبعض الأعضاء . قال : وعرضت عليه استبقاء علوى فلم يقبل .

فقلت لعلوى : إذا كان الأمر كذلك ، فما عليك إلا أن تقدم الاستعفاء رسميا للمجلس وهو يرفضه ، وحينئذ يكون الباشا عمل ما عليه للبرنس ، وأنتم ما عليكم للجامعة !

(٨٥) كان الأمير أحمد فؤاد قد قدم استقالته من رئاسة الجامعة ، ووافق مجلس الجامعة على استقالته فى ٢٠ مايو ١٩١٣ ، وانتخب حسين رشدى باشا مكانه .
(د. عبد المنعم الجميى : الجامعة المصرية القديمة ، نشأتها ودورها فى المجتمع ١٩٠٨ - ١٩٢٥) .

(٨٦) فى الأصل : خطاه .

(٨٧) أى يساعد البرنس أحمد فؤاد .

(٨٨) الدكتور محمد علوى باشا (١٨٤٧ - ١٩١٨) كان عضوا بالجمعية التشريعية ومجلس المعارف الأعلى ، وعين مراقبا للجامعة المصرية الأهلية سنة ١٩١٤ . (المزيد من المعلومات انظر حاشيتنا رقم ٣٢ مكرر على الجزء الثانى من مذكرات سعد زغلول)

٢٠٥٨

وانتهى الحديث وانفض الجمع بعد أن دعوتهم للعشاء عندى غدا .
فهمت من عدلى فى يوم الاثنين الفائت أن البرنس كمال الدين
لا يرغب أن يكون ولىّ عهد لأبيه ، وأن السلطان مرتبك فى ذلك ،
والوزراء فى حيرة ، ولا حيلة لديهم إلا ترشيح البرنس فؤاد ! فقلت :
ما أتعس حظ هذه البلاد^(٨٩) !

[ص ١٣٤٤]

قابل لطفى بيك السيد السلطان ، ففاتحه فى مسألة إنشاء جريدة
إسلامية ، فوافقه على الفكرة . وسمعت بعد ذلك أن هناك مشروعا من
هذا القبيل .

أخبرنى لطفى بيك أنه فى حالة الاستغناء عن حسن بيك
جلال^(٩٠) ، يراد تعيين علام مدير جرجا مكانه ، ثم عطية حسنى
مكانه ، ثم لطفى مكان الأخير !

وأخبرنى بعد ذلك أن عبد الخالق باشا^(٩١) قال إلى زميليه رشدى
وعدلى : إنه لا يمكنه أن يروج ترشيح لطفى إلى وظيفة فى محكمة
الاستئناف لا فى القضاء ولا فى النيابة !

يوم ٢٣ أبريل سنة ١٩١٥

(٨٩) كأنما كان سعد زغلول يتنبأ بما سيكون من صدام بينه وبين أحمد فؤاد بعد
أن يتولى العرش سلطانا فملكا ، وبما قام به الملك فؤاد من انتهاكات للدستور ،
كانت سوابق بنى عليها ابنه الملك فاروق لواحق ! وانتهى الأمر بقيام ثورة يوليو ،
وانهاء صفحة القائمة العلوية من البلاد . وانهاء صفحة الديمقراطية الليبرالية أيضاً !
(٩٠) حسن بك جلال مستشار فى الاستئناف .
(٩١) عبد الخالق ثروت باشا ، وزير الحقانية .

وجدت رشدى مع روكسيرا^(٩٢) فى منزله يتحدثان فى مسألة وراثة ملك مصر ، وقال رشدى : إن البرنس كمال الدين يأبى كل الإباء أن يخلف والده ، متعللا بكونه غير كفؤ لهذه الوظيفة السامية . وقد حاول والده إقناعه فلم يفلح ، وتكلمت أنا معه كثيرا بلا فائدة ، وهو مصمم كل التصميم على رأيه ، ولا يمكن لأحد أن يثنيه عنه . وبناء على ذلك يلزم قطع النظر عنه ، وتوجيه النظر إلى غيره ، وليس أمامنا من بعده إلا البرنس فؤاد ، فإن مات عن غير عقب أتى بعده البرنس يوسف ، ثم البرنس عمر طوسون . وفى أثناء الحديث ، دخل عدلى باشا ، وبعد ذلك ثروت باشا .

وكثر الأخذ والرد فى هذه المسألة . وقد اتفقت كلمة الحاضرين على عدم استحسان تعيين فؤاد ، كما اتفقت آراؤهم على لزوم تعيينه رعاية لخطر أخيه ، وعدم خروج السلطة من عائلة إسماعيل مرة واحدة - وما كنت مرتاحا كل الارتياح لهذا رأى - وإخراج عائلة مصطفى فاضل باشا ، لعدم أهلية واحد منهم ، وعائلة حلیم باشا ، للسبب السياسى . فقلت : وما قولكم فى عائلة توفيق ؟ فاتفق الكل على عدم حرمانها ، وعلى كون دورها [ص ١٣٤٥] لا يأتى^(٩٣) إلا آخر فرع إسماعيل .

وكان رشدى يميل إلى أن يكون للسلطان حق اختيار من يخلفه ! فاعترض عليه (أولا) بأنه يُخشى من التأثير على إرادته . (وثانيا) بأنه يجوز أن لا يختار من يخلفه لسبب من الأسباب ، فلزم وضع قاعدة لهذه الحالة ، وما يصلح أن يكون قاعدة لها لا مانع من أن يكون قاعدة فى

(٩٢) هو : شارل دى روكسيرا ، المستشار القضائى لنظارة المالية .

(٩٣) عبارة : « لا يأتى مكررة ، إذ وردت فى آخر صفحة ١٣٤٤ » .

٢٠٦٠

جميع الأحوال . ولكن رشدى كان - رغم ذلك - يميل إلى هذا الرأى حتى تخيلت أنه رأى الإنكليز ! .

وقد أبديت الرأى بأن الجمعية التشريعية تنتخب من يصلح من عائلة محمد على ، فى حالة ما إذا مات السلطان عن غير عقب ذكر ! فقالوا : إن الإنكليز لا يوافقون على ذلك .

وقد جرى الكلام أيضا فيمن يكون وصيا ، فى حالة ما إذا كان وارث السلطنة قاصرا ؟ فاختلفت الآراء ، وجاءت الساعة الواحدة قبل تقريرها ، وانصرفت

وقد رأيت من عدلى حرصا على الاستقلال ، ورأيت رشدى متساهلا فيه نوعا : وجرى بينهما شئ من المناقشة يشف عن وجود نوع من التنافس بينهما . ولم تعجبني مناقشة ثروت معى ، فإنه كان يلوح من خلالها شئ من الحقد ، والحرص على تخطئى .

يوم ٢٤

وقد دعيت لتناول العشاء على المائدة السلطانية هذا المساء ، ووجدت مدعوا معى عاطف بركات ، وعبد الرحيم أحمد ، ناظر مدرسة المعلمين الناصرية ، والشيخ محمد حسنين ، مدير إدارة الأزهر . وقد دعيت إليه أولا وحدى ، ثم اجتمعنا كلنا على المائدة ، ثم جلسنا معه نحو ساعة . ثم صرف الكل ، وجلس معى ساعة أخرى .

وموضوع الدعوى أنه يريد أن يعمل مسابقة بين بعض تلامذة الأزهر والمدرستين : القضاء والمعلمين ، فى الشعر والخطابة والإنشاء ، بحيث أن كلا من هذه المعاهد يعين عددا من تلامذته للمسابقة فى هذه الفنون ، ويعقد لذلك احتفال فى عابدين ، وتعين جائزة لكل منهم . فاستحسن هذه الفكرة .، وتقرر أن تحصل يوم ١٩ مايو .

١١٢

وقد جرى الكلام في موضوعات شتى : منها أنه كان يريد العفو عن الذى اعتدى عليه ! ولكن السلطة العسكرية عارضت ! [ص ١٣٤٦] ومنها الاستغناء عن حسن جلال لبلوغه سن الستين سنة . وقد امتدحته له ، ورغبت أن ينتفع منه في وظيفة أخرى ، فلم يجب ! ولما اعترضت عليه في تعيين سعيد باشا قيميا على سيف الدين ، تنصل من تعيينه ، وقال إن تعيينه كان بمساعي آخرين ، وأن ظروف الأحوال ألجأته إلى فعل ذلك أول ارتقائه ، وأن الذين أعانوه أصبحوا على ما فعلوا نادمين ، وأنه يريد أن يصلح التعليم العام ، والحربية ، والإدارة . ونبه أن لا يحصل تغيير في الأمور الإدارية إلا بإذنه .

وهنا تظاهرت بالعبط^(٩٥) وكررت قوله إنه نبه أن لا يحصل تغيير من غير رأيه ! فكان ينبسط من اظهار قوته على إصدار هذا التنبيه ، وينهض ، ويرفع يديه ، ويتلوى إعجابا بتلك الفكرة التى أظهرت له مزيد إعجابى بها !

وقال لى : إنه علم من رشدى أنى حضرت مداولتهم في الوراثة . وأن ابنه متعفف عن الملك ، ولا يمكن استرضاء بحال من الأحوال . وإنه لا يعارض في ادخال عائلة عباس ، لأنه لا يجب الانتقام ، خصوصا وهم لم يفعلوا شيئا . فأكبرت هذه النزاهة إكبارا رنج معاطفه ، ونفخ فيه العُجب بنفسه ، والارتياح لى .

وقال : إنه لابد من تعيينه بعض المديرين ، ولكن بعد انتهاء الحرب !
فقلت : لا علاقة لهذا التعيين بالحرب ! فتمتم وغمغم !

(٩٥) هكذا تقرأ .

وامتدح سعيد زغلول لمعرفته بالعربية والترجمة . والنظر في عشم
رشدى وعبد الخالق باشا لطفى بيك - فيما سبق - بوظيفة سامية في
القضاء والإدارة ، ولكنه رضى بعد ما تقدم ذكره أن يكون رئيس نيابة في
بنى سويف .

ولما علمت ذلك لم أستحسنه ، وشافهته في ذلك ، فاعتذر بعدم
العمل وضيق الحال ! فعذرته . وقد قابلت رشدى بعد ذلك ، وقال إنه
لم يقبل بخروج حسن جلال من الاستئناف إلا ليخلو إلى لطفى مكان في
النيابة ، وأنه قبل هذه الوظيفة .

وقد جمعنا مجلس في الكلوب ، فقلت إلى عبد الخالق^(٩٦) : إنه تقرر
خروج أربعة من الاستئناف ، وهم الذين سيبلغون سن الستين . فقال :
لم يتقرر شيء من ذلك . وجرت مناقشة خفيفة ، اشتدت فيها نوعا على
عبد الخالق اشتدادا لمت نفسى عليه بعد ! [ص ١٣٤٧] وفهمت
منه^(٩٧) ومن عدلى بعد ذلك ، أن رشدى باشا لما عرض أمس على
السلطان تعيين لطفى ، قال : تمهلوا يوما لعل أعينه في وظيفة عندي !

(٩٦) عبد الخالق ثروت باشا ، وزير الحقانية ولد في ١٨٧٣ وتوفي في ١٩٣٢ ،
تخرج من مدرسة الحقوق مع محمد فريد ، وعين الاثنان في قلم قضايا الدائرة
السنية ، ثم انتقل إلى وزارة الحقانية في وظيفة كاتب سر لجنة المراقبة القضائية ،
وسكرتير المستر سكوت مستشار الحقانية ، وفي نوفمبر ١٩٠٧ عين مديرا لأسبوط ،
وفي عام ١٩٠٨ ، عين خلفا للمستر كوربت Mr. Corbet النائب العمومي ، فكان
أول مصري يشغل هذه الوظيفة ، واستمر فيها حتى عام ١٩١٤ حيث اختير وزيرا
للحقانية في ٥ أبريل ١٩١٤ ، واستمر في منصبه في وزارة ١٩ ديسمبر ١٩١٤ برئاسة
حسين رشدى باشا ، واشترك في الحركة الوطنية وكان له دور في تصريح ٢٨ فبراير
١٩٢٢ ، وعين وزيرا للداخلية في مارس ١٩٢١ ، فرئيسا للوزراء في ٢٧ يونية
١٩٢١ .

(٩٧) مكررة في الأصل : أى في نهاية الصفحة السابقة وبداية هذه الصفحة .

٢٠٦٣

فلذلك توقفت حركة الاستئناف قلت : أحب إلى لطفى المعية ، وإلى الاستئناف بقاء جلال فيه . وانفض الجمع .

إقترح عدلى باشا على مجلس ادارة الجمعية^(٩٨) النظر فى نظام ادارتها ، والتعليم فيها . وفعل ذلك أثناء انعقاد جلسة سابقة ، وأراد تعيين لجنة على الفور للنظر فى هذا الاقتراح ، وعارضت النظر فيه بحجة كونه لم يكن فى جدول أعمال تلك الجلسة ، وتأخر إلى جلسة أخرى تعينت فيها لجنة منه ومن عبد الخالق وحسن عبد الرازق وعلوى وطلعت حرب وشكرى وكاتب هذه السطور .

واجتمعت هذه اللجنة عندى لأول مرة اجتماعا امتد إلى الساعة الثانية بعد نصف ليل يوم الخميس الفائت ، وانتهت المدولة بميل اللجنة إلى أن يبقى التعليم فى مدارس الجمعية على ما هو إلى نهاية السنة الثانية ، وبعد ذلك لا يكون التعليم المجانى إلا إلى عشرين فى المائة فقط ، ومن زاد على ذلك يرفت من المدرسة لكى يعود إلى بلده ، أو يدخل فى مدرسة صناعية . وتقرر أن يكون للتعليم مدير مأجور ، ولجنة فنية إدارية يُعرض عليها كل ما يتعلق بفن التعليم وإدارته .

ويوم أمس انعقدت اللجنة فى محل ادارة الجمعية ، ولم يحضرها طلعت حرب . وقد جرت المناقشة فى مسألة التعليم ، ورأيت (أولا) أن لا يبتدأ بتنفيذ الفكرة التى ملت إليها ألا فى حينه وأعدت أموره^(٩٩) ثم عرضت أنه عوضا عن أن الجمعية تنشئ مدرسة أو أكثر صناعية ، تتفق مع مجالس الحكومة أو المديريات الصناعية على قبول تلامذتها . فوعد عدلى أن يفحص ذلك فى وزارته .

(٩٨) يقصد : « الجمعية الخيرية الإسلامية » .

(٩٩) قراءة تقريبية ضعيفة .

وقد تبين - من شواهد كثيرة - أن عدلى يريد (أولا) وبالثبات تحويل التعليم الذى تقوم الجمعية به إلى تعليم كتابى ، وإن لم يمكن فإلى تعليم صناعى . وأنه يفعل ذلك تمهيدا لتغيير يراد إعماله فى وزارة المعارف ، حتى يكون عمل الجمعية حجة^(١٠٠) فيه - لأنه كان شغوبا جدا بتقرير المسئلة نهائيا ، لا على سبيل التجربة ! وكان يضيق صدرا من كل ما يعارض فكرته .

[ص ١٣٤٨]

وبعد انتهاء هذه الجلسة ، جرى الكلام فى وزارة المعارف . فقال : هل هى سيئة النية إلى هذا الحد ؟ قلت : إن سوء نيتها فيما سبق واضحة جدا . وأشرت إلى ما كان من إلغاء الإرسالية ، والتلاعب بمدرسة المعلمين ، والمعارضة فى ترجمة الكتب الدراسية ، والحجر على تعلم اللغة الفرنسية إلا اعتبارا من السنة الثالثة من التعليم الثانوى ، وإلغاء إرسالية الحقوق ، وعدم تعيين الوطنيين فى مدرسة الحقوق إلا بصفة مساعدين مع كون شهادتهم أرقى ، وجلب مدرسين أجانب أقل كفاءة منهم ، مع وجودهم . وعدم التعليم باللغة العربية فى المدارس العليا .

وأشرت إلى كل ذلك أمام عبد الخالق^(١٠١) فلم يقل شيئا ! وامتنع لون عدلى ، وازداد اصفرارا ، وقال إنه لا سبيل إلى المناقشة فى هذه التفاصيل ! قلت : إنها أمور هامة لا تقبل المناقشة . وتوجهنا معا إلى الكلوب ، وكان موضوع حديثنا الإعجاب بأُمَيَّال السلطان^(١٠٢) ، وترفعه عن المعارضة فى أيلولة السلطة إلى نسل عباس بعد انقراض عقب^(١٠٢) غيره ، والسلام .

(١٠٠) أى ذريعة لتنفيذه .

(١٠١) عبد الخالق ثروت باشا .

(١٠٢) قراءة تقريبية :

(١٠٢م) فى الأصل : عاقبة ، والعقب هو الولد .

٢٠٦٥

في يوم الأربعاء ٢٨ أبريل ، في نحو الساعة السادسة مساء ، كنت في الكلوب ، فتكلم معى حسن صبرى بالتليفون يدعونى إلى العشاء عند السلطان في الساعة ٨,٠٠ . فقال لى^(١٠٣) : إنه فكر في تشجيع اللغة العربية ، لا لغرض سياسى ، ولكن لغرض النهضة بالأمة العربية . ولذلك قررت جوائز لمن يجيدون الخطابة والإنشاء والشعر ، ولكن رشى باشا يرى الأولى العدول عن الشعر ، لأن مراقبة التسابق فيه غير ميسورة .

قلت : الحق معه ، ويمكن استبداله بفن آخر ، كأداب اللغة ! قال : وقد اخترت أن تكون أنت رئيس اللجنة ، وفي ظنى أنك لا تأبى ذلك ! قلت : إنى أتشرف بتنفيذ كل فكر صالح يقوم بخاطر المولى الكريم . قال : ولكن الخوف منك كثير ، لأنك ميال إلى مدرسة القضاء ، وأولياء المعاهد الأخرى يخشون منك هذا الميل . قلت : إن كانت عدالتى لا تزال خافية بعدما تعينت فى المحاماة وفى القضاء وفى الوزارة ، فعلى الفهم العفاء ! والمسئلة مهمة لكونها صادرة من مولاي ، ولكن لا أهمية لها فى حد ذاتها ، وبالنسبة لأربابها ، إذ لا أفخر بأن أكون رئيسا مع هؤلاء الخائفين .

[ص ١٣٤٩]

ثم حضر العشاء ، ودعينا إليه ، وكان الحديث عليه تافها . وقد نبه^(١٠٤) على متولى أمر النظام فى الياوران ببعض أمور تتعلق بالخيول . ولما فرغنا من الطعام عدنا إلى مكاننا الأول . وأخذ يمين - على عادته -

(١٠٣) أى السلطان .

(١٠٤) أى السلطان حسين كامل .

٢٠٦٦

بالإحسان الذى يوليه ، والزيارات التى يتابعها فى المعاهد العلمية ، والمقاصد التى يسعى إليها فى اصلاح المعارف والتربية العامة ، وفى النوايا التى يقصدها فى تدبير الشؤون وتنظيم الأمور .

وقد ندد - أثناء كلامه - بالمدرسة الحربية ، ونظامها ! فقلت : إذا أذن لى مولاي ، رجوته أن لا يجاهر بمثل هذه الملاحظات ، حتى لا يقزز الحماية الإنكليزية . وأن يبيدها لهم بينه وبينهم ، لأنى أعلم من حالهم أنهم لا يحبون الجهر بنقد أعمالهم . قال : كذلك أفعل .

وقد طعن طعنا شديدا على قلبنى باشا ، ونبه على خدمة السراى بأن لا يمكنه من دخولها ، لأنه تجاوز حده ، وحاول أن يكون أمة فى أمة ، حاول أن يجعل للأقباط وجود مستقلا عن المسلمين ، وأن يجعلهم أمة على حدثها فى قلب الأمة المصرية . وهذا ما لا أسمح به ، وأعمل غاية جهدى فى منعه ، فالكل مصريون ، ومصالحهم واحدة . واستمر يتكلم على هذا المنوال مسافة طويلة ، ويعيد ما أبدى .

ولكنى قرأت فى جرائد أول أمس ، أن قلبنى باشا كان فى من تشرفوا بالمقابلة بعد هذا الحديث ! قال : وغرضى أن ألفت الأذهان إلى رفع شأن الأمة العربية ، وتوحيد كلمتها ، والبدء^(١٠٥) من أنفسنا فى توجيهها نحو غرض واحد ، قبل أن يحملنا الغير عليه .

قلت : إن ذلك حسن ! وما يدخل فى هذا الباب تشجيع مدرسة الإرشاد الإسلامية . قال : ولكن الشيخ رشيد^(١٠٦) مذبذب ! قلت : إنه نافع فى هذا الغرض ، ولا بد أن يستعمل الإنسان لكل شيء آله . قال : سأنظر فى مسأله بعناية خاصة .

(١٠٥) فى الأصل : « والبدىء » .

(١٠٦) هو الشيخ محمد رشيد رضا (١٨٦٥ - ١٩٣٥) واحد من رجال الإصلاح الإسلامى ، ولد ونشأ فى « القلمون » بطرابلس بلبنان ، وتعلم فيها . =

٢٠٦٧

ثم قال : إنه محزون على خيرت^(١٠٧) حزنا شديدا ، ولا يدري كيف يعوضه إذا مات . وبكى . فقلت : وقا الله مولانا شر ما يكره ، ورزق المريض عاجل الشفاء . وانصرفت إلى مستشفى ملت ، حيث وجدت خيرت متألما جدا ، وكان يرفع تأوهات شديدة تذيب الأكباد . وبعد ذلك انصرفت ، ومرضت .

وبعد الظهر حضر عاطف ، وأخبرني بأن السلطان عدل عن تأليف تلك اللجنة^(١٠٨) ، ونشر هذا الخبر « المؤيد » ، وأكدته حسن عبد الرازق ، رافة بالأزهريين - كما قيل - ففهمت أنها إشارة من دار الحماية . [ص ١٣٥٠] وإن كان عدلى يقول : إن السلطان أخبره - صبيحة تلك الليلة - أنه بعد أن فكر فى الأمر ، عدل ! عجبا ! يفكر فى الأمر بعد أن يمضيه ، ويمضيه قبل أن يفكر فيه ! ولم يردنى إلى الآن منه خبر .

= ورحل إلى مصر ١٨٩٧ ، واتصل بالشيخ محمد عبده ، وتعلم له ، وأصدر مجلة « المنار » لبث آرائه فى الإصلاح الدينى والاجتماعى . ورجع إلى دمشق فى أعقاب اعلان الدستور العثمانى سنة ١٩٠٨ ، واضطر إلى العودة إلى مصر لينشئ مدرسة الدعوة والإرشاد الإسلامية . وفى أيام حكم الملك فيصل قصد سورية ، وانتخب رئيسا للمؤتمر السورى ، وغادرها على أثر دخول الفرنسيين إليها سنة ١٩٢٠ ، فأقام فى مصر ، ورحل إلى الهند والحجاز وأوروبا ، وعاد ليستقر فى القاهرة ، ثم توفى أثر حادث ، ودفن بالقاهرة ، أشهر آثاره مجلة « المنار » (٣٤ مجلدا) و« تفسير القرآن » (١٢ مجلدا) ولم يكمله . و« تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده » . وللأمير شكيب أرسلان كتاب فى سيرته .

(الموسوعة العربية الميسرة ج ٢) .

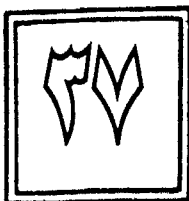
(١٠٧) قراءة تقريرية .

(١٠٨) يقصد : لجنة تشجيع اللغة العربية المشار إليها .

٢٠٦٨

وقد توجهت يوم الأحد ٢ مايو إلى السراى ، لأشكر التفاته إلى
بالسؤال عن صحتى . فلم أتمكن من مقابلته ، وتركت خبرا عند سعيد
ذى الفقار ، ولم يرد إلىّ منه جواب ! وفى هذا اليوم ، توجهت إلى دار
الحماية للتشكر على الدعوة ، فقابلت استورس ، وأخبرته بموضوع
زيارتي ، ولم ألبث إلا قليلا ، ثم انصرفت غير ممنون من هذه الزيارة ،
لأن الاستقبال كان باردا .

٢٠٦٩



الكراسة الرابعة والعشرون

الجزء الثاني

١٢١

٢٠٧١

الكراسة الرابعة والعشرون الجزء الثاني

من ص ١١٥٩ - ص ١٢٧٠
(عدا تنازليا)

من يوم ١٧ مايو سنة ١٩١٥
إلى يوم ٢٢ سبتمبر ١٩١٥

محتويات الكراسة :

- أحلام سعد زغلول .
- استقالة اسماعيل صدقي باشا من وزارة الأوقاف .
- ترشيح سعد زغلول لوزارة الأوقاف .
- اهتمام سعد زغلول بتعيينه وزيرا للأوقاف ، ومحاسبته لنفسه على هذا الضعف .
- معارضة اللورد كتشنر في تعيين سعد زغلول وزيرا للأوقاف .
- مقابلة سعد زغلول مع مكماهون يوم ٢٢ مايو ١٩١٥ .
- زيارة حسين محرم باشا لسعد زغلول .
- خديث ستورز ، السكرتير الشرقي ، مع سعد زغلول يوم ٢٤ مايو ١٩١٥ ، وأسرار خصومة كتشنر لسعد زغلول .

- القبض على محمد أمين يوسف ، والد مصطفى وعلى أمين .
- الإنعام على سعد زغلول برتبة الامتياز التي تخوله حق حمل لقب « صاحب معالي » .
- وفاة محمود رياض باشا .
- اقتراح سعد زغلول انشاء عصبة أمم في ٣٠ يونيو ١٩١٥ .
- الاعتداء على حياة السلطان حسين كامل في ١١ يوليو ١٩١٥ في الاسكندرية .
- حملة اضطهاد ضد الوطنيين .
- سعد زغلول يتحدث عن ميل مفاجيء للنساء .
- مؤامرة المنصورة .
- مقابلة سعد زغلول مع السلطان حسين كامل للدفاع عن الحريات .
- سخط سعد زغلول على الإرهاب الذي تمارسه الحكومة ، ونقده لها ، وتدخله للإفراج عن الأبرياء .
- غضب السلطان على سعد زغلول لدفاعه عن المعتقلين والسعى في الإفراج عن عبد اللطيف المكباتى .
- الاعتداء على إبراهيم فتحى باشا ، وزير الأوقاف ، يوم ٤ سبتمبر ١٩١٥ .
- مهاجمة سعد زغلول للحكم العرفى .
- بناء منزل مسجد وصيف .
- خلاف سعد زغلول مع عديله محمود صدقى باشا .
- فساد جمعية العروة الوثقى التي يرأسها محمد سعيد باشا .
- قضية عزيز بحرى والكيشارية .
- القطيعة بين السلطان حسين وسعد زغلول .

[ص ١١٥٩]

١٦ مايو (سنة ١٩١٥) ^(١)

أرقت الليل طوله ، ولم أنم إلا قليلا . والفكرة التي أفلقتني هي :
ماذا يكون جواب لوندرة في مسألة تعييني ؟ وقد كنت لاقيت عدلى في
الكلوب أمس ، فأخبرني وهو ذاهب إلى عابدين - من غير سؤال - أنه لم
يعلم شيئا جديدا ، لأن مكماهون مسافر ، ولم يقابل رشدى إلا في جمع
حافل .

وما كنت أفهم معنى للقلق الذى استولى على فى الليل ، لأنى أرى
ائم المنصب أكبر من نفعه ، ولازلت على هذا رأى . وقد رأيت منامين
عندما ^(٢) كنت أقفل عيوني ويغالبنى النوم ، أولهما: كأتى فى مسجد ، وفيه
خلق كثير ، من بينهم فتحى ، ورأيت سلم على شيخ ، كان فقيها فى
بلدنا ثم توفى من زمان مديد ، ولم يخطر اسمه ولا رسمه على بالى من نحو
ثلاثين سنة . فأقبلت عليه ، وتكلمت معه بكلام لا أعى منه إلا أنه كان

(١) أضفنا « سنة ١٩١٥ » لأنها بداية كراسة جديدة . ويلاحظ أنها أجندة

فرنسية .

(٢) فى الأصل : عند .

فصيحاً^(٢) جداً ، وبليغا للغاية . ثم رأيت كأن هذا الرجل يقبلني^(٣) وأنى أتشكر له بقولى : أيها المالك العادل ، قد آويتنى ، وكنت أريد أن أقول أكرمت مثواى ، ولكن العبارة هذه غاب نصها عني ، فقلت بدلها : آويتنى ! ورأيت أنى كررت هذه الجملة بصوت يتفاوت رقة وحسن أداء . وتيقظت وأنا أردد هذه الجملة !

أما الثانى ، فقد رأيت أنى ذهبت مع شخصين إلى الأسكندرية ، وزرنا بيت محمد باشا سعيد فى حارة غربية ، وكان مريضاً ، واستأذنا لعيادته ، فقبل لنا : إن عنده اسماعيل باشا أباطة . وغاب الجرسون علينا ، واشتغلت بمناقشة بعض الحاضرين فى موضوع ، لا أتذكر إلا [ص ١١٦٠] أنه كان مهماً . ثم لم أر صاحبي ، وبحثت عنها ، وما اهتديت إن كانا صعدا لدى المريض أو خرجا من المنزل . فسألت رجلاً ، كأنه هندى ، جالسا فى ناحية . وفى أثناء سؤالى حضر عاطف ، وسار أمامى ، وقاطعنى الحديث ، فغضبت وقلت : ألم يكن الأليق أن تنتظر حتى انتهى من كلامى مع هذا الرجل ؟ فقال لى مستهزئاً : يا سيدى !^(٤) فتكدرت من هذه الكلمة فى النغمة التى تأدت بها ، وهز الأكتاف الذى صحبها . وأخيراً رأيت خادمة مليحة الوجه ، جالسة جلوس الفلاحات ، والدموع تسيل منها . نسألها عن سعيد باشا ، فقالت : إنه مريض ، ومصاب ، ومصاب بالنقطة^(٥) ، ولا يمكنه أن يرى أحداً ! فتأسفت لحاله ، وأردت الخروج ، وبحثت عن عصاى^(٦) ،

(٣) قراءة اجتهادية .

(٤) بالعامية ، وتعبر عن عدم الاهتمام .

(٥) النقطة بالعامية معناها : الشلل .

(٦) فى الأصل : عصاى .

فأعطيت عصا جميلة جدا ، مذهبة تذهيبا وهلجا ، وعلى شكل غاية في الجمال ، فقلت : آخذها بدل عصاى ، لأن صاحبها هو الذى أخذها . وكان بعض الحاضرين استنكر ذلك منى ، فقلت : على أنها فى يدى تبقى مؤقتة لحين أن ترد إلى عصاى ، ومع ذلك فأنا معروف ، والمنزل الذى وجدتها فيه معروف ! وتيقظت !

وقد قصص هذين المنامين على حرمى فى الصباح ، فقالت : سيأتيك خير كثير ! وكنت قبل هذين المنامين ، أتمنى لو رأيت رؤيا تخص المسئلة التى تشغلنى . فاللهم خيرا ! فاللهم خيرا !

[ص ١١٦١]

وقد استفهم منى تليفونيا لطفى بك السيد عن مسئلة صدقى (٧) ؟ فقلت : لم يتم شىء فيها ، والغالب خروجه . فسألنى عما إذا كان هناك شىء بالنسبة إلى ؟ فقلت : إلى الآن لم تحصل مفاتحة ، وإذا حدثت كنت أنت أول من أخبرك به . ولكنى شعرت من هيئة سؤاله أنه عالم من مصدر موثوق به ! وتأسفت لعدم إخباره ، ولكنى اطردت معه خطة الكتان !

ولقد حضر اسماعيل صدقى بالكلوب أمس ، وكان متغيرا ، يعلوه نوع من الكآبة والحزن . فجلس برهة ، ثم خرج مع عبد الخالق ثروت ، الذى كان يظهر السرور ! وقد أكد الكثير أنه وسط للسلطان كثيرا من النساء والرجال — بينهم سنية خانم وقنصل فرنسا ! وتواتر على

(٧) يقصد اسماعيل صدقى باشا ، وزير الأوقاف . أما هذه المسئلة فهى إما أشيع من وجود علاقة بينه وبين ابنة أحد الباشات (يحيى إبراهيم باشا) مما دفعها إلى الانتحار . فأجبره السلطان حسين على الاستقالة ، وهو الأمر الذى كان يعنى خلو مكانه وضرورة شغله بوزير آخر .

السنة الكثير أن رشدى يدافع عنه هو وعبد الخالق أشد دفاع ، ولكن ذلك ربما كان أمام الناس إلى حين ظهور الاستعفاء .

إني أشعر من نفسى سقوطا طبيعيا لاهتمامى بهذه المسئلة ، مع ما يحف بها من الصعوبات .

بعد كتابة ما تقدم ، وأنا جالس مع كل من عزيز كحيل وعلوى باشا والشيخ يوسف الخازن ، رأيت رشدى مقبلا ، فظننته حاملا خبرا مثيرا ، فوجدت وجهه محتقنا ، وعليه علامات الانفعال ، وقال: أريد أن استفهم منك عن سبب خروج حشمت من مديرية أسيوط ؟ [ص ١١٦٢] فقلت : لا أدري ! ولكنه عزل من مديرية الدقهلية لاشتباهه فى سيره ، وشك فى استقامته . قلت : ولماذا هذا السؤال ؟ أجاء رد التلغراف من لوندريه ؟ قال : لم يجئ بعد ! قلت : إذن ما هذا الاستفهام ؟ قال : إن سسل^(٨) واستورس^(٩) يسعيان لحشمت^(١٠) . والسلطان تكلم بشدة مع استورس أمس ، وقال : طالما أنا سلطان لا يمكن أن أرى حشمت فى الوزارة ! وإن السلطان سيقابل اليوم مكماهون ، ويوقفه على الأسباب

(٨) سسل المستشار المالى .

(٩) ستورز السكرتير الشرقى .

(١٠) يسعيان لحشمت أى : يسعيان لتعيين حشمت . وهو أحمد حشمت باشا ، الذى كان وكيل حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية ، وقد ولد بكفر المصيلحة فى ١٨٥٧ ، وحصل على شهادة الدكتوراه فى الحقوق من فرنسا ، وتقلب فى وظائف النيابة ، وعين مديرا لجرجا ، ورقى مديرا لأسيوط ، ثم انتقل مديرا للدقهلية ، وأحيل إلى المعاش فى ديسمبر ١٩٠٣ ، ثم عين ناظرا للمالية فى ١٢ نوفمبر ١٩٠٨ ، ثم ناظرا للمعارف فى فبراير ١٩١٠ عقب اغتيال بطرس غالى . انظر عن أحمد حشمت رأى سعد زغلول فى ص ٧٤٥ فى الجزء الثانى من المذكرات .

٢٠٧٧

التي حملته على رفض حشمت ، حتى لا يظهر بمظهر المستبد ، فأنا أريد جمع معلومات له .

قلت : ألا تذكر مسألة التزوير التي سويتها له أنت ؟ قال : حقيقة ! وقد كانت غابت عن ذاكرتي .

ثم قال : إني أرجح تسعة وتسعين وكسور في المائة على أن تكون أنت . ويمكنك تعتبر أن مكماهون من صفك من الآن . ولقد كتبت إلى كتشنر يوم الجمعة صباحا تلغرافا جميلا . وأصدقاء حشمت يسعون له في حالة ما إذا جاء خطاب كتشنر غير مصدق عليك .

قلت : وسيؤول الناس مجيئك الآن ! قال : خطر ذلك على بالي ، وكنت أردت أن أتكلم معك في التلفون ، ولكن رأيت الأحوط أن أحضر . قلت : وقد سألتني بعض الناس ، منهم لطفى ، فأنكرت الأمر عليهم . قال : هذا غير مهم . وانصرف .

ولكنني فهمت أن الأمر تم على رفض تعييني ! وعدت إلى اخوتي وعلى شيء من التأثير .

[ص ١١٦٣]

ولاحظوا ذلك ، ولاحظته أنا على نفسي ، ووقع في خاطري أن رشدى كان يريد بهذا الاستفهام أن المسئلة انتهت ضد صالحى — خصوصا ما كان فيه من احتقان الوجه والرغبة في الانصراف . وقال لى إنه سيقابل غدا مكماهون بعد أن يقابله السلطان ، ورغبة السلطان أن يقف منه على حقيقة مركزه بالنسبة لتعيين الوزراء ، والأشخاص الذين يكون لهم حق الكلام معه في هذا التعيين — يعنى الشكوى من مداخله استورس وسسل . والله أعلم !

ولكنى غير ممنون من خطتى ، ومحتقر نفسى ، لأنى آنست منها الميل الشديد إلى الدخول فى الحكومة ، على أنى مكثت فيها المدة الأخيرة متكدرا ، لا يلذ لى عيش فيها يوما من الأيام ، لكثرة ما كنت أجد من المصاعب حولى . والآن ، لابد أن تزيد هذه الصعاب بتسلط الحماية على كل الأعمال . وإن تداخل مثل استورس فى تعيين الوزراء ، مع ما فيه من عيوب ، ومع صغر مركزه ، يوضح بجلاء أن مركز الوزارة مخفوف بالأخطار ، ولابد أن أخسر فيه كثيرا إن وصلت إليه ، ولا يكون مثلى إلا كمثل شيخ هرم هام بفتاة ، وحاول أن يتمتع بها ، فخانتته قواه ، وما ناله غير^(١١) فضح سره ، فلا هو تنعم باللذة ، ولا سلم من الحسرة !

[ص ١١٦٤]

ولقد نمت بعد ظهر اليوم أهذا بالا ، وأسكن حالا . وأرجو الله سبحانه أن يديم خضوع شهوى لعقلى ، وأن لا يجعل للوساوس على من سلطان .

لا حق لى أن أهتم ، وحولى كل ما يذكرنى بأن هذه الحياة باطلة ، وباطل ما فيها ! وإنى بحمد الله حاصل على ما يمكنى من العيش ، ومتمتع بطرز من الحرية على قدر ما تسمح به ظروف الأحوال . ولابد أن أتذكر أنى كثيرا ما تمثلت بالمبادئ الفلسفية ، وتغنيت بها ، وهونت بها الهموم على كثير من المهمومين . ويظهر لى أنى كنت متأثر بها وقت سكون الشهوة ، وركود الرغبة ، أما وقد ثارت الشهوة لوجود بعض الدواعى فلا تأثير لهذه المبادئ !

(١١) قراءة اجتهادية .

٢٠٧٩

إذن إني لمخدوع ، ويجب أن أخرج نفسي من هذه الخدعة .
افرض أني تعينت في الوزارة ، وجلست والحاجب بالباب يزود
عني^(١٢) المهاجرين ، ويستأذن للزائرين . والوظفين يروحون ويغدون
لعرض الأعمال وتلقى الأوامر ، وعرض عليك ما رأيت وجه الحق فيه
واضحاً ، ولكنك لا تقدر أن تنفذه ، فماذا يكون من شأنك ؟

رأيت في المساء عدلى . وفهمت منه أن جواب كتشنر لم يرد بعد ،
وأن مكماهون تقابل مع السلطان أمس - أى يوم ١٦ - وأبلغه أنه كتب
إلى كتشنر تلغرافاً طويلاً ، [ص ١١٦٥] وأن لديه أسباباً كثيرة
تحمّله على الظن بأن الجواب يكون بالاجاب . وفي حالة ما إذا كان
بالسلب فإن عظمة السلطان يكون حراً في انتخاب من يشاء . وقد انعقد
الاتفاق على استبعاد حشمت .

وكان عظمة السلطان قال لستورس^(١٣) - أول امس - كلاماً شديداً
في ترشيح حشمت ، ومنه أنه يعرفه من أول عمره ، وفي جميع أطواره ،
ولا يمكن لمثل استورس أن يعرف مصرياً مثله . فاعتذر هذا وتنحى عن
المداخلة .

وقد تكلم عدلى طويلاً في اختيار من يصلح ، إذا كان جواب كتشنر
غير موافق ، وذكرنا أسماء كثيرين ، ولكنه استشعر - فيما يظهر - أنه
أطال القول في هذا الموضوع ، فقال : ومع ذلك إن لنا أملاً قوياً في نجاح
ترشيحك . ومن الأسماء التي ذكرتها اسم شفيق ، وكيل الأوقاف ،
واتفقت على أنه أحسن من غيره من أهل الإدارة والقضاء .

(١٢) في الأصل : « عنه » .

(١٣) في الأصل : لاستورس .

في يوم ١٨ مايو

لم يحدث أمس ما يستحق الإثبات ، فإنني لم أقابل أحدا من أولياء الأمور ، ولا من المقرين منهم . وكثيرا ما خطر ببالي أن هذا السكوت لا بد أن يكون ناتجا من كون جواب كتشنر جاء بالرفض ، لأنه لا يمكن أن لا يكون ورد ، لمضي زمن طويل على السؤال ، ولا يمكن أن يكون بالقبول ، لأن الذين يشتغلون من الأصدقاء بالمسئلة كانوا يسارعون بالأخبار .

ومن عجيب شأني أني قلبي كان يخفق كلما خطر خاطر الرفض بالبال . وقد بت أمس [ص ١١٦٦] تتجاذبنى عوامل الرجاء واليأس ، أظن كل قادم رسولا حاملا خبرا ، وكل دقة في التليفون آتية من صديق بخبر جديد ! وفي هذه الأحوال لا أنفك ألوم نفسي على هذه الحالة ، وعلى الاشتغال بها ، وبلوغها من نفسي مبلغا عظيما . ومحبتى للنجاح كانت تصور لي هذا السكون بصور مختلفة ، فتارة كنت أتصور أن أولياء الأمر يريدون مباغتتي بما يسر ، وأرجح^(١٤) لذلك بأنهم عندما اتفقوا لم يريدوا أن يعلنوني باتفاقهم ، حتى يتم الأمر ! وتارة أتصور أنهم يتداولون فيمن يخلف صدقي ! إلى غير ذلك من الفروض والاحتمالات !

ولقد أردت أن أنام بعد أن أخذت حماما ، فلم تمكنني هذه الخيالات من النوم ! وحاولت ذلك بعد الغدا ، فلم يكن نصيبي من الراحة أكثر ! ويلذ لي كثيرا أن أتلقى خبر الخيبة^(١٥) بالسكون والاطمئنان ، ولكني كلما تصورتها خفق قلبي ، وصعدت حرارة نفسي ، كأني أشعر من ذاق بأنه

(١٤) قراءة تقريبية ، وكلمة «ذلك» في الأصل : «لذلك» .

(١٥) قراءة ترجيحية .

سيفوتنى كبير أمر ، وتتخطانى فرصة قلما يسمح الدهر بمثلها !

وهو وهم فاسد ، فحالى يسر ، والوزارة فى الأوقاف محفوفة بكثير من المخاطر ، وتحتاج إلى معاناة شاقة لا أجد من نفسى قوة على احتمالها ، لأن صحتى أخذت تضعف ، وضعفت بالفعل كثيرا ، وليس^(١٦) لى فكرة خاصة فى وزارة الأوقاف أريد تنفيذها . فإن أسفت لعدم نوالها لا يكون أسفى أسف الساعى فى الخير ينجح فى سعيه ، ولكن أسف من لم يتمكن من قضاء شهوة ! [ص ١١٦٧] وبئس الأسف هذا الأسف ! أينبغى لمثل أن يرغب فى الوظيفة لما فيها من أبهة ومال ، لا لما توصل إليه من خير عام وفائدة كلية ؟ تعساً لى !

ما أجهلنى بنفسى ؟ أكنت أنتقد فى الناس أمورهم وهذا الوجدان عندى ؟ إنى إذن مخادع محتال !

إن كان الميل إلى هذه السفاسف من طبعى ، فلماذا فرطت فى مركزى ؟ ولماذا فعلت ما حملنى على مفارقتة ؟ أم أردت أن أجمع الاضداد محبة الأمور الباطلة ، ومحبة المجد الخالد ؟ إنى إذن لمجنون ! لأن العاقل لا يحاول اتیان المحال .

وإنى - والله - الآن لأخوف ما أخاف على نفسى من نفسى ! إنى لا أستطيع أن أجزم بأن لى صفة فاضلة من الصفات ، لأنى أخشى أن تكذبنى شواهد الامتحان ! ويظهر - قياساً على هذا - أن الإنسان أجهل الناس بمقدار نفسه ، وأعماهم عن معرفة سره !^(١٧)

(١٦) فى الأصل : « ليس » .

(١٧) لعل هذا الكلام أقسى محاسبة للنفس من جانب سعد زغلول ، مع أن تطلع النفس البشرية للوظائف العامة هو تطلع مشروع ، ولا يبعث على احتقار سعد زغلول لنفسه ، خصوصاً وقد كانت الوظيفة بالنسبة له وسيلة لخدمة المصالح الوطنية

٢٠٨٢

يوم ١٩ مايو

لم يحدث شيء يستحق الاثبات سوى أن الأخبار تواترت بالأمس عن استعفاء صدقي باشا ، واتفقت على أنه قدمه مساء ، وحمله رشدي باشا إلى عظمة السلطان ، ونشرته جرائد هذا الصباح . وفيه : « شعرت بأنني لست حائزا للرعاية التي تعودتها من عظمة السلطان ، وقد حاولت نفى المزاعم الفاسدة التي وجهت إلي ، فلم أتمكن من ذلك . لهذا رأيت - مع الأسف - أن أقدم لدولتكم استقالتي . الخ . ١٧ مايو سنة ١٩١٥ .

[ص ١١٦٨]

وقد أجابه رشدي باشا بأن استعفائه قبله السلطان ، وأنه أسف - أي رشدي - لحرمانه من حسن المعاونة التي لاقاها من جانبه في خدمته التي يذكرها له مع عظيم الشكران . (١٧ مايو سنة ١٩١٥ .)
وعبارة الاستعفاء غريبة ، لأنها تشير إلى أن خروجه كان بسبب مزاعم فاسدة وجهت إليه ، ولم يمكن من نفيها . والمقرر في أذهان الكافة أن هذه المزاعم أقل من الحقيقة ، والإشارة إليها في الاستعفاء تخليد للتهمة ، وأغرب من ذلك نشر هذا الاستعفاء ! وهو لا يعد إلا تبجحا ، واستخفافا بالرأي العام ! وعندى إنه كان الأولى أن يستعفى استعفاء بسيطا . والسلام .

= العامة ، لم تكن وسيلة لخدمة مصلحته الشخصية . ولكن ذلك يوضح علو همته فوق الوظيفة ، وتطلعه إلى ما هو أسمى من الوظيفة ، وهو ماناله بقيادة ثورة ١٩١٩ ، وهو : زعامة الأمة .
(١٧ م) في الأصل : وأجابه .

٢٠٨٣

أخبرني عدلى أمس أن صدقي باشا هو الذي أراد ذلك . كما أخبرني أن جواب كتشنر لم يرد لغاية الساعة ٧ مساء ، وأنهم ينتظرونه بفارغ الصبر ، وأنه لا حقيقة لترشيح سعيد ذو الفقار ، وأن الآراء لم تتفق على أحد في حالة ما إذا كان الجواب سلبي . قال : وقد قابل سسل عظمة السلطان ، فتكلم في حشمت ، وأقنعه السلطان برأيه . وأن سسل قال : إنه لا يسنده ، وأن سعد إذا تعين يشتغل معه بغاية الصراحة . وسكت السلطان عن لومه عند هذه الكلمات .

[ص ١١٦٩]

وعدلى يتصور أن تأخر الجواب — مع مضي خمسة أيام على التوالى — لا يمكن تفسيره إلا بغياب كتشنر عن لوندرة . وهو سبب وجيه^(١٨) ويقول رشدى إن تأخر الجواب إلى هذا الحد لم يكن غير اعتيادى ، فكثيرا ما يقع مثله إذا ابتدأ التراسل في آخر الاسبوع . وعلى كل حال علينا أن نقول : إن غاب رسولك فظن خيرا !

وكنت أمس أهدأ بالاً ، ولم أجد من نفسى أسفا شديدا عندما سمعت وفهمت أن الأمر تم لغيرى . وبت أمس أهدأ حالا . ولكن لعل ذلك لأن الأمل لم ينقطع تماما .

قال لى عدلى : إن السلطان لم يستحسن ترشيح شفيق ، لأنه وجده جبانا يزرف الدمع لأقل شيء كالأطفال !

أخبرني صدقي^(١٩) اليوم أنه سمع من نجيب غالى أنهم يستشيرون لوندرة في شأنى ، وأن جوابها لما يرد بعد . وقد خطر ببالي أنه ربما كان سبب التأخير أن التلغراف المرسل من هنا مفرغ في قالب لا يستدعى

(١٨) أضفنا كلمة « سبب » لجلاء العبارة .

(١٩) يقصد محمد صدقي بك ، شقيق محمود صدقي باشا ، عدلى سعد زغلول . وهو الذى يعنيه سعد زغلول كلما كتب اسم « صدقي » مجردا .

الجواب ، أو لم يفهمه كتشنر كذلك ! والا فما هذا التأخير ؟

حاولت أن أقيل^(٢٠) اليوم ، فلم أنم . وكلما طال الانتظار ، كلما قل الأسف على الفوات^(٢١) [ص ١١٧٠] عجباً لي ! يسرف تصور الوصول إلى هذا المركز لما يجلبه الوصول إليه من لفت الناس لي ، وصوغهم التهانى على ارتقائه ، والتفاف أكثرهم حولى ، وكبت الخصوم .

على أنى جربت الناس فى الرخاء والشدة ، والعسر واليسر ، وجربتهم مع نفسى ومع غيرى ، فوجدت قليلاً من الاخلاص فى المهنيين ، ورأيت أقل الناس فضلاً أكثرهم تهئنة . وقد وصيت نفسى أن لا أفرح بإقبالهم ، ولا أحزن لإدبارهم . فما هذا السباق المهيمن ؟ أياكون الإنسان حكيماً عندما يكون مقتضى العبث غائباً ، ويجب الإنسان الحكمة ويتمثل بها عندما لا ينتفع بها !

وبعبارة أخرى أقول : إن ما كان يخيل لى من زهدى فى المناصب ، ليس بزهد ولا ترفع ، ولكنه شعور النفس بعجزها عن النىء ! هذا العجز بغض لديها [ص ١١٧١] فتلطف هوله عليها بتصور الزهد فيه ! كالشبعان يتصور أنه قنوع ! وكمن قضى شهوة من أمر ، يتخيل أنه عفيف بعد انقضائها ! الخ^(٢٢) .

(٢٠) « آقيل » كلمة عربية وليست عامية كما قد يظن البعض . وقال يقييل قليلاً وقائلة وقيلولة ومقالاً ومقيلاً : نام فى القائلة — أى فى منتصف النهار (المنجد فى اللغة والأعلام) .

(٢١) أى : فوات المنصب . وهى قراءة ترجيعية .

(٢٢) قبل أن يكتب سعد زغلول هذه الفقرة ، كتب فقرة فى معناها ، ولكنه شطبها لعدم رضائه عن أسلوبها ، أو لأنها لاتعبر تماماً عما يريد قوله ، وقد أمكن قراءة =

٢٠٨٥

يوم ١٨ مايو سنة ٩١٥

خرجت للنزهة في نحو الساعة الخامسة ، وكنت أرجح خيبة المسئلة ، ووطدت نفسي على احتمال الخيبة ، بل على مقابلتها بالارتياح . وعدت إلى الكلوب مارا بالمنزل ، حيث أجبت بأن أحدا لم يسأل عني . وريثما وصلت ، وجدت طلبا من رشدى بالتليفون . فقال : ليس عندي خبر طيب ، ولكني أريد أن أراك !

ثم صادفت عدلى داخلا ، فوجدته مكتئبا ، وقال : إن الجواب جاء بالمعارضة الصريحة ، ومكهاون متكرر ، والسلطان منفعل ، ورشدى متأثر ، وهو لا يفهم كيف أن ذلك الرجل سمح لنفسه بالمعارضة خلافا . وإن السلطان يريد أن يرانى ، ويوصينى بأن لا أغير شيئا من سيرى ولا خطى . قلت : كذلك ! وقال : إنه سيرسل إليك ويكلمك في هذا الشأن . ثم قابلت رشدى ، فكلمنى بمثل ذلك اللسان .

وأعلنت الاثنين أنى مسرورا من الثقة التى تجلت لى بمناسبة هذه الفرصة ، وأنى لسعيد بنواها . أما كتشنر فستريه الأيام خطأه . وكتبت هذا وأنا مستريح البال ، والسلام .

[ص ١١٧٢]

وقد علمت من رشدى أن الاتفاق وقع على إبراهيم فتحى باشا .

= هذه الفرة كالآتى : «عجبت لأمرى ! أنزعج من تصور الرفض ، ويفيض قلبى سرورا لتصور القبول ! وأنا الذى كنت - قبل هذا - احتقر مثل هذا المقام ! «ومايسرنى إلا شعورى بأنى موضع تهان العموم ، وسبب كبت الخصوم ! على أنى جريت التهانى ، فرأيتها كلها لاتدل على شيء أزيد من نفاق المهنيين . ولقد رأيت قوما أحط منى منزلة ، وأقل نفعا ، وقد انهالت عليهم التهانى من كل ناحية عند ... » .

١٣٧

وقال لى : ما رأيك فى تعيين أحمد على كمدير من الدرجة الثالثة ؟ قلت : لا أراه يليق لذلك . وصممت على رأى ، ولكن يظهر أنه هو الذى سيتعين !

وقد حضر صدقى ، وتعشنا معا . وكان متأثرا ، وحاول أن يسلىنى ، فحمدت ذلك الشعور منه ، وشعرت من نفسى ببعض الأسف ، ولكنى لمتها على ذلك . ويسرنى أنه لم يوجد شيء يقال ضدى ، ولكن سيادة كتشنر وسعة نفوذه مما عطل تقدمى . وإنى أفخر بمعادة رجل ككتشنر ، إذا كان مكماهون ، والسلطان ، ورئيس الوزارة ، وكثير من أعضائها ، وعقلاء الأمة وفضلائها — من أصدقائى (٢٣) . ولا أسامح نفسى إذا استمرت على الأسف لفوات هذه الفرصة ، لأنه لا يكون من وراء الأسف إلا مساعدة العدو على بلوغ الغاية منى ، إذ لا يريد إلا غيظى ! فإن أنا استسلمت لهذا الإحساس ، تم له المرام . ومادمت أجد ما يكفينى ، ولا أضطر لسؤال لثيم ، ولا مضايقة كريم ، فإنى ممنون . ولئن منعت ما أستحق ، خير لى من أن أنال (٢٤) ما لا أستحق . والله ولى الصابرين .

(٢٣) كان رأى مكماهون الذى بعث به إلى كتشنر يوم ١٤ مايو ١٩١٥ ، أنه على الرغم من أن هناك بعض المخاطر فى تعيين سعد فى الوزارة ، « نظرا لشعبيته ومركزه لدى الجماهير » ، إلا أن وجوده فى الوزارة يحمد من مضايقاته التى يمكن أن يسببها وجوده خارج الوزارة ! على أن كلا من السير ادوارد سيسل ، المستشار المالى ، واسماعيل سرى باشا ، وزير الأشغال والحرية والبحرية ، ويوسف وهبة باشا ، وزير المالية ، كتبوا يتشككون فى قدرة حسين رشدى باشا على السيطرة على سعد داخل الوزارة ، بناء على خبرتهم ، السابقة معه . (محسن محمد : سعد زغلول ، مصر الثورة ص ٢٨٨) مكتبة غريب ١٩٨٨ .

(٢٤) أضفنا : « أن » لسلاسة العبارة

ولقد دعاني السلطان إلى مقابلته اليوم ، في الساعة العاشرة ، وسوف أقول له : إني شاكر عواطفه الملوكية نحوي ، وإن ثقته الشخصية أحب إلي من الثقة الرسمية [ص ١١٧٣] ، وإن كنتشكر إذا أساء تقديري ، فقد أحسنه عظمته . وإني أرجو أن أكون على الدوام متمتعا بنعمة هذا الرضا ، لأنه أئمن عندي من كل ثمين . وإني لا أغير من خطي شيئا ، وإني أعتبر نفسي محسوبا عليه من قبل ومن بعد .

قابلت عظمته في الميعاد المعين ، وأبديت له كل ما تقدم . وقلت : إني كنت افكرت أن ألتبس هذه الجلسة للقيام بواجب الشكر ، ولكن عظمتكم سباق دائما للخير . ولقد كان لطيفا في المقابلة .

وأخبرني بأنه تكدر جدا من خيبة المسئلة ، وكان انتخبني ، لا لأنه يؤدي لي منفعة شخصية ، ولكن لكي أعاونه في مهام الأوقاف الشاقة . ولكن كنتشكر حال بينه وبين ما يشتهي من صميم فؤاده . وإنه يريد أن يتخذ هذه المسئلة وسيلة لأن يفتح مع الإنكليز باب القواعد - التي يجري عليها في المستقبل - في تعيين الوزراء وتدبير الشئون . وإنه لا تمضي مدة قليلة حتى يكون فتحى^(٢٥) في الحرية وأنا مكانه^(٢٦) . وإنه أجاب بعض من تكلم في ترشيحي مستفهما ، بأنه يعدن لمركز أسمى .

فشكرت له هذه العواطف ، واستأذنته في الشكر لمكهاون فأذن ، وقال : إنك ستقول له إني أشكر حسن انعطافك وأرجو أن أكون في ذاكرتك .

(٢٥) إبراهيم فتحى باشا ، الذى عين في وزارة الأوقاف مكان صدقي باشا .

(٢٦) يقصد : نقل إبراهيم فتحى باشا من الأوقاف إلى الحرية ، وتعيين سعد زغلول مكانه في الأوقاف . وطبيعى أن السلطان حسين كان يأمل في تحقيق ذلك بعد الاتفاق مع الإنجليز على قواعد تعيين الوزراء بحيث يسترد حقه في تعيين من يشاء .

فقلت : إذا عافاني مولاي من الجملة [ص ١١٧٤] الأخيرة
كان ذلك أحب إلى - فقال : كذلك . وبعد أن تكررت منى ومنه هذه
الجمال ، دخل سعيد ، وانصرفت .

وقد استأذنت بالتلفون مع مكماهون ، فقال لى من تكلم بالعربية :
إن استورز^(٢٧) هو الذى يحدد الميعاد ! قلت له : اطلب منه ذلك ! فحدد
يوم السبت الساعة ١٢ ! ولما سمعت كلمة يوم السبت ، رددتها مستغربا
من طول الأمد ، وهمت بأن أعتذر ، أو أخبر ستورز بأن المقابلة ليس
الغرض منها بسط رجاء ولكن عرض ثناء ، ولكنى رأيت أن الأحسن
السكوت ، والتنبيه - فى أثناء الكلام مع مكماهون - على شىء من هذا
القبيل . وإذا كنت تأذيت من إطالة المسافة على المقابلة فلم يطل تأذى ،
وحملته على معاكسة استورز الشخصية ، أو على اشتغال الرجل ،
خصوصا وإنى أعلم من الوزراء أنهم لا يترددون عليه إلا قليلا .

وأنى أشعر من نفسى الآن بشىء من الراحة ، المهزوم صاحبها !
والانكسار المتأتى عن الشعور بضعفى وقوة خصمى . ولكن قوة الله
تضعف كل قوة ، وتقوى كل ضعف . وليست ألد حياة هى حياة
الوزراء ، بل ربما كانت أشقى حياة . وقد عودنى الله تعالى أن يبدلنى عن
المكروه مرغوبا ، وأن يرينى أن ما اختاره لى أفضل مما اخترت لنفسى ،
[ص ١١٧٥] وإنى واثق به تعالى أن يجرى معى على هذه السنة ،
وأن يرفعنى من حيث لا أحتسب . سبحانه ما أعظم شأنه ، وما أسطع
برهانه ، عليه اتكالى . وأنا فى حالتى الحاضرة محسود . والله يفعل
ما يشاء ويريد .

(٢٧) قد تقرأ « استورث » ، ولكنها تنطق « ستورز » Storts . ويكتبها سعد
زغلول أحيانا : « استورس » .

يوم ٢١ مايو سنة ٩١٥

رأيت الناس غير مرتاحين إلى تعيين فتحى فى الأوقاف ، ويقولون إن ابتذاله فى الأولاد ، أظهر من تهتك صدقى فى النساء^(٢٨) ! وإنهم أرادوا أن يكحلوا عين المريض فأعموها ! وعندى أن هذا التعيين أثر من الروح السائدة فى الحكومة ، وهى روح إضعاف الفضيلة ، وتقوية الرذيلة .

لا أدرى ماذا أفعل الآن ؟ هل أسعى فى استرضاء كتشنر ، أو أترك الأمر لله يتصرف فيه كيف يشاء ، وانصرف إلى وجهة أخرى ؟ وإذا كان الأول فبأية وسيلة أبذل هذا السعى ؟

وعندى أن الأفضل الثانى ، لأن فيه حفظا للكرامة ، وصيانة لماء الوجه ، وترفعاً عن النقيصة ، ووفاء بحق نعمة الله علىّ ، وتنفيذا للعهد الذى كتبتة على نفسى للأمة عند الانتخاب .

نعم إن الأحوال تبدلت ، ولكننا لم نقيد هذا العهد ، بل [ص ١١٧٦] أطلقناه ، والتأويل فيه غير مقبول^(٢٩) .

(٢٨) هذا اتهام خطير من سعد زغلول لوزيرين ، ولكنه يشير إلى تسرب الفساد إلى هذه الطبقة الاجتماعية فى ظل الاحتلال .

(٢٩) هذه العبارة تفسر التحول الذى طرأ على سعد زغلول ، من زهد فى المنصب ، إلى إقبال عليه ! لقد كان السبب الأساسى فى زهده فى المنصب الوزارى ، بعد خروجه من الوزارة ، هو أن البلاد كانت مقبلة على عهد من الحياة النيابية ، التى يمكن أن يكون له دور فيها ، رغم أنها حياة نيابية مقيدة . فلما وقعت البلاد تحت الحماية البريطانية ، وعطلت سلطات الحماية الجمعية التشريعية ، لم يعد لسعد زغلول دور يلعبه فى خدمة البلاد ، ودخل فى مرحلة التعطل والبطالة ، ومن هنا عاد إليه اهتمامه بالمنصب الوزارى كوسيلة للبقاء على السطح ، وحتى لا يغرق فى بحر النسيان . ولكن العهد الذى قطعه على نفسه للأمة بأن يعمل فى خدمتها ، وألا يتركها إلى خدمة الحكومة كان يلح عليه ليبقى بعيداً عن المنصب . وقد خدمه رفض

٢٠٩٠

ولعل الله سلط كتشنر على هذه المسئلة حتى لا يوقعنى فى السنة
الناس ، ويعصمنى من مقالتهن . ولقد قال لى صديق بالأمس : إن
بعض الناس لما سمعوا بترشيحى قالوا : وأين العهد الذى عاهد الأمة
عليه ؟

ولا يحل لى ، وأنا الذى رفعتنى هذه الأمة فوق هامتها ، وأولتنى
رعايتها ، رغم غضب الخديوى ، ومعاكسة الوزارة السعيدية ، وتحامل
كتشنر - أن أتركها إلى خدمة الحكومة مهما كان فى الأخيرة من النفع
للأولى ، إلا إذا أذنت لى فى ذلك . ولقد كان هذا شعورى ، وعبرت عنه
يوم أن انتخبت وكيلا ، حيث قلت ما معناه : إني أعتبر الثقة التى حزتها
فوق كل الثقات ، والفوز بها أرفع السعادات . وقلت - فى ردى على
بعض السفهاء من أعضاء الجمعية : « وإنما أنا رجل وضعت تحت
تصرف أمتى^(٣١) لسانى وبيانى ، فلا يصح لنا بعد هذا أن نلجأ إلى طريقة
أخرى » .

يوم ٢٢ مايو

تعشيت أمس فى الكلوب مع عدلى ، وجرى ذكر استعفاء اسماعيل
صدقى من^(٣٢) وظيفته ، ورد رشدى عليه ، وانتقاد الناس له بقولهم :
إن اسماعيل هدد رشدى ، وأنذر بهتك سر عبد الخالق^(٣٣) .

اللورد كتشنر تعيينه وزيرا للأوقاف مكان اسماعيل صدقى باشا خدمة كبيرة . إذ
أجبره على البقاء بعيدا عن المنصب الوزارى ، حتى أتاحت له الفرصة فى نهاية
الحرب لتنفيذ تعهده بالعمل فى خدمة الأمة ، وكانت قيادته لثورة ١٩١٩ .
(٣٠) فى الأصل : (أمته) .

(٣١) أضيفت «بعد» ليستقيم المعنى .

(٣٢) أضيفت «من» ليستقيم المعنى .

(٣٣) يقصد : عبد الخالق ثروت باشا ، وزير الحاقانية .

٢٠٩١

فامتعض [ص ١١٧٧] عدلى من ذلك امتعاضا شديدا ،
ونفض مغضبا ، وقال (٣٤) : كيف يسوغ الناس لأنفسهم أن يوجهوا مثل
هذه الانتقادات ؟ أحسبو النظر أطفالا ؟ إني لا أستطيع صبرا على هذه
المناقشة ، وأفضل النوم على سماعها ! وخرج .
واستمر الحديث مع مدحت وعبد الرحيم ، وخطأت عدلى فى غضبه
وحدثه .

وكان من ضمن ما روى مدحت ، وهو الذى كان أشار إلى إنذار
إسماعيل بهتك السترة عن عبد الخالق ، أن بين هذا وامرأة فؤاد ، بنت على
صديق ، علاقة ود ، وأنه رشح زوجها لأن يكون مستشار قضايا الأوقاف
الخاصة ، لما كلفه السلطان أن يبحث عن كفء لهذه الوظيفة ، وكاد الأمر
يتم لفؤاد ، لولا أن أحد الأصدقاء ألقى إلى السلطان خبر هذه العلاقة ،
فغضب غضبا شديدا على عبد الخالق ، وعين ابن عفيفى مؤقتا رغم
معارضة عفيفى ! ولما حكى مدحت هذه العبارة ، امتنع عدلى ولم يفه
ببنت شفه .

أخبرنى عدلى أن رشدى فكر فى أخذ عاطف مديرا ، ولكنه أرجأ
أمره إلى وقت آخر . وأخبرنى رشدى بأنه يريد أن يعينه محل كمال . وقال
لى إنهم كانوا يريدون أن يعينون ابن محمد على ، الذى كان فيما سبق
وكيلا للمنوفية ، بحجة أنه من عهد أن أخذ ستائة جنيه لم يد يده !

[ص ١١٧٨]

وقال عدلى : إنهم يدافعون عن كمال بأنه تاب عن الارتشاء . وأشار
إلى أن الأنكليز يعتبرون الوطنيين كلهم فاسدين ، فلا يهمهم كثرة الفساد
فيهم أو قلته ، ولا يحفلون بما يظهر من نقص فيهم .

(٣٤) فى الأصل : « قال » .

١٤٣

٢٠٩٢

وقد ذكرني ذلك بما وقع لي مع أحد مستشاري محكمة استئناف الجزائر ، في بانسيون دورون^(٣٥) سنة ١٨٩٥ بجنيف ، حيث طعن على القضاة الشرعيين والمفتين بكونهم مرتشين ! فقلت : ولماذا لا تستبدلونهم بغيرهم^(٣٦) فقال : كلهم على هذا الخلق ، فلا يفيد التبديل ولا التغيير ! ورأيت أن هذه فكرة استعمارية ، لا إنكليزية فقط !

سأقابل اليوم الساعة ١٢ مكماهون ، لأجل أن أشكره على ما أظهره نحو ترشيح شخصي من الانعطاف . وسأقول له إن سموه وسعادة رشدي باشا قد أخبراني أن . . .^(٣٧) .

يوم ٢٢ مايو سنة ٩١٥

توجهت إلى دار الحماية ، وانتظرت خمسة دقائق ، فقادني ستورس^(٣٨) في الساعة ١٢,٣٥ إلى غرفة نائب الملك . فاستقبلني [ص ١١٧٩] بهشاشة^(٣٩) وبشاشة فقلت له : إني جئت لأن أقدم احتراماتي وتشكراتي لسعادتكم على الانعطاف الذي أبدىتموه نحوي في مسألة الأوقاف . وفي الواقع أن عظمة السلطان وسعادة رشدي ، عرفاني أخيراً بأن سعادتكم سنداتكم ترشيحي ، فلذلك جئت لأعرب عما خالج عواطفني من الشكر .

فقال : إني متشكر جداً لكم ، وغير مسرور من هذه المسئلة . ولكن الأمور لا تتم دائماً حسب المراد .

(٣٥) هكذا تقرأ .

(٣٦) هكذا في الأصل والأصح : «لا تستبدلون بهم غيرهم» .

(٣٧) العبارة من أول «إن سموه - حتى أن» مكتوبة بالفرنسية ، ولم يكملها

سعد زغلول .

(٣٨) في الأصل : غورست ، وهي خطأ .

(٣٩) في الأصل : «يهشا» .

٢٠٩٣

قلت : إني من الذين يفهمون العالم كما هو ، لا كما ينبغي أن يكون . وثق بأن أكون لك على الدوام شاكرا ، ولمودتك ذاكرا .
ثم تكلم عن الحرب ، فقال : إن الحالة مرضية في فرنسا ، أما في روسيا فالحال ليس على ما يرام . وضحك ضحكة المستخف بأخبار انتصاراتها^(٤٠) المتوالية .

وقلت : وفي الدردنيل يظهر أيضا أن الأحوال راضية ، وإن كانت سائرة ببطء .

فقال : نعم ، وإن فتح الدردنيل ، يضعف روسيا . وإن إيطاليا على وشك الدخول في الحرب اليوم أو غدا ، وإن كان لا أهمية لها ، ولكن لأن تكون معنا خير من أن تكون علينا . وكان يتكلم بذلك .
وعلامات الاستهتار بها بادية عليه .

[ص ١١٨٠]

وتكلم عن جرحى الحرب فقال : إنهم هنا بلغوا العشرين ألفا ! وسألته عن العميان منهم ، فقال : إن ذلك من أثر الإصابات في العيون ، لا من شيء آخر ، لأن الغاز غير مستعمل إلا في غرب فرنسا . وأفضت قليلا في استهجان استعماله ، وفي تواعد كتشنر باستعماله أيضا ، فقال : لا أظن ذلك ، لأنه مخالف لعوائدها . فقلت : إن هذا من الإنسانية بمكان عظيم ، ولكنه يضعف جانبكم ! قال : نحتمل هذا الضعف ، ولا قسوة استعماله ! قلت : ما أعلى هذا الشعور وأرقه !

(٤٠) في الأصل : « بأخبار نصراتها » .

وتكلمنا عن النيل ، فقال : إنه لحسن الحظ عال ، ويبقى كذلك إلى أوغسطس كما أخبر وزير الأشغال . ثم أشار بلطف إلى ما يقوله الناس من أن الحماية جلبت الخراب وأنزلت أسعار القطن . قال : ولكن النيل معنا .

ثم تكلم عن الاسكندرية وهوائها ، وأنه سيذهب إليها في ٢٦ الجاري . وسألني عن مصيفي ، فقلت : هنا ! ولكنني أذهب أحيانا إلى اسكندرية ، فأتشرف بمقابلتكم ؟ فقال : أكون مسرورا كثيرا ، وأسرُّ لأن تتعشوا معي . وامتدح المنزل الذي استأجره فيها .

[ص ١١٨١]

وشكى من الفحم وارتفاع أسعاره ، وأنه يصرف شهريا ٥٠ جنيه على ما يستهلكه من الفحم في منزله ! فقلت : إن هذا عال جدا يعلو ثمن الكهرباء عند السلطان، وكل منكم يشكو من أمر ! فضحك ، وضحكت .

وتكلم عن سراي رأس التين ، وحسن موقعها ، وقدم تنظيمها . وسراي عابدين ، وسوء مكانها وضيق غرفها. وعن النيل والتأسف لإهمال إقامة (. . .)^(٤١) على جانبيه وغير ذلك . وكان لطيفا جدا .

وفي الآخر قال ما معناه : تلذذ لي محادثتكم ، وتمنيت أجلس معكم كثيرا لولا كثرة الأشغال . ونهض ونهضت ، وسلمت عليه معيدا . شكرى ، ومكررا تأكيدي بأنى أكون معه على وفاق في خدمة البلاد . وانصرفت ، مارا بغرفة استورس ، فتواعدنا أن نتلاقى عندى غدا مساء في الساعة العاشرة .

(٤١) هكذا في الأصل : وقد نسي سعد زغلول ذكر المضاف إليه ، وماذا كان

يقصد مكهاون أن يقام على جانبي النيل !

يوم ٢٣ مايو سنة ٩١٥

الآن يسافر عظمة السلطان إلى اسكندرية . وأكتب هذا قبل التوجه إلى المحطة لوداعه في الساعة ثمانية .

[ص ١١٨٢]

قابلت أمس في نحو الساعة السادسة موسيو برونيت ، وقصصت عليه قصة ترشيحي لوزارة الأوقاف ، وما كان من مكماهون من اللطف والرقه ، وما كان من كتشنر من الحنق والانتقام . وقصصت عليه أيضا ما وقع لي مع كتشنر في خصوص مسألة الوكيلين فقال لي : إنه لا يعلم من أمر ترشيحي شيئا .

ولكن فهمت منه أنه تكلم في شأنى مع مكماهون ، بمناسبة مسألة حسين محرم . فشكرته ، وذكرت له أنى تكلمت مع مكماهون في شأنه ، وإن مكماهون امتدحه ، وأنى ذكرت له أنه صعب ! .. إلخ .

ثم تناقشنا في مسألة إختصاص الجمعية التشريعية . وهو يدعى أن الوقف ليس من الدين ! فقلت له : حقيقة ، ولكن تقرر في الاعتقاد أنه منه ، ولا يمكن نفيه . وليس له هو أن يخوض في هذه المسئلة ، ويصر على كون الأوفق أن لا تعطى الجمعية التشريعية صوتا قطعيا في المسائل الإدارية .

وأخيرا قلت^(٤٢) : يمكننى أن أسلم لك ذلك ، ولكن استعمال البالغ التى تنتج من الإدارة ، يكون للجمعية رأى قطعى فيه . قال : إنه لا يعارض - شخصا - فى ذلك .

(٤٢) فى الأصل : قلت أخيرا ، وقد غيرناها لسلاسة العبارة .

ورأيت أنه لا يعتقد في حشمت التعفف والنزاهة ، ولا في كمال !
وقال : إن السؤال من المديرين قد جرأهم^(٤٣) . . إلى غير ذلك .
وانصرف .

[ص ١١٨٣]

أخذ القلق يخف نوعا ، والفكر في أمرى يقل شيئا فشيئا ، وأخذتُ
أتسلى بمراجعة الماضي ، وما تمتعت به من إقبال الشعب على ، وهتافه
لى ، وفرحى بهذا الإقبال .

وفي الحق أنه لا يصح لى أن أتطلع إلى مركز أعلى من هذا المركز ،
ولكن عطلة الجمعية عن العمل ربما كان له دخل في إهتمامى بتغيير هذا
المركز^(٤٤) . وإذا كنت السنة الماضية مغتبطا بحالى من الأمة ، مع قلة
ذات يدى ، فإنى أحق أن أزيد اغتباطا بها فى هذه السنة ، التى تغير فيها
أمرى . فالحمد لله على ما أعطى .

ودعت عظمة السلطان على المحطة ، وكان هناك خلق كثير من
العلماء ، والبرنس فؤاد ، والذوات المتقاعدين ، والموظفين الكبار من
الانكليز ، وغيرهم . وكان الجمع مهيبا ، وقد أقبل عظمته ، فسلم على
المودعين : البعض باليد ، والبعض بالإيماء .

وحضر رشدى من خلفه ، فهويت إلى أذنه^(٤٥) ، وقلت إليه :

(٤٣) هكذا تقرأ . والعبارة غير مفهومة ، وقد يقصد أن الاتصال بالمديرين
جرأهم .

(٤٤) هذا يؤكد تحليلنا لإقبال سعد زغلول على الوزارة بعد إداره عنها (أنظر
حاشية ٢٩ من هذه الكراسة) .

(٤٥) هكذا فى الأصل ، وهو تعبير غريب ، وربما كان السبب فيه أن حسين
رشدى باشا كان قصير القامة ، بينما كان سعد زغلول طويل القامة .

٢٠٩٧

ذهبت إليك مرتين البارحة ! فردد كلمة « مرتين » ! وذهب إلى جراهم^(٤٦) — الذى كان خلفى !

ويحتمل أن يكون أراد أن يقول له شيئاً ، ولأجل ذلك لم يقل لى ما يغلب^(٥٠) أن يقال ، أو أن^(٤٨) يكون قد بلغه عدلى شيئاً !

ويؤيد الاحتمال الثانى ، أنى فى المرة الأولى قبل أن أذهب إليه — سألت عنه ، فقيل : إنه موجود . فلما وصلت الباب ، قيل : [ص ١١٨٤] إنه خرج وقال إنى أخبره عند عودى ! فلم أفهم لذلك سرا ، وسينكشف الأمر بعد ذلك .

ولقد لاحظت على أغلب الوجوه السرور ، وما شعرت بشئ من التكلف .

وقال لى عبد الرحيم الدمرداش عند مرورى به منصرفا : لماذا لم تقف معنا ؟ قلت : لأنكم لستم من مقامى ! قال : هكذا ؟ قلت : كذلك ! وكان بجانبه طلبه سعودى وزايد جلال . قلت : هكذا ، وتركته وسرت ، وذهبت إلى الهلباوى . وإنى أشعر من هذا بنوع من الحياء رغم ما يبيديه من الميل ، وقلبى يحدثنى أن ذلك تكلف ! والله أعلم .

طلب حسين باشا محرم أن يقابلنى فى هذا اليوم الساعة ١١ ، فأذنت . وحضر مع أحمد بك لطفى عمر . وفهمت من هذا الأخير أن

(٤٦) فى الأصل : «قراهم» . وكثيرا ما يكتب سعد الجيم «قافا» . وجراهم هو المستشار الإنجليزى لوزارة الداخلية حتى ١٦ أكتوبر ١٩١٦ حيث خلفه جيمس هينز حتى ديسمبر ١٩١٩ .

(٤٧) فى الأصل : «يغالب» ، والقراءة ترجيحية .

(٤٨) فى الأصل : «وأن» .

دائرة سيف رفعت دعوى على الأول وشركتي (٤٩) وغيرها أمام المحكمة المختلطة، بطلان البذل الذي جرى في دائرتي كرم باسكندرية والأطيان الكائنة بالسوالم^(٥٠) ودقهلية ، والنيابة تحقق في مسألة شراء الدائرتين المذكورتين. ويراد أخذ رأي في الدفاع الذي يلزم إيدأؤه فيها . وسلماني نتيجة أقوال الدائرة أمام تلك المحكمة ، واقتصرت فقراتها على صورة^(٥٠) .

وخطر ببالي أن الأحسن لمحرم أن يبتعد [ص ١١٨٥] من أمام هذه المحكمة ، وذلك خير وأبعد عن الارتباك . ومع ذلك فهذا الرأي ليس بنهائي .

إني تركت تدبير أمري إلى الله تعالى ، فلا ينبغي أن أتجشم مشقة التفكير فيه . وربما كان ما اتخذته من الوسائل هو بنفسه من الموانع ! وقد تحدث ظروف تجعل النافع مضرا ، . والمضر نافعا ! وما أحسن من الرضا بما قسم الله ، والإتكال عليه في الباقي بعد تنفيذ أوامره واجتناب نواهيه .

لا تترك نفسك لهواها ، فتفسد عليك عيشتك ، وتقع حزيناً محسوراً ! ولا يفيدك الحزن على ما فاتك إلا تكدير ما أنت فيه من الصفاء ! فكن عاقلاً ، ولا تنظر إلى الماضي إلا نظر الإعتبار ، ولا إلى المراقى^(٥١) إلا نظر الاحتقار . واغنم فرصة الحال .

قد كنت خائفاً فأمنت ، ومعسراً فتيست ، وبعيداً فتقربت ، فمالك لا تقنع بما أنت فيه من أمن ويسر وإقتراب ؟ إنك طماع قليل الحساب .

(٤٩) عبارة غير مقروءة . وكان حسين محرم يدير دائرة سيف الدين .

(٥٠) قراءة ترجيحية .

(٥٠م) قراءة اجتهادية .

(٥١) هكذا تقرأ ، وقد تقرأ : « الآتي » وهو أضعف .

[ص ١١٨٦]

صانع الناس لتأمن شرهم ، لا لأن تكسب خيرهم ، وأحسن إليهم
لتستفيد منهم اطراقا واحتراما ، ولا تحدث نفسك بخدعهم ، فإن ذلك
خيانة منك . والسلام !

٢٤ مايو سنة ٩١٥

أمس حضر استورس في الساعة تسعة وبضع دقائق مساءً ، وطلب
صورة فتحي ، فأعطيته إياها . ثم جرى الحديث في الأحوال الحاضرة ،
فاتفقنا على أنها هادئة ، ثم جرى ذكر التغيير الحديث ، فاستطردت منه
إلى التكلم عن الحوادث التي جرت مع كتشنر ، من أول حضوره إلى
قيامه ، فقال : إنه كان يعلم مجملها ، وإنه مسرور من الوقوف على
التفاصيل التي أوضحتها .

وقال : إن كتشنر ، لما كتب لوزارة الخارجية في شأن خروجك من
الوزارة ، أشار إلى أنك غير متفق مع الخديوي ، وأن زملاءك^(٥١) غير
راضين عنك ، وأنت ، لعداوة بينك وبين حسين محرم ، أردت إبعاده
عن مأمورية مهمة .

ثم قال^(٥٢) : إن محمد سعيد هو الذي ركز في قلب كتشنر بغضك ،
بما كان يلقيه من الدسائس في حقك ، وقد صادفت من جنبه قلبا خاليا
من التجربة ، فتمكنت . وإنه لما أريد تعيينك وزيرا ، قبل هذه المرة ،
حصلت معارضة شديدة بأنك تطعن على عميد الإحتلال ، وتعارض
مشروعاته ، وتثير الخواطر عليه . ولا يتأتى أن يساعد من كان كذلك على
الوجود في الحكومة .

(٥١) م) في الأصل : زملائك .

(٥٢) أضيفت : « ثم قال » لاستهلال الفقرة الجديدة .

ثم قال^(٥٣) : والمستشار المالى كان ضدك ، ولا يزال كذلك - مع خفة - [ص ١١٨٧] وقد^(٥٤) أيد قول خصومك فيك طعن الأهرام على كتشنر أثناء امتداحك وترددك على الخديوى ، وانعطافه نحوك . فلهذا تأثر الرجل منك .

قلت : ما كنت أحب أن يبقى تأثيره لحد الآن ، وأن يبديه فى وسط المهام التى هو قائم بها .

وبينت أن الخديوى هو الذى تقرب منى بعد أن عاكسنى فى الانتخاب . وما كنت أتردد عليه إلا بعض الأحيان ، وما جريت^(٥٥) بتعليقات منه ، بل من تلقاء نفسى . ولذلك كانت خطى مضادة لفكره فى مسائل الأوقاف .

قال لى : إنه حان الوقت لأن تتألف الوزارة من رجال ذوى آراء يعول عليها ، لا من أصفار ، فقد كان يُخشى من ذوى الكفاءات فى زمن الخديوى وقبل اعلان الحماية ، أما الآن فلا معنى لهذه الخشية ، بل اللازم هو الاستعانة بأهل الكفاءات والاقتدار على تدبير الشؤون ! وإنه فى كل أسبوع يكتب تقريراً إلى لوندرة ، وأنه كتب هذه الدفعة فى هذا المعنى .

ثم قال : ولو كان اللورد كتشنر هنا لوافق على تعيينك ، لأن الأحوال تغيرت . ولكن الوزارة لا تبقى على ما هى عليه ، لعدم التجانس بين أعضائها . وفى المرة القابلة يصادف ترشيحك النجاح المطلوب . وفهمت منه أن جراهام لم يكن ضدى .

(٥٣) أضيفت : « ثم قال » لنفس السبب .

(٥٤) أضيفت : « وقد » .

(٥٥) هكذا تقرأ ، والمعنى أن سعد زغلول لا يعمل بتعليقات من الخديوى ، وإنما من تلقاء نفسه .

٢١٠١

وتواعدنا على أن نتلاقى كلما سنحت الفرصة . وانصرف بعد ساعة
من الزمان .

[ص ١١٨٨]

نسيت أنى أذكر أن استورس قال - فيما قال - إن كتشنر لما ضاق
منك ، وشكى أمرك سعيد إليه ، فوض إلى هذا^(٥٦) الأمر فى إعناتك ،
وسلطه عليك ، فلم يحسن التدبير ، وأساء التصرف معك . وإذا عاد
كتشنر لا يكون نصيب سعيد منه إلا الإغضاء عنه . ثم قال لى : إن
رشدى سار معك أخيرا بصراحة وإخلاص . قلت : إنه رجل طيب
القلب . ووافق على ذلك ، ولكن لابنغمة النصير ، ولكن بلهجة العارف
فقط . وأبدى استغرابه من تأثير سعيد على كتشنر ، وقال : إن هذا كان
قليل الإختبار ، غير عارف حق المعرفة بالأحوال .

٢٥ مايو سنة ٩١٥

لم يحدث أمس شئ يستحق الذكر ، غير ما ورد إلى من سعيد من أن
احتفال الإسكندرانيين بعظمة السلطان كان عظيما !

أشرت على حسين باشا محرم ، عندما إستشارنى ، بأن لا يحضر أمام
المحكمة المختلطة ، لأن الشركات المدعى عليها ستدافع بنفس الأوجه
التي يمكنه أن يدفع بها ، فإذا قبلت ، إنتفع منها ، وإذا لم تقبل لم يضره
شئ . على أنه يمكنه أن يتلافى الضرر فى هذا الحالة بالاستئناف . فقبل
ذلك هو وأحمد لطفى بيك أحد محاميه .

[ص ١١٨٩]

أعلنت إيطاليا الحرب يوم الأحد الفائت مساء ، وجاءت بذلك

(٥٦) أى إلى سعيد .

التلغرافات أمس ، وتظاهر التليانيون^(٥٧) فرحين بإعلانها ، وطافت
جماعة منهم شوارع العاصمة ، حاملين أعلامهم ، هاتفين للملكهم
وأمتهم ، ووقفوا أمام نادى محمد على حيث كان البرنس فؤاد وجمع من
شبان اليهود ، ف ضربوا السلام السلطاني ، وحياهم البرنس ومن معه .
وكنت حاضرا أتأمل في الدنيا وتقلباتها ! وسبحان مغير الأحوال !
لا تؤخر عمل اليوم إلى غد ، بل إعمل في كل يوم عمله .
لا تهتم بالآتي إهتماماً ينسيك لذة الحاضر ، ولا تذكر الماضي
الا للاعتبار ، لا لإثارة الأحزان .

لا تسع إلا لخير غيرك ، ولا تهتم بنفسك إلا فيما تحفظ به عليك
الصحة ، وتكفى مثونة الحاجة .

إذا عرفت كيف تستغنى عن بعض لوازمك ، عشت سعيدا ناعم
البال .

يوم ٢٦ مايو

تردد على ، من وقت لوقت ، الفكرة في حقد كشنر على ! [ص
١١٩٠] وكلما تصورت ما وقع لى معه ، وما أعلم من خلقه ، كلما
زدت اعتقاداً بأنى لا أنال في الحكومة مركزاً مادام له فيها نفوذ من قريب أو
بعيد ! فقد أبى تعيينى في مجلس إدارة القنال ، ولم يسمع لشفاعة صديق
كتب إليه ، ولا لضراعة قدمها بين يديه على أسلوب يستميل الكريم .
وفعل ذلك وما فعلت ما يغضبه ، ولا أتيت ما يسيئه شخصياً ، ولكنه
توهم أنى عارضت في تعيين حسين محرم تعنتاً منى ، وافتئاتا ، وصدعاً
لغرض شخصى - لا لمصلحة عامة .

(٥٧) يقصد : الطليان .

٢١٠٣

فما باله ، بعد أن رأى أعارض آراءه^(٥٨) في الجمعية التشريعية ، وأطعن عليه في المجالس الخصوصية ، وأغمزه في محادثات مع الصحافيين ، وتقرن^(٥٩) بعض الجرائد مدحى بدمه ، والثناء على بهجوه ؟ إن ذلك يملأ قلبه حنقاً ، وصدره حقداً ، ويحملة على أن يتربص بى السوء ، لا أن يرتاح إلى تقدمى فى حكومة ، له فى إدارتها الرأى الأعلى ، والكلمة النافذة !

ولا أظن أن الإستشفاع يؤثر فيه ، مهما كان الشفيح ، ومهما كانت وسائله . فلم يبقى لى إلا أن أنتظر فرج الله بقطع علاقته بمصر على أى وجه كان ! وما ذلك على الله بعزیز .

[ص ١١٩١]

ولهذا يجمل بى أن أؤلى وجهى شطر عمل آخر ، وأنسى الحكومة ومراكزها . والله يوفق لما يشاء .

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع .
إياك والأسف على ما فاتك من مرغوب فإنه لا يعيده إليك ، ويشمت بك الأعداء .

إن الأعداء يشمتون بعدوهم ، لعلمهم أنه يتألم من خيبة أمله . فإذا علموا أنه لم يقابل هذه الخيبة إلا بحسن الرضا ، قلت شمتهم ، وانعكس الأمر عليهم . فلا تكن عوناً لأعدائك ، بل لأصدقائك .
لا يسوغ للإنسان أن يخاطر بنفسه إذا كان رب عائلة ، لأنه يسىء إلى

(٥٨) فى الأصل : « آرائه » .

(٥٩) فى الأصل : « ويقرن » .

٢١٠٤

أقرب الناس إليه إساءة لا يمكن تعويضها . ولذلك فإن أول من يعذر أصحاب الحذر من أرباب العائلات ، حتى إذا بالغوا في حذرهم ، وتجاوزوا الحد في احتياطهم !

أخطر في بالي هذه القضية ، ما وقع لأمين يوسف ، زوج رتيبة (٦٠). (فإنه) لعدم احتياطه ، توجهت الشبهة عليه ، وتفتش منزله في دمياط يوم الثلاث أول يونية ، عقب أن عاد مع حرمه إلى دمياط ،

[ص ١١٩٢]

فانزعجت ، وانزعج انزعاجا شديداً ، وحضر أمس مقبوضا عليه ، ترافقه زوجته . وقد رأيتها والدموع تسيل على خديها ، ووجهها محتقن ، وولدها الصغير يتعلق بها ، ويلتفت ذات اليمين وذات الشمال يفتش على أبيه ، فلم يجده . وكأنما شعر الطفل باعتقال أبيه ، فانكسرت نفسه ، وعليه علامات تشبه علامات الشعور بالوحدة في الضعف .

وقد سألت « هرفى » (٦١) أمس عن سبب اعتقاله ، فلم أجده يعرف شيئاً عنه .

وقال فيليبيدوس (٦٢) إنه فتش أوراقه فلم يجد فيها ما يشبه ! وقال

(٦٠) رتيبة هي بنت شقيقة سعد زغلول (سهم) وشقيقة سعيد زغلول ، والدة كل من الكاتين مصطفى وعلى أمين . وقد تزوجت من محمد أمين يوسف ، وهو من أهالي دمياط ، وكان صديقاً لسعد ، ولعب دوراً في انتخابات سعد زغلول للجمعية التشريعية ، ثم في ثورة ١٩١٩ حيث كان يوزع التوكيلات في الأقاليم . (٦١) المستشار المالي البريطاني .

(٦٢) هو جورج فيليبيدوس ، مأمور ضبط محافظة القاهرة ، ورئيس المكتب السياسى الذى أنشأه رونالد جراهام ، مستشار وزارة الداخلية ، الذى تعين فى

.....
= ١ / ٤ / ١٩١٠ ليحل محل آرثر شيتي الذي استقال في أعقاب مقتل بطرس غالي . وكانت مهمة هذا المكتب السياسي مواجهة الأعمال السياسية وجمع المعلومات عن الجمعيات السرية ومراقبتها .

وقد تولى جورج فيليبيدوس رئاسة هذا المكتب السياسي منذ ديسمبر ١٩١٠ ، يعاونه ضابط مصري اسمه حسنى شعير واليوزباشى فرنسيسكو لوسكيافو ، معاون البوليس السرى ، ومجموعة من المخبزين الوطنيين والأجانب ، ومنهم الكونستابل « تالاريس أنطونيو » - ويتبع هؤلاء جميعا الميرالاي جورج هارفى باشا ، حاكمدار بوليس العاصمة .

وقد استطاع جورج فيليبيدوس ، الذى حصل على لقب « بك » أن يلعب دورا هاما فى محاربة رجال الحزب الوطنى ومطاردتهم حتى أقنع البريطانيين بأن تصفية الحزب الوطنى هى الأمان الوحيد ضد الحركة السياسية المصرية والعمل السرى ، فسلموا له كل أمور العمل السياسى المضاد ، مما دعاه إلى ادخال « نظام المرشدين » فى البوليس السرى ، لتقديم المعلومات عن تحركات المشتبه فى أمرهم ، واجهاض المؤامرات التى يمكن أن تدبر قبل تنفيذها ، أو تلفيق مؤامرات .

وقد كان من ثمار هذا النظام اكتشاف ما عرف باسم « مؤامرة شبرا » حيث ألقى القبض فى يوم ١ / ٧ / ١٩١٢ على إمام واكد ومحمود طاهر ومحمد عبد السلام فى مقهى بشبرا البلد ، بتهمة تدبير مؤامرة لقتل كل من كتشنر ومحمد سعيد باشا ، وحكم على امام واكد بالأشغال الشاقة لمدة ١٥ عاما ، وعلى كل من محمود طاهر العربى ومحمد عبد السلام بالسجن ١٥ عاما ، تطبيقا لنص المادة ٤٧ عقوبات الجديدة التى تمحاسب على الاتفاقات الجنائية حتى ولو لم تنفذ . وقد كان أداة جورج فيليبيدوس للكشف عن هذه المؤامرة مصطفى المحلاوى ، الشهير باسم مصطفى كامل ، الذى حصل على قاتلى جنيه منه .

وقد استغل جورج فيليبيدوس ومكتبه السياسى فرصة الحرب العالمية الأولى للإثراء عن طريق الحصول على الرشاوى والاتاوات من المعتقلين السياسيين وتجار

إن مورس (٦٣) أمر بإيقاعه في السجن إلى غد ، لأنه كان على أهبة مغادرة النظارة . ثم قال إن حسن أنيس ، سكرتير المستشار ، كان خاطبه في التليفون بشأنه ، وفهم منه أن جناب المستشار عارف بالمسئلة .

الريق الأبيض وضباط البوليس ، وتلفيق التهم للوطنيين ، وقبض على جورج فيليبيدوس بتهمة الرشوة من المعتقلين ثمنا لحریتهم ، والاتجار بسلطة وظيفته ، كما قبض على مساعده محمود محمد لتوسطه في الرشوة لرئيسه ، وكذلك فرانشسكو لوسكيافو ، وحكم على جورج فيليبيدوس بالحبس لمدة خمس سنوات مع الشغل ، وحبس زوجته « أسماء » لمدة سنة ، وطرد محمود محمد بك من البوليس المصرى ، وطرد فرانشسكو لوسكيافو من الخدمة ، وتم شطب اسمه نهائيا من قوة البوليس . وقد كان وراء كشف فساد المكتب السياسى جورج موريس ، مدير الأمن العام الذى كان يرغب فى التخلص منه .

(انظر : د. عبد الوهاب بكر : البوليس المصرى ١٨٠٥ - ١٩٢٢ ، الجزء الثانى ، رسالة ماجستير غير مطبوعة ١٩٧٧) .

ونود هنا أن نحيل القارئ إلى ما كتبه سعد زغلول عن هذه المؤامرة فى الكراسة الثالثة ، المحققة فى الجزء الرابع من المذكرات ، وإلى حاشيتنا رقم ٣٩٢ مكرر . وقد رجحنا أن يكون تاريخ المؤامرة سنة ١٩١٣ ، على أنه فى ضوء هذه المعلومات الجديدة ، فإنه يبدو لنا أنه لا صلة بين مؤامرة سنة ١٩١٢ ومؤامرة ١٩١٣ التى أوردها سعد زغلول فى مذكراته فى تسجيله لأحداث عام ١٩١٣ ، فالمؤامرة الأولى هى التى تحدث عنها هارولد ويلر Harold Wheeler فى كتابه « قصة اللورد كتشنر » وهى المشار إليها فيما سبق ، أما مؤامرة ١٩١٣ - فهى مؤامرة أخرى لم نجد ذكرا لها فى الصحف المصرية - كما أردنا - وهذا يفسر قول سعد زغلول : « ويظهر لى من تكرر كشف المؤامرات أنها مفتعلة بقصد الإرهاب » . وقد كان جورج فيليبيدوس وراء هذه المؤامرات كما يتضح من السرد السابق لتاريخه .

(٦٣) جورج موريس George Morice مدير عموم قسم الضبط بوزارة الداخلية من ١٩١٢ - ١٩١٧ ، ومدير عموم الأمن العام من ١٩١٧ - ١٩٢٠ . =

٢١٠٧

وقد تكلمت بالتلفون مع موريس ، فأخبرني بأن (. . .) (٦٤)
المختش هو الذى يعرف تلك القضية ، ولا يدري هو حقيقتها . ووعد بأن
يتعرفها ويعرفني بها تليفونيا . وراح ولم يعد !

وقد تكلمت مع سعيد في التليفون باسكندرية ، أن يكلم رشدي
باشا من طرفي ، ويرجوه بلساني أن ينظر في المسئلة . ففعل . وفي الساعة
ثمانية مساء تكلم معي دولته من اسكندرية يقول إن المسئلة فيها نوع من
الاشكال صغير . وإنه سيأمر غدا بالإفراج عنه . فشكرت له ، وبشرت
زوجته . فارتاحت ، واستكانت نوعا .

وحضر صدقي (٦٥) ، ولازمي طول الليل .

[ص ١١٩٣]

أما عاطف (٦٦) ، فمع كونه عارفاً بالمسئلة من وقت حدوثها ، فلم
يسأل عنها إلا الساعة ٤ من ظهر أمس بالتليفون ، فأجابته رتيبة ، ولكنه
لم يجد من المناسب أن يحضر ليراها أو يراني ! ثم ذهب كعادته إلى
النادي ، وحضر في الساعة ثمانية ، وسأل عن الحالة ، فأخبرته ببرود !
وفي الحال فتح مسألة المديرين ، لأنه يتطلع لأن يكون مديرا ، فلم أجب
بشيء ! وتركته يتكلم فيها مع صدقي ! ثم دخل ليري رتيبة . ويظهر -

= وكان قد التحق بخدمة الحكومة المصرية برتبة صاغ ببوليس أسيوط ١٨٨٤ وظل في
خدمة البوليس حتى ١٨٩٤ حصل خلالها على رتبة بكباشي ، وأصبح مفتشا بتفتيش
ضبط الوجه القبلي ، ثم حكمدارا لبوليس القناة ، وفي سنة ١٩٠٢ عين في وظيفة
مفتش بالنيابة العمومية لدى المحاكم الأهلية .

(٦٤) اسم غير مقروء وقد يكون «هينز» .

(٦٥) محمد صدقي بك ، شقيق محمود صدقي باشا عدیل سعد زغلول .

(٦٦) عاطف بركات ، ابن شقيقة سعد الأخرى التي أنجبت فتح الله بركات .

كما بلغنى - أن دخوله كان بطريقة باردة !
ولما اجتمعنا حول المائدة ، أخذت أسلى الحريمات ببعض الكلمات ،
فقال : انك تريد أن تسليهن بالحنان^(٦٦) معهن ! فأكبرت الكلمة ،
وقلت بغضب : ما هو هذا الحنان يا سى عاطف ؟ فامتقع لونه وسكت !
وقد بتنا تلك الليلة أقل قلقاً . وفي الصباح ، ذهبت إلى مقابلة
رشدى باشا في المحطة . ولما حضر ، دعانى لأن أركب العربية معه ،
وقال : إنه إشتبه في رجلكم لكونه يتكلم كثيراً ، ويمسح سواد الجرائد
ويعلن ما فيه للناس^(٦٧) . ولانى عازم على أن أحضره وأكلمه أمامك ،
وأفرج عنه .

فشكرت له ، ودعوته إلى الأكل عندى . فاختر أن يكون ذلك في
العشاء . وأخبرنى أن السلطان أهداه أوتومويلا [ص ١١٩٤]
جميلاً ، فهنأته على هذه الهدية ، وقلت : قد سبق أن خطر على بالى -
ولا أدري لأى سبب - أن السلطان يهدينى أوتومويله الأحمر ، وينعم على
الجمعية الخيرية^(٦٨) بالمنزل الذى كانت فيه دائرته . ولا أعلم لهذا الشعور
من سبب ؟ فإذا الهدية أصابتك فلى عليك مثلها ! ولما وصلنا منزله ،
وعدنى أن يدعونى فى التليفون .

ودعانى ، وأحضر أمين ونبه عليه أن لا يدع محلاً لسوء الظن فيه .
فاحتج بأنه لم يصدر عنه ما يوجب اللوم ، وأن أعداءهم^(٦٩) الذين
دسوا الدسائس فى حقه ، وأنه يطلب التحقيق ! فأسكتته ، وأمر بالإفراج
عنه .

(٦٦) م) قراءة تقريبية .

(٦٧) يقصد أنه يقرأ أسوأ الأخبار عن الحرب فى الجرائد ، وينقلها للناس .

(٦٨) يقصد : الجمعية الخيرية الإسلامية (اقرأ حاشية ٣٦٥ فى الجزء الثالث

من المذكرات) .

(٦٩) فى الأصل : « أعداءهم » .

٢١٠٩

وانصرفت معه ، ونبهت عليه أن يعصم لسانه من الكلام ،
وألا يشتغل إلا بما يعنيه ، وأنه إذا عاد إلى مثل ما اتهم به فإنى أثور عليه
لا له . وشددت كل التشديد .

ومما (٧٠) قلت — أمام صدقى وبهى الدين وغيرهم : إن الهيئة
الحاضرة ، من السلطان ومكماهون ورشدى إلى غيرهم ، من أصدقائى .
وليس لنا إلا أن نشيد بذكرها ، وننشر خيرا عنها ، وندافع عنها بكل
جهدنا . أما إذا تطرف منا متطرف إلى الطعن فيها ، فذاك لا يعد إلا
إنكارا للجميل .

[ص ١١٩٥]

٦ يونيو

تعشى عندى رشدى باشا وصدقى بىك يوم الخميس ٣ يونيو سنة
١٩١٥ . وقال رشدى — أثناء حديث — : إنك نفعت مظلوم باشا (٧٠) : لولاك
لم يكن من أصحاب المعالى ! قلت : ولكنه منهم بحكم القانون ! قال :
ولكنه ليس منهم باعتبار آخر — يشير بذلك إلى أنه سيعطى له الإمتياز
الذى يخوله هذا اللقب ، لأن فى النية اعطاءه لى ! ولكنى لا أظن ذلك
يحصل ، لأن معارضة كتشنر من شأنها أن تغل أيديهم عن مساعدتى

(٧٠) فى الأصل : وبأنى .

(٧١) أحمد مظلوم باشا ، وزير الحفانية ثم المالية فى وزارة مصطفى فهمى
باشا ، ووزير الأوقاف فى وزارة محمد سعيد باشا الثانية (لمزيد من التفاصيل إقرأ
حاشيتنا رقم ٣٠١ فى الجزء الأول من المذكرات) وقد تولى رئاسة الجمعية التشريعية
من ١٩١٤ — ١٩٢٣ .

والإلتفات إلى^(٧٢) .

فهمت من رشدى ، يوم الجمعة ٤ يونيو ، أن الأنظار كانت متجهة إلى رفت كمال ، مدير أسيوط ، لأنهم كانوا يحسبون أنه سيثبت عليه شيء مما عُرِى إليه أخيراً ، ولكن ذلك لم يحصل ، فلم يبق عليه إلا الوقائع القديمة ، التى شملها كتشنر بعفوه ، وإن لم يكن يعلم ما فعل بمدرسة البنات ، والدناءة التى استعملها مع موريس عندما هوى ليقبل يديه ! ولكنى استنتجت من مجموع كلامه ، ومن هيئة الأداء ، أنه محمى بعناية اللورد !

[ص ١١٩٦]

حضر عبد الله^(٧٣) أول أمس ، وحكى لى وقائع على أنها شكوى من معاملة الإدارة والمفتش الأول له . وقدم مذكرة بأهم ما لديه ، فلم أجد فيها مُهِمًا ، ولا ما يستوجب شكوى مرعوس من رئيس ! وأخذت منها أن

(٧٢) لكى نفهم هذه المسألة ، فإن السلطان حسين كامل كان قد أصدر فى ١٨ إبريل سنة ١٩١٥ أمراً سلطانياً بأن يمنح لقب « صاحب المعالى » للوزراء ، ورئيس الجمعية التشريعية ، والسرदार ، ورئيس الديوان السلطانى ، وكبير أمناء السلطان ، وأصحاب الوشاح الأكبر من نيشان محمد على ، وحائزى رتبة الامتياز (الرافعى : ثورة ١٩١٩ ، الجزء الأول ، ص ٢٣) .

ولما كان سعد زغلول غير حائز على رتبة الامتياز ، فقد كان اتجه السلطان إلى منحها له حتى يحمل لقب « صاحب المعالى » . ولكن سعد زغلول كان يشك فى امكان السلطان منحه هذه الرتبة بدون موافقة كتشنر . على أن السلطان منحه الرتبة فى ٢٢ يونيو ، كما سنرى .

(٧٣) يقصد عبد الله زغلول ، ابن شقيق سعد زغلول (الشناوى أفندى زغلول) وقد أصبح عضو مجلس مديرية الغربية ، وتوفى فى عام ١٩٢٦ (الجزيرى : آثار الزعيم سعد زغلول ، عهد وزارة الشعب ، ص ٢٤٩) .

٢١١١

عبد الله جاهل بمركزه من رؤسائه ، وبواجباته ، وفوق ذلك فيه كيد الغشيم ! فعنفته تعنيفا شديدا ، وأوجعته بالكلام ، لأنى كنت نصحته أن يخضع لرؤسائه ، وأن يحسن معاملة مرءوسيه ، وأن يدارى الحكام ، فلم يفعل إلا ضد ذلك ! ورأيت أن أبالغ فى إيلاّمه — خصوصا بتقريره أمام عاطف — ليكون ذلك أبلغ فى ردعه ، وأنفعل فى إنصاحه .

يوم ٨ يونيو

أكثر الناس إنتفاعاً بالمبادئ الجميلة التي حددتها الحكمة ، وأوصى بها العقل ، هم المخالفون لها ! فترى — مثلاً — الألمانين عندما خرقوا حرمة البلجيك ، يهزأون بالوفاء بالعهد ، ويقولون : إن هو الاخرقة بالية ! ثم إذا خرج البلقان من تحالفهم ، وأشهروا الحرب عليهم ، قالوا : ما أقبح خيانة العهد ! [ص ١١٩٧] ونرى كل دولة من الحلفاء مستولية على كثير من المستعمرات ، بحجة كونها قوية ، وتجب لها السيادة^(٧٤) ثم إن كلا منهن تلعن ألمانيا لأنها تريد أن تستعبد العالم أجمع ! سبحان الله ما أبعد الإنسان عن العقل فى قوته ، وما أقرب منه فى ضعفه ، وما أبكاه على العدل عندما يكون مغبونا ، وما أشد ارتياحه للظلم إن كان هو الظالم .

٩ يونيو

إذا أردت أن تكون كبيرا ، فلا تأت الصغائر !
وإذا أردت أن تكون سيدا فلا تضع نفسك حيث الخدم .

(٧٤) فى الأصل استخدم سعد زغلول ضمير المذكر الغائب المتصل ليعود على « دولة » بدلا من ضمير المؤنث ، على هذا النحو : مستوليا — كونه — قويا — له — وقد أجرينا التعديل اللازم كما هو موضح فى المتن .

أحسن وسيلة تتوصل بها إلى الاعتدال في قولك وعملك ، هي أن تضع نفسك دائماً موضع من تلوم !

لا تفتكر أن الإنسان مَلَك من السماء ، بل هو مخلوق يميل بطبعه إلى أشياء ممنوعة فعلاً ، وقد يكون السبب في منعها الضرورة الاجتماعية [ص ١١٩٨] ما أصعب عيشة الذين خرجوا على الشرائع الأهلية ، ووضعوا لأنفسهم شرعاً يحرم عليهم كثيراً مما أحلته تلك الشرائع ؟ إنهم لخاسرون في الدنيا بما قيدوا أنفسهم ، وفي الآخرة إن كانت بما خالفوا من العقائد !

إذا ما تراكت الهموم عليك ، فبددها بذكرى الآخرة . وإذا فاتك مرغوب ، فافرض أنه وصل إليك ! وعش مرتاح الفؤاد ، فإن إيتابه لا يصل مقطوعاً ، ولا يقطع موصولاً .

إن سلمت الناس من يدك ولسانك ، وانتفعوا على قدر الإمكان ببرك ومودتك ، فاهناً ، فإنك أسعد الناس .

أنظر إلى من فوقك في سرورك ، وإلى من تحتك في حزنك ، فإن هذا أمتع لطيشك في الأولى ، وأبعد لغمك^(٧٦) في الثانية .

لا تصاحب الأشرار يبعد عنك^(٧٧) شرهم ، ولا تناصبهم العداة إن كنت لا تقدر عليهم .

مجاراة العالم أسهل من تعديله !

(٧٦) في الأصل : « أبعد من غمك » ، وقد تكون : « أبعد عن غمك » .

(٧٧) قراءة اجتهدية مستقاة من المعنى .

[ص ١١٩٩]

أشقى الحياة حياة العاقل ، وألذها حياة العامل ، وخير العمل ما انتفع الغير بفائدته .

لا تعجب بما عملت ولو كان عظيما ، فإن العُجب يحمل النفوس على العناد ويبخس الأشياء .

٢١ يونيو سنة ٩١٥

أنعم الجنب السلطان برتب ونياشين على الوزراء ورئيسهم ، والأمراء : فؤاد ، وكمال ، وعمر . وانتقد بعضهم توجيه هذه الرتب والنياشين في آن واحد على الوزراء !

في ٢٢ يونيو

أنعم^(٧٨) عظمته على مظلوم باشا وعلى برتبة الإمتياز ، وعلى آخرين من الموظفين والأعيان برتب مختلفة .

وحار الناس في منح الباشوية لبعض الباشوات ، والبيكوية لبعض البيكوات ، ولم يهتدوا لتأويل صحيح .

وقد توجهت إلى^(٧٩) الإسكندرية يوم ٢٤ ، وقابلت السلطان ، وشكرت لعظمته الإنعام . وكذلك رشدى باشا والوزراء في بولكلى .

وزرت مكماهون ، ولم أقابله ، وعدت في اليوم نفسه . ولم أستقبل تهاى على هذه الرتبة إلا من القليل ، وأغلبهم [ص ١٢٠٠] ممن لم أكن أنتظر منه تهنئة ، ولا وداد بينى وبينه !

(٧٨) في الأصل : « أنعمت » .

(٧٩) « إلى » غير موجودة في الأصل .

وقد ارتحت لهذه الرتبة وتألّمت ! أما وجه الإرتياح ، فلأنها تدل على أنى غير مبغوض من الهيئة الحاكمة ، ولهذا تأثير فى بلدنا على كثير من الناس ، الذين نعيش فى وسطهم ، ومصالحنا مرتبطة معهم .
وأما وجه التألم ، فلأنها تعرضنى لسخط فريق من الناس ، الذين بهم سخط على الهيئة الحاضرة ، والإتهام بأنى خرجت من الوطنية ، ودخلت فى دين الخائنين .

والله يعلم أنهم مخطئون ، وأنى أكثر وطنية منهم ، وما نلت هذه الرتبة بالتساهل فى شىء من واجباتى ، ولا بالموافقة على ما لا ترضاه ذمتى . ولقد دلتنى التجارب أن أكثر الإنتقاد إنما يصدر ممن لا يهتم إلا بصالحه ، وأما الذين يهتمون بالصالح العام ، ويفخرون بالفضيلة ، فلا ينتقدون إلا قليلا ، ولا يشعرون التكبر على غيرهم إلا بطريق الإعتدال ، ولا تجدد فى نفسك حرجاً من انتقادهم ، لأنه صادر عن روح الإخلاص ومحبة الخير العام .

ولقد أعرف الكثير ممن لا يستفزه حق خذل ، ولا باطل نُصر ، يؤيدون الزور ، ويزورون الحقيقة ، ويكتمون الحق متى كان لهم فى ذلك فائدة . ولهذا يجب على العاقل أن لا يتقى إلا الله وتوبىخ الضمير فقط .

[ص ١٢٠١]

٣٠ يونيو

ذهبت إلى العزبة ، مع شوقى ومحمد يوسف بيك وحتاتة . وكان يوماً شديداً الحر للغاية . وقد بلغنا فى الطريق خبر وفاة المرحوم محمود رياض باشا فى إسكندرية ، وأن عظمة السلطان أجل جلسة مجلس الوزراء محاملة للرئيس رشدى باشا . فكتبت تلغراف تعزية إلى رشدى

٢١١٥

بإسكندرية . وذهبت في المساء إلى الميتم وكان معي صديق ، وكان بالخيمة خلق كثير من طبقات مختلفة .

وغضب منى شكرى ، أمام على باشا شعراوى ، لأنى تجاهلت العلم بورود تلغراف من كتشنر إلى حسين محرم فى شأن قضيته . وكان صدقى أخبره بما يدل على علمى به . وكان الغضب شديدا ، فأعلى صوته أمام الحاضرين ، وتوسط شعراوى بالاسكات .

واجتمعت بسعيد ، ورأيتة ضد الحلفاء . وقال : إن فى البحر الأبيض سبع غواصات ، منعت الصادر والوارد من وإلى إسكندرية ، وإنهم اكتشفوا على مستودع لها فى السلوم وغيرها ، وإن لدى الترك جيوشا فى المورة ، ويبنى فى الأستانة رستا لجمع^(٢٧٩) مائتى ألف مقاتل من كل هذه الجبهات .

وفهمت من رشدى أن المستشار المالى قدم مذكرة يعارض فيها إعطاء لطفى بيك السيد سبعمائة جنيه ماهية فى الكتبخانة ! وأنه لا علم له بشيء فى قضية محرم ، ولكنه سئل - كشاهد فيها - عن بعض نقط لا أهمية لها .

[ص ١٢٠٢]

يخطر فى بالى أن هذه الحرب إذا انتهت صلحاً ، من غير أن يكون لفريق الغلبة على الآخر ، تؤثر تأثيراً شديداً فى القوانين الإقتصادية والمدنية ، وقد تحمل أغلبية العقلاء والمسئولين فى كل أمة ، من الكتاب والساسة والحكماء والعلماء ، على أن يبحثوا فى طريقة توجب إبطال الحرب .

أما تأثيرها فى القوانين ، فلأن الثقة ، التى هى أساس عظيم لكثير من المعاملات فى العالم ، تضعف ضعفاً شديداً ، ويترتب على هذا الضعف

(٧٩ م) قراءة تقريبية .

تغيير جميع الأحكام التي كان أساسها قوة الثقة. فلا يمكن لأجنبي أن يمتلك عقاراً ، ولا أن يؤلف شركة ، أو أن يفتح محلاً للتجارة ، اللهم إلا تحت شروط خاصة ترمى — على الأقل — إلى تدخل الحكومة ، ومراقبتها الشديدة . ولا تدخل بضاعة أجنبية ، ولا تخرج كذلك بضاعة وطنية إلا بقيود وشروط صعبة جداً . ولا يتحرك أجنبي حركة إلا تحت مراقبة شديدة ، ولا يستخدم أجنبي في محل تجارى أو صناعى أو زراعى ، أو في بيت أو منزل ، إلا نادراً ، وتحت روابط ضيقة جداً .

[ص ١٢٠٣]

أما كونها تحمل على السعى في إبطال الحرب ، فلا شك عندى في أن أنصار السلام يكثرون جداً ، ويجدون من كل أمة وكل قطر آذاناً تصغى لأقوالهم ، وقلوباً تتأثر بها ، وعقولا تقدرها حق قدرها ، لأنها تكون قد أدركت جميع الأضرار الناتجة عنها إدراكاً آتياً من الحس والعيان ، لا من الرواية والبيان .

نعم إنه يصعب أن توجد طريقة لإبطال الحرب ، ولكن صعوبة الوصول إلى الغاية لا تمنع من السعى إليها ، وجمع العزائم عليها .

على أننا إذا رجعنا إلى مبدأ الإنسانية ، نراها سائرة بالتدريج إلى السلام الدائم . ونستنتج أنه ليس من المستحيل أن يصبوا إليه الإنسان . فقد كانت أفراد الإنسان في بداية أمرها في حرب مستمرة بعضهم ضد بعض ، ثم انضم أفراد كل عائلة إلى بعضهم ، وألفوا بينهم وحدة هي العائلة ، وانتقل الحرب من الفرد إلى العائلة ، ثم منها إلى المدينة ، ثم منها إلى القبيلة ، ثم منها إلى الأمة ، ثم اتسعت إلى الدولة . فلم لا يجوز

أن تنتهى بالزوال من الدول ؟

نعم إن مطامع الإنسان تدفعه إلى التعلى على غيره ، ولكن هل يستحيل أن تقبل كل دولة أن تخصص جزءا [ص ١٢٠٤] من قوتها لأن يكون تحت تصرف محكمة تحكيم ، يُرجع إليها في فض كل خلاف يقع بين دولتين فأكثر ، ويكون لها الحق بأن تستعمل هذه القوة ضد الدولة التي لا ترضخ لحكمها ، ولا تتبع القانون العام ؟ إذا قيل انه يخشى أن تستبد تلك المحكمة بالأمر ، قلنا : ان ذلك لا يكون ، لأنها مؤلفة من أعضاء من دول مختلفة .

على أنى عندما أرى الإتحاد الأمريكانى ، والإتحاد بين أغلب الدول الأوربية في هذه الحرب ، لا أستبعد أصلاً أن يتم هذا الإتحاد بين الدول جميعاً ، وقاية للإنسانية من الحروب وويلاتها^(٨١) .

(٨١) هذه الفكرة التي عرضها سعد زغلول ، هي أصل فكره « عصبة الأمم » التي نشأت في أعقاب الحرب ، وأصل فكرة الدكتور ولسن ، رئيس الولايات المتحدة ، التي أطلقها أثناء الحرب عن « سلم بلا نصر » ، و« تأليف عصبة الأمم » .

وقد كتب سعد زغلول هذه الفكرة في ٣٠ يونيو ١٩١٥ ، قبل دخول الولايات المتحدة الحرب في عام ١٩١٧ ، وقبل أن يعلن الدكتور وودرو ويلسون نقاطه الأربع عشرة في عام ١٩١٨ .

على أن فكرة فرض السلم بواسطة قوة عسكرية دولية – كما اقترح سعد زغلول – لم تتحقق إلا بعد حرب عالمية أخرى – هي الحرب العالمية الثانية – بإنشاء مجلس الأمن . وقد كانت حرب تحرير الكويت صورتها التنفيذية المثالية ، كما كانت الحرب الكورية صورتها المحرفة !

٢١١٨

في ٣ يوليو سنة ٩١٥

أول أمس توفيت الأميرة خديجة خانم ، حرم الأمير حسين باشا ، شقيق السلطان ، وشيعت جنازتها في مصر من كوبرى قصر النيل إلى المحطة ، حيث تحمل لتدفن في الإسكندرية . ولم يحضر من الأهلين إلا القليل ، وتحلف الأمير فؤاد فلم يحضر الجنازة ! وكان مساء في الكلوب ! وذهبت الظنون في ذلك مذاهب !

[ص ١٢٠٥]

الحمد لله ، أشعر الآن بنوع من الراحة في الفكر ، والهدوء في البال ، والاستعفاء عن كثير مما يتعلق به الناس عادة .

ولم أعلق على رتبة الإمتياز أهمية ، ولم تقع عند الناس - حتى الأصدقاء والأقارب - الموقع الذى يناسب ما أعطته الحكومة لها في القانون من الأهمية !

من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه !
من سوء التدبير أن يسعى الإنسان فيما لا فائدة فيه ، وأن يتهاون فيما فيه كل الفائدة !

في الناس من يتلذذ بالمنكر ، وهماً لاحقيقة .

١١ يوليو سنة ٩١٥

في يوم الجمعة ٨ يوليو ، عندما كان موكب السلطان مارا من شارع رأس التين بإسكندرية ، لأداء صلاة الجمعة ، إذا بقنبلة ألقيت على عربته ، فأخطأها ، وسقطت بين أرجل الخيل ، ولم تنفجر ! ولم يعلم السلطان بها حتى أدى الصلاة ، وعاد وتغدى ، وبعد ذلك علم بالحادثة .

ويظهر أن الذين رعوها من الذين كانوا معه ، لم يهتموا أول الأمر بها ، ولم تتوجه أنظارهم إلى المنزل الذى سقطت منه إلا بعد برهة [ص ١٢٠٦] تمكن الفاعل فيها من الهروب ، بالوثب من سطح إلى سطح حتى أفلت تماماً .

وتبين - من التحقيق - أنه شاب إستأجر شقة فى المنزل الذى سقطت منه ، من يوم ٢٨ يوليو ، ولم يؤثته ، ووجد فى هذه الشقة قبيلة أخرى . وصاحب المنزل يعرفه ، ويعرف المزين الذى توسط فى تأجير المنزل إليه بالذات . وقد سمى نفسه فى عقد الإيجار بإسم محمود حلمى من (. . .)^(٨٢) ولكن لم يوجد فى هذه الناحية من يحمل هذا الإسم ، ولا يزال التحقيق جارياً .

وقد توافد كثير من الناس على سراى رأس التين للتهنئة ، وأرسلت مهثا ساعة وصول الخبر يوم الجمعة الساعة ٩ مساءً ، ثم سافرت إلى إسكندرية .

واستقبلنى السلطان وحدى ، ومكثت فى حضرته مدة أربعين دقيقة . ورأيت متائراً جداً ، وكان يحنق أحياناً بالبكاء ، وكنت أطفه ، وأسهل وقع الحادث عليه .

ويؤلمه تصور أن الشعب لا يحبه ، ويستخف به ، رغم ما يسديه من المعروف ، وما يبذله من الجهد فى سبيل إسعاد الوطن وتقدمه . والذى يقلقه أن هذه الجناية لا ترتكب إلا باشتراك الكثيرين .

وقال لى إن مظلوم باشا غضب لاشتراكى معه فى رتبة الإمتياز ! فقلت له : إن الرتبة لا تهمنى ، ولكن رضاه . وتستوى عندى^(٨٤) الرتبة

(٨٢) اسم غير مقروء . وقد يكون النارية .

(٨٤) قراءة اجتهادية مستقاة من السياق .

عظمت أو صغرت ، فإنى مدين له بشيء كثير .

[ص ١٢٠٧]

وقال : إني معدك لأمر هام ! (كلام إن اعتقدَه لا يمكنه أن ينفذه كما دل عليه الإختبار ! ولكنى قبلته منه وشكرته عليه) . ثم وصانى أن نفهم الناس حقيقة ما انطوي عليه من مكارم الأخلاق ، ومن علو الشعور . وانصرفت متأسفاً على حالته .

ولم أجد رشدى فى الوزارة . وقابلت عدلى ، وفهمت منه أن المحافظ لم يأخذ خبراً بالحادث إلا بعد ست ساعات من وقوعه ! والوزراء لم يعلموا بها إلا عرضاً ! وأنه حصل ثقيل من البوليس فى أول الأمر ! واستغربت - معه - أن يكون الجاني غريباً ، وينزل فى أحد المنازل مستأجراً ، ولا يشعر به أحد من رجال السلطة ! وشعرت - من بُعد - أنه غير راضٍ عن إدارة رشدى !

وقد تكلمت بالتليفون مع رشدى من سفواى أوتيل ، بأنى لم أتمكن من مقابلته . فقال لى : متأسف ومتشكر ، ولم يزد . ولا بد أن يكون مشغولاً أو مذهبولاً ، لأنى لا أظنه مشغولاً . (٨٢) .

وكنت صادفت ، فى طريقى إلى اسكندرية ، لطفى بيك السيد ، فتغديت معه ، وفهمت منه أن مسئلته انتهت على أن يأخذ راتباً ستمائة جنيه لا أزيد .

(٨٥) يقصد سعد زغلول بكلمه « مشغولاً » غير ما يقصد - بكلمة « مشغولاً » . فالكلمة الأولى تعنى : « مهموماً » والكلمة الثانية تعنى : « مشغولاً بعمل » .

٢١٢١

والناس الذين رأيتهم عقب هذه الحادثة ، لم أرهم متأثرين منها
كتأثرهم للحادثة الأولى ! ولعل لمسئلة توزيع الرتب والنياشين دخلا في
هذا الفتور . والتشريفات في سراى عابدين [ص ١٢٠٨] كانت
تجبرى في سراى رأس التين على غير قاعدة . ولا بد أن يُسخط هذا
الأسلوب كثيرا من الناس ، أو يزيد من سخطهم .

والناس ، على اختلاف أهوائهم ومشاربهم ، يأخذون على السلطان
خلطه بين الناس ، وعدم تمييزه بين أفرادهم ولا طبقاتهم ، وكثرة
كلامه ، وافضائه لكل من لقيه بكل ما عنده ، وافتخاره بالقوة
والسلطان وليس في يده شيء من السلطة والنفوذ . ومقامه في الناس
يسقط يوماً فيوماً ، واستخفاف الخلق به يزيد آناً فآناً !

وقد قلقت الحكومة لعدم وقوفها على من ألقى القنبلة على عربته يوم
١٨ الجارى ، وجعلت لمن يعثر عليه ، أو يرشد إليه ، جعلاً خمسمائة جنيه
مصرى ، ونشرت ذلك على الناس .

ولى آنس من الإنكليز فتورا في هذا الحادث ! ولا أعرف العلة فيه !
والله أعلم !

[ص ١٢٠٩]

حدثني أحد الأصدقاء ، بأنه هام زمن الصبا بفتاة كانت تسكن معه
في بيت ، فأخذ يغازلها حتى إستمالها إليه ، ولكنه عندما أراد وصالها خطر
في باله ، وهو يعانقها ، الجنة ونعيمها ، والنار وجحيمها ، فاسترخى ،
وندم ، ولم يفعل - من ذلك الوقت - شيئا يغضب الله .

ومن هذه الحكاية ، يُستدل على أن الإيمان بالله ينهى عن الفسق
والمنكر ، ويقيهم من الفجور .

١٧٣

أرشد تلميذ ، في مدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية باسكندرية ، عن أستاذ فيها رآه يوم الخميس ، السابق على اليوم الذى أُلقيت فيه القنبلة ، داخلا المنزل الذى حصل إلقاؤها منه . وكان أفضى إلى أبيه بهذه المشاهدة فأخبر البوليس بها ، وبناء على ذلك قبض على ذلك الأستاذ ، وهو شاب يبلغ من العمر ٢٥ خمسة وعشرين سنة ، تخرج من مدرسة مصطفى كامل . ولما فُتس منزله وُجد فيه أوراق تدل على أنه من الحزب الوطنى ، ومن المغرمين بمبادئه وسياسته ، [ص ١٢١٠] وعدد رجاله وشيعته . وفتش منزل والده في آن الوقت ، فوجد من بين أوراقه خطاب من ابنه إليه ، يقول له فيه ما حاصله: قد انتهت الامتحانات ، وعولت على أن أبقي في إسكندرية إلى ١٥ رمضان ، ترويحاً للنفس من عناء الأعمال . وإنى أرى المستقبل مظلماً ومعتماً للأمة ! ولا أدري أنكون من الأشقياء أم من السعداء ، من الأموات أم من الأحياء ؟ . وإنى أرسل بصورتي إليك ، فاحترس عليها أشد الإحتراس حتى أعود ، لأنها البقية الباقية . وإنى أجتو على ركبتى ، وأطلب منك الدعوات الصالحة !

وتبين أنه صنع من هذه الصورة ١٢ نسخة ، ولم يوجد عنده واحدة منها . وكذلك لم يوجد عنده الكليشه الذى كان اشتراه ، وقال إن كل ذلك ضاع منه ! ولم يفسر ما جاء في ذلك الخطاب بتفسير مقبول .

ولما رآه الحلاق ، الذى كان واسطة في إيجار المنزل في العزل^(٨٦) ، فدل بمعرفته ، وقال إنه حضر إليه ، وسأله عن المنزل المذكور فدله عليه ، وكان معه مفتاحه .

ووجد في المنزل المذكور - عند تفتيشه - عُقب سيجارة ، عليها اسم تاجر ، تبين أنه شاهد هذا الأستاذ . وتبين من أقوال الأستاذ والتاجر

(٨٦) قراءة اجتهدية .

أن هذا يبيع إلى ذاك مزيجاً خاصاً من الدخان لا يبيعه لغيره ! وأكد التاجر وأهل الخبرة أن ذلك العقب [ص ١٢١١] من هذا المزيج ^(٨٧) .

وقد حكى تاريخه بعد وقوع الحادثة ، وأتى فيه ببعض وقائع ظهر من التحقيق كذبتها . من ذلك أنه أكد أنه بات ، ليلة تسعة وعشرة يوليو ، عند من يدعى عبد الله حسن . فكذبه هذا في ذلك ! ولما ووجه به قال : إذن أكون بت هاتين الليلتين عندي ، لأنني إما أن أبيت عندي ، أو عنده ، فهادم أنه لم يثبت أني بت عنده ، يثبت أني بت عندي !

ومن الغريب أن في ملامح هذا الشاب وهيئته ، شيئاً يشبه مصطفى كامل ، وعلى الأخص حركاته !

والحكومة مهتمة غاية الاهتمام بالوقوف على الشركاء ، لأنها تعتقد — كما هو الظاهر — أن إلقاء تلك القنبلة ليس إلا نتيجة عمل أيدٍ كثيرة ، واشتراك أشخاص متعددين .

ورشدى باشا يحضر التحقيق بنفسه ، ويباشر أولاً جمع الإستدلالات ، ثم يدفع منها إلى النائب العمومي ما يراه مفيداً لكشف الحقيقة . وكذلك يلزم التحقيق ناظر الحقانية . وقد حضرت بعضه .

ولم أرتح لإشتراك هؤلاء فيه ! لأن هؤلاء ليس لهم أن يستعملوا سلطة التحقيق إلا بواسطة الإنتداب ، [ص ١٢١٢]

(٨٧) لتوضيح هذا الكلام ، فإن التدخين في ذلك الوقت كان يتم بطريقتين ! إما شراء سجائر جاهزة الصنع من ماركات مختلفة ، وإما شراء الدخان (التبغ) من صنف واحد أو خليط من الأصناف ، وشراء دفاتر أوراق السجائر الصغيرة ، ولف السيجارة بوساطة اليد عند التدخين ، عن طريق وضع كمية من التبغ في الورقة الرقيقة الصغيرة ، ولفها باليد حتى تتحول إلى سيجارة ، ويلصق طرفها عن طريق البلل باللسان .

لا بأنفسهم^(٨٨) . وفى ذلك الغباء إسقاط من هيئة الحكومة ، وابتذال لها .

وقد أخذ بعض الناس على رشدى سهره بنفسه على حياة السلطان فى غدواته وروحاته ، وفعله ما هو من خصائص مأمورى الضبط ، فيصحبه إلى الجامع ! ولا يصح اشتغاله بحراسته وقد رأيت ، ليلة الإحتفال بوفاة محمد على ، فى طريقه إلى العباس المرسى ، وهى ليلة ١٣ رمضان ، آتيا خلف السلطان على قدميه ، وعند إنصرافه شيعه كذلك ! ورأيت عدلى مستاء كل الإستياء من ذلك ، غيرة على المسند^(٩١) وكرامته .

ويتردد رشدى بين إسكندرية ومصر^(٩٢) غالباً ، باحثاً مدققاً مشغلاً كل الاشتغال مع البوليس ! ولا يتمكن إلا القليل من مقابله !

وقد سمعت منه أن السلطان ألح عليه فى إبعاد عثمان مرتضى^(٩٣) من القطر المصرى . وطلب أيضاً جاد شوقى ومن يدعى ساتو^(٩٤) ، وبعض موظفى الخاصة ، بعله كونهم يتآمرون عليه ، ويروجون عند الناس تعيين عباس باشا .

[ص ١٢١٣]

وقد نشر جورنال دى كير ، بتاريخ ٢٩ الجارى أى ٢٩ يوليو ، أن السلطة نفت هؤلاء ، وزادت عليهم حافظ عوض ، وإسماعيل أباطة —

(٨٨) هنا يؤكد سعد زغلول ضرورة الفصل بين السلطة التنفيذية والسلطة القضائية .

(٩١) المسند يعنى المنصب ، فيقال : مسند الخديوية ، أى منصب الخديوية .

(٩٢) مصر هنا تعنى « القاهرة » .

(٩٣) عثمان مرتضى ، السر تشرىفات الخديوى .

(٩٤) قراءة تقريبيه .

٢١٢٥

ولكن هذا الخبر لم يثبت بعد . وعلى كل حال ، فمهما كان من فساد أخلاق هؤلاء ، فإن الحكومة تكون ملومة إذا عملت على إبعادهم من غير أن يكون لديها ما يبرر هذا الإبعاد^(٩٥) ولا أظن ذلك ، لأنها تعودت التآني في هذا الأمر ، وشدة الإحتياط .

٣١ يوليو سنة ١٩١٥

لا يشغل فكرى منذ شهر ما يؤلم ، ولا يرد على خاطرى ما يزعج ، ولا يتعاقب على نفسى ما يقلقها من الشعور والإحساس . ولكنى مشغول بغير ما كنت من قبل مشغولا به ، وهو الميل إلى محادثة النساء ، ومغازلتهم ! وكلما نظرت إلى مليحة تأثرت بملاحظتها ، وملكنى شئ من الميل إليها ، [ص ١٢١٤] وكلما خلوت بنفسى رأيتها لا تشعر إلا بهذه الشهوة ! أفهذا عرض من الأعراض ، أو مرض من الأمراض ، أو حال من أحوال الشيخوخة ؟ لا أدري ! ولكن يلزم معرفته^(٩٦) !

(٩٥) ربما كان هذا التعليق من جانب سعد زغلول على ابعاد إسماعيل أباطة باشا ، وادانته للحكومة لابعاده ، مما يصور جانباً من جوانب هذه الشخصية ، وهى كراهته للظلم حتى ولو لحق عدوا له ، وهو يختلف بذلك عن كثيرين ، الذين يشمتون فى أعدائهم إذا لحق بهم أى ضرر . لقد كانت الخصومة بين سعد زغلول وإسماعيل أباطة شديدة ، وبلغت ذروتها فى أعقاب استقالة سعد زغلول ، حين لعب إسماعيل أباطة دور غلب القط للخديوى ، وهاجم زغلول على نحو لم يملك معه سعد سوى مقاضاته ، وشغلت القضية الرأى العام ، وسببت لسعد زغلول كثيرا من الآلام . ولكنه لم يقبل ابعاد الحكومة لإسماعيل أباطة عن غير مبرر . وقد كان الابعاد لمديريته .

(٩٦) هذا نص فريد ! لأن سعد زغلول لم يسبق أن أبدى هذا الاهتمام بالمرأة ، طوال صعوده إلى السلطة ، أو طوال تعلقه بالمنصب الحكومى أو النيابة عن الأمة . وفيما يبدو أن السبب فى ذلك هو الفراغ والبطالة أيام الحرب العالمية الأولى

يوم أول أغسطس سنة ٩١٥

لم يحدث فيه ما يستحق الاثبات .

يوم الاثنين ١٠ أغسطس سنة ٩١٥

حضر عندي في نحو الساعة ١١ مساء الشيخ ناجي ، رئيس المحكمة العليا ، وقال إنه عقب دخول رمضان ، كتب تقريراً إلى عظمة السلطان في شأن عدم ثبوت كون أول رمضان الثلاث ! ورجا أن لا يؤمر بإطلاق المدافع إيدانا بإقبال العيد ، بالنهار ، بل ينبغي الانتظار إلى ما بعد الرؤية والاثبات . فلم يجب على هذا من المعية ، وأرسل إليه شكري باشا ، وكيل الحقانية ، فحادثه في الأمر ، وطلب منه ألا يتثبت فيه^(٩٧) . ثم قال لي إنه نبه عليه أن يجلس لغروب اليوم . فجلس ، ولم يثبت شيئاً ! [ص ١٢١٥] وتنبه عليه أن لا يجلس غداً . وإنه حائر في أمره !

قلت له : الأولى الامتثال لما أمرت به ، وإذا شئت أن تعمل بعلمك في خاصة نفسك ، فلا جناح عليك .

قال : إني لا أقدر أن أذهب إلى إسكندرية ، ولا أن أرسل تلغرافاً للتهنئة ، خوفاً من أن يكون هذا إقراراً على أن العيد يوم الأربعاء ! قلت : الأولى لك أن تذهب إلى إسكندرية ، حتى لا يقال إنك

(٩٧) وقد تقرأ «اللا يتثبت منه» ، ويكتب سعد لفظ «ألا» في صورة «أن

مخالف ! وإذا رأيت — بعد أن تكون هناك — أن لا تذهب إلى السراى ، فافعل ، من غير أن تظهر للناس أن امتناعك للمخالفة ^(٩٨) .

ولقد ذهبت في اليوم التالى مساء إلى إسكندرية ، وتوجهت في الساعة التاسعة مع عاطف إلى رشدى باشا فى الرمل ، فأينا عنده عدلى ولما استقربنا المقام ، أخذ يقص علينا ما كان من نتائج التحقيق فى حادثة القنبلة . وفهمت منه أن شاباً يدعى إبراهيم صالح ، أرشد عن أناس يؤلفون جمعية تسمى جمعية الرابطة الإسلامية ، وسئل بعضهم وأبقى سؤال البعض إلى غد . وعند الانصراف تعرف [ص ١٢١٦] صادق ، المزين الذى كان واسطة فى إستئجار البيت الذى أُلقيت القنبلة منه ، من بين ^(٩٩) الذين سبق سؤالهم ، على شاب من تلامذة مدرسة التجارة ، يدعى محمد شمس الدين ، وقال إنه هو الذى إستأجر ذلك المنزل ، وكتب العقد بخطه . ووافق على هذا التعرف كل من صبيه ومالك البيت . وأظهرت المضاهاة أن خط العقد خطه . وأنكر ذهابه إلى اسكندرية من ثلاث سنوات ، فثبت أنه كان فيها فى التاريخ الذى أُلقيت القنبلة فيه ، وأنه كان ضيفاً عند أحد التجار . وأنكر هو معرفته ذلك

(٩٨) واضح أن سعد زغلول كان يساير الشيخ ناجى ، وأنه غير مقتنع برأيه ، والقضية هى قضية الخلاف بين مدرسة ضرورة ثبوت الرؤية بالعين المجردة ومدرسة الاكتفاء بالحسابات الفلكية . وقد أعلنت الدولة بداية شهر رمضان يوم الثلاثاء بناء على الحساب الفلكى ، ولكن الشيخ ناجى كان يصصر على الرؤية بالعين ! وحتى يسكته وكيل الداخلية ، طلب منه الجلوس للغروب للثبوت من رؤية الهلال بعينه ، فلما أعلن أنه لم ير شيئاً ، لم يسمح له بالجلوس للغروب فى اليوم التالى لمحاولة الرؤية من جديد ، لأن بداية رمضان تكون قد ثبتت يوم الثلاثاء .

(٩٩) أضيفت « من بين » ، وحذفنا : « فتعرف من بينهم » لسلاسة العبارة

التاجر ، ولكن ثبت عليه معرفته بخطاب شكر ، أرسله إليه عقب إنتهاء الضيافة ووصوله إلى بلده . وقد كذب في كثير من الأقوال التي أبدأها كما تبين من تحقيقها .

ووصل إلىّ خبر هذا الإكتشاف بالتليفون بواسطة سعيد بيك زغلول ، ثم تأكدته من رشدى باشا وعدلى باشا بالتليفون أيضا ، وذهبت إلى إسكندرية يوم ١١ كما سبق البيان .

بعد أن انتهى رشدى باشا من هذه القصة ، إنتقل إلى قصة أخرى ، وهى أن الحكومة دست ضابطين إنكليزى ورومى بين الأسرى الأتراك ، فأوهماهم أنها المانيان ، ولكن قصدهما أن يثبتا للحكومة أنها روسيان ، حتى تحسن معاملتهما ، وتخلي سبيلهما ، وأنها توصلا إلى هذا الإثبات . (ص ١٢١٧) واقتنعت الحكومة بروسيتهما وأخلت - بناءً على ذلك - جانبيهما .

فهذان الضابطان ترددا بين (١٠٠) بعض أسرى الأتراك الذين هم من أصل مصرى . ولهم أقارب ومعارف بالمنصورة . وأخذوا يوصلان رسائل بين الفريقين .

ويتضح من هذه المراسلة أن جماعة من المنصورة عقدوا النية على أن يساعدوا الأتراك عند دخولهم مصر ، بإحداث الشغب فيها ، بأن يتوجه منهم جماعة إلى كل مديرية ، ليثبوا الهياج فيها ، ويكسروا الكبارى ، ويقطعوا طرق المواصلات . وأنهم مستعدون للقيام بهذه الأعمال ، متى حضرت إليهم الأسلحة - التى كانوا يعبرون عنها بأنها كتب فى رسائلهم !

(١٠٠) أضيفت : « بين » .

٢١٢٩

وكانوا صمموا على أن يعقدوا إجتماعاً هائلاً في إسكندرية ، يضم إليه كل أعضاء حزبهم أو أغلبهم ، ليقروا الخطة التي يجرون عليها في تنفيذ قصدهم . ولكن بوليس المنصورة - الذي لم يكن له علم بصفة هاتين الضابطتين الرسميتين - إرتاب في حركاتهم الظاهرية ، وألقى القبض على أحدهما ! وترتب على ذلك أن امتنع هذا الإجتماع .

ولقد قالوا - أى الضابطان - إنهما علما من جماعة المنصورة أن وراءهما أناساً من الأعيان الكبار ، وذكروا لهما أسماء مكباتى بيك ، وغيره من الأعيان ، [ص ١٢١٨] وبعض الموظفين . قالت الجماعة لهما ذلك ، بعدما قالوا لها : إننا نرى أنكم صغار على هذه الأعمال ! فقالوا : ولكن لنا رفاق من الكبار !

وكان رشدى يلقى هذه العبارة وهو يبدى السرور من وقوف الحكومة عليها ، ويعجب باكتشافها ، ويلعن بوليس الدقهلية لتسرع في القبض على أحد الضابطتين ، وبوليس مصر لأنه لم يخبر إدارة المنصورة بمهمة هؤلاء الجواسيس .

وقد نبه على عاطف - أكثر من مرة - أن لا يتكلم بشيء من هذه الأسرار في الخارج . ثم ركبنا نحن الثلاثة معا إلى سراى رأس التين ، في أتومبيل رشدى باشا ، وكان مضاء ، وبعد قليل من الخطوات أطفأ عدلى النور ، فقلت : الخوف فعلت هذا ؟ لا تخافا إني معكما ! ولكن يظهر أنه فعل هذا حتى لا يرى راكبا معنا^(١٠٠) والله أعلم !

ولقد وصلنا إلى سراى رأس التين في نحو الساعة ١٠ ، ورأينا فيها إبراهيم فتحى باشا ، فدخل صاحباى ، وتحلفت . وبعد برهة أذن لى بالدخول ، فتمنعت ، لأنى لم أكن لابساً « ردنكوت »^(١٠١) فقال لى محمود

(١٠٠) م) قراءة تقريبية .

(١٠١) يقصد : ردنكوت ، Redingote وهى السترة السوداء الطويلة

لمقابلات الرسمية فى ذلك الحين .

٢١٣٠

شكرى : ادخل ! إن الإمتثال خير من الإلحاح ! فدخلت ، واعتذرت عن عدم الإستعداد .

وجلست أمام السلطان ، وأخذنا نتجاذب أطراف الحديث فيما كان من أمر ذلك الأثيم ، الذى ثبت استتجاره للبيت [ص ١٢١٩] ثم انتقل الكلام إلى الحزب الوطنى ورجاله ، فقال رشدى ما معناه : إنه يلزم التشديد على هؤلاء الرجال وإبعادهم ، لأن صغار الأحلام يتشجعون — بوجودهم — على ارتكاب ما يخل بالنظام العام . وأخذ السلطان يضرب على هذه النعمة ويندد بالأمة وأفرادها . وكان متأثرا .

فقلت له : يا مولاي ! إن الأمة لا ذنب عليها ، فيما يبدو من السخط منها ، لأن عظمتكم كنتم تعلمون منها هذا الشعور ، ولذلك أردتم إرضاءه بالحصول على شيء من مساعيها قبل توليكم . وسعيتم لذلك جهدكم مدة أربعين يوما !

وما كدت أتى على آخر هذه الجملة ، حتى أخذته الحدة ، وقاطعنى قائلاً : إنه لا يمكننى بحال من الأحوال أن أعبر عن أفكار وآراء الحزب الوطنى ، ولا أن أنضم إلى مطالبه ! فهذه فئة باغية ، وإذا كنت تريد أن تخوض فى هذا الموضوع فلا أريده ! ودخل فى موضوع آخر ! وأتخيل أن عدلى قال — أثناء ذلك — كلاماً يؤيد قولى من بعيد .

ولا أحفظ من هذه الجلسة إلا تأثرى من حالة السلطان ، وخصوصاً من حالة رشدى باشا ، لأننى رأيت منه ميلاً للتشديد على الناس . [ص ١٢٢٠] وخرجت ساخطاً .

وبعد ذلك تقابلت مع عدلى فى الكلوب يوم العيد ، حيث كان مدعواً إلى وليمة فيه من رشدى مع إبراهيم فتحى وبعض الإنكليز ، ومنهم ليدى مكسويل ، فحضرت هى دون بقية الإنكليز .

٢١٣١

وفهمت من عدلى أنه غير موافق لكل الشدة التى ظهرت من
رشدى ، وقال إنه لم يطلعه على الكشف الأخير .

فرجوته كثيرا أن يتأمل فى الأمر ، وأن يلطف من حدة رشدى باشا ،
ومن غضب السلطان ، لأن الإسترسال فيها مضر بالناس ، وبسمعة
الحكومة ، ومخالفا لما يريد عظمة السلطان من استمالة الناس إليه .

وقلت له : إني أخشى أن تكون مسألة المنصورة مصطنعة ، لأنى
لا أصدق أن رجلا فيه من العقل قلة ، يذهب إلى تكدير الراحة بمثل هذه
الصغائر !

ولم يعجبني منه أنه كان يتلقى كلامى ببرود ، ويتبرم من أكثره ! ونظر
فى الساعة ، ثم قام فزعا قائلا : إن الوقت أزف ! وانصرفنا على برود
تام ، كأننا كنا متشاجرين !

ثم عدت إلى مصر ، وتردد على كثير من الناس ، ورأيتهم ساخطين
على الحكومة خطة الإزعاج والإرهاب التى سلكتها أخيرا ، وقيل لى إنها
ألقت القبض [ص ١٢٢١] على كثيرين . وأشاعوا القبض على كل
العظماء تقريبا ، حتى بعض النظار ، وبعض الوكلاء . فذكروا إسم عبد
الخالق ثروت ، وجعفر والى ، ثم اسم محمد سعيد ، ومظلوم ، وحسين
واصف ، ومصطفى ماهر ، وعلى شعراوى ، وإبراهيم سعيد ، وسعيد
زغلول ، وغيرهم وغيرهم ! ويظهر لى أن كل واحد ظن أنه إن لم يقبض
عليه فعلا ، فلا يبعد أن يقبض عليه بعد ذلك !

وهكذا اضطربت القلوب ، وانكسرت النفوس أيا اضطراب وأيا
إنكسار .

وتصادف أن صدقى بىك أراد السفر إلى إسكندرية ، فرجوته أن يكلم
رشدى باشا - من قبلى - بالإسراع فى إنهاء مسألة المكباتى ومحرم رستم

١٨٣

مبكراً ، إن لم يكن هناك ما يوجب إدانتها . فلما وصل إليها ، وجد بالنزل الذي نزل فيه رشدي ، فبلغه الرسالة ، فقال له : إن المسئلة أصبحت في يد النيابة ، ولا عمل له فيها ! مع أنه لم يُحل على النيابة إلا الأول دون الثاني !

وفي يوم الثلاثاء ١٧ أغسطس ، حضر عندي عباس الدرملی^(١٠٢) ، الأمين الثاني ، [ص ١٢٢٢] وجلس أمامي على الكرسي الكبير ، وعلامات الكتابة بادية عليه . ثم إنتقل إلى كرسي آخر بجنبي ، وتلمظت شفاته ، وارتعشت نوعاً ! ثم قلت : هات ما عندك ! وشعرت بأن الأمر غير سار . فقال : إن عظمة السلطان يبلغك السلام ، وقد اتصل به أنك تسعى آناء الليل وأطراف النهار لأجل تخليص المكبات من التهمة التي سجن فيها ، وقد علم^(١٠٣) عظمته بذلك من جماعة من الأوروبيين أحاطوه به في الصباح ، وآخرين^(١٠٤) في المساء .

فأكدت له أولاً أني لم أتكلم في شأن المكبات مع أي أوروبايوى ولا أمامه ، ولم أرجو في شأنه أحداً من أرباب السلطة إلا رشدي باشا ، حيث كلفت صدقي بيك أن يقول له عن لساني . الخ . وعلى ذلك إذا أنا كنت مقتنعاً ببراءة أحد المتهمين ، فلا جناح عليّ أن أسعى إليه ! ثم قلت له^(١٠٥) : إرجع إلى ربك ، وارفع إلى أعتابه إحتراماتي ، وما سمعت مني ، وسأحضر أنا بنفسى غداً في الساعة ١١ ، وأعرض على مسامعه الشريفة هذه القصة . فانصرف .

(١٠٢) في الأصل : « الدرملی » .

(١٠٣) في الأصل : « وعلم » .

(١٠٤) في الأصل : « وآخرون » .

(١٠٥) أضفتنا : « ثم قلت له » لتوضيح العبارة .

٢١٣٣

وذهبت إلى رأس التين في الغد ، فوجدت فتح الله بركات وأخاه عاطف ، عند سعيد باشا ذى الفقار . فجلست معها مقدار ثلث ساعة . وكان عند السلطان البرنسان فؤاد وكمال . وبعد انصرافهما ، إستدعى فتح الله وعاطف [ص ١٢٢٣] إلى عظمته ، ومكثا لديه أربعين دقيقة تقريباً . وبعد ذلك خرجا ، وأدخلت ، وكان المؤذن يؤذن الظهر ، فقال : قدِمت ساعة الأذان ! فلم أسمع جيداً ، فكررها ! . فقلت : فأل حسن ! ولكننى كنت شديد الإنفعال .

ثم طأطأ برأسه بين ركبتيه وهو جالس على أتيليه ، وقال : ثم ماذا ؟ قلت : مولاي ! حضر عندى عباس بيك الدرمللى ، وبلغنى رسالة عظمتكم التى هى . . . وحكيته . وهو مطرق . ولما انتهيت إلى آخرها ، قلت : فاستغربت ذلك جداً ! قال : استغربت ! قلت : جداً ! لأن السعى فى تبرئة متهم يعتقد الساعى براءته ليست جريمة . ولأنى ما سعت إلا على طريقة بسيطة جداً ، ولأن المكبات من الجمعية التشريعية ، التى أنا وكيلها ، ولى به معرفة ، وعلمت أنه سجين ، فأردت أن لا يطول السجن عليه إن لم يكن فى أوراقه ما يدينه . وما سعت إلا عند رشدى ، لأنه صديقى ولا أدري لماذا غضب من هذا السعى ؟ فقال إنه لم يغضب ، لأنه صاحبك .

ثم أخذ يتألم من أحوال الناس ، وفساد [ص ١٢٢٤] أخلاقهم . وتبرأ من القبض على الناس ، ويقول إن هذا شغل الحكومة .

قلت : إن الإنجليز ، وفى مقدمتهم مكسويل ، يؤكدون للساعين لديهم أنه لا دخل لهم فى هذه المسائل ، وأن الأمر فيها بين عظمتكم ورشدى باشا ! ولقد كان الناس - قبل الأسابيع الثلاثة الأخيرة - فى أمان واطمئنان ، يدعون للسلطان بالعز والتأييد ، ولوزارته بالعمر

المديد ، ولكن ما حصل أخيرا أوقع الرعب في قلوبهم ، وسلب الراحة عنهم ، ومكن الاضطراب من نفوسهم ، فلم يبق واحد إلا قيل عنه : مقبوض عليه ! ولم يبق واحد لم يظن في نفسه أنه موضوع القبض والاضطهاد ، وحرية معلقة بكلمة يقولها جاسوس أو نمام !

ولا ينبغي لمولاي أن يغضب من الأمة بتمامها ، لعمل بعض سفهائها ! ولو كان للعقلاء طريق لإظهار أفكارهم ، وماتكنه صدورهم ، لرأيت منهم ما يسرك ويشرح صدرك . ولهذا كان من اللازم أن تنعقد الجمعية التشريعية ، حتى يعبر نواب الأمة عن آراء العقلاء الذين يمثلونهم في مثل هذه الحوادث .

[ص ١٢٢٥]

فلم يحسن وقع هذا الكلام لديه — اللهم إلا قليلاً !

وجاء في كلامي أيضا أن قلت له : إنهم يشيعون أن عظمتكم صرحتم بأنكم قطعتم عن الأمة يد إحسانكم ، وبسطتم لها يد الانتقام ! وما عهدناكم منتقمين ! وما عرفنا فيكم إلا الإحسان !

ولا يمكنني أن أسرد كل ما قال وقلت بالتفصيل ، لأن ذلك صعب جدا . وقد انصرفت في نحو الساعة واحدة وربع . ولكنني انصرفت غير مسرور ولا مثنون ، إذ لم أشعر بارتياح تام لكلامي .

ثم ذهبت إلى رشدي في نحو الساعة الرابعة ، وقصصت عليه ما دار من الحديث بيني وبين السلطان ، ولته أشد اللوم على ما أبدى من الشدة في القبض على الناس . وكان يؤيد القبض على تلامذة الحقوق ، وبعض رجال الحزب الوطني ، بأنه يلزم إبعادهم اتقاء من شرهم !

٢١٣٥

فاستغربت هذا الكلام منه ! لأئني ، وإن لم أكن من رجال هذا الحزب ، وكان [ص ١٢٢٦] في أول نهضته ضدى ، وكثيرا ما طعنت على جرائده من نفسها تارة ، وباغراء الخديوى عباس تارة — ولكنى لا أميل إلى الظلم ، وأمقت فاعليه ، ولو كانوا من أخص أصدقائى ، والظالمون^(١٠٥) من أشد أعدائى ، حتى أبدت صادق أسفى عندما علمت أن أباطة قبض عليه وأبعد ، لا لسبب سوى انتهائه للخديوى عباس — فقلت : هذا ظلم لا يرضى الله .

وبناء على هذا المبدأ ، شددت النكير على رشدى ، خصوصا عندما رأيت منه الميل إلى اعتقال أربعة عشر تلميذا من مدرسة الحقوق ، الذين سبق رفتهم لعدم حضورهم المدرسة يوم تشریف السلطان !

وقلت له : لا ينبغى من رشدى ، وهو رجل الحق وأستاذه ، أن يتذرع لإيذاء^(١٠٦) الناس بهذه الذرائع ، وأن يؤيد ظلمهم بهذه الوسائل . إنى أؤكد لك أن المصريين هادئون ، ولا يرفعون فى وجه الحكومة سلاحاً أصلاً ، ولكنى أؤكد لك أنهم يزينون بيوتهم إذا انتصرت تركيا ! للعلاقة الدينية . [ص ١٢٢٧] ولا ينبغى أن يؤخذ الناس على ما يعتقدون ، أو يتصورون ، بل على ما يعملون من ضرر .

وأمام الحكومة طريقة من أحسن الطرق وأفيدها فى تأييد الأمن ، مع عدم الإخلال براحة الناس ، وهى أن تستحضر كل من وقعت عليه ريبة ، وتنذره بأن يقلع عن عمل الريبة ، فإن فعل نجا ، وإلا حقت عليه كلمة العقاب . ذلك أبلغ فى الردع ، وأحفظ لكرامة الناس ، وأبعد عن سوء الظن بالحكومة .

وإنى أؤكد لك أن مثل هذا الإنذار لا يخالف إلا قليلا ، لأن الناس

(١٠٥) م) فى الأصل : والمظلمون .

(١٠٦) فى الأصل : لاذاءة .

٢١٣٦

يعلمون الآن علماً تاماً أن للحكومة الآن عليهم قوة الإحياء والإماتة ،
والسعادة والشقاء ، فلا يجراون على مخالفة أوامرها ، ولا يتجاسرون على
الإنحراف عن جادتها .

فقال : حقيقة إن ذلك أولى . ثم تركته ، وإنصرفت . وصادفت
ببابه عند الإنصراف مدحت سامى ومحمود رستم ، فبشرتهما بالإفراج
عنها .

[ص ١٢٢٨]

ومضيت إلى عدلى ، فقصصت عليه كل ما تقدم ، ورجوته فى أن
أن لا يتقدم على طريق الخفة^(١٠٧) ، ولا يجرى فى طريق الإرهاق ، وأن
يستعمل مارزق من أحسن أسلوب فى إرجاع رشدى عن الشدة ، لأن
ذلك يفقد الوزارة المزية التى كانت لها فى قلوب الناس ، وهى مزية
الإعتدال ، وعدم الميل إلى الإضرار بالعباد .
ورأيت منه أنه غير متفق مع رشدى فى بعض النقط ، كالقبض على
التلامذة مثلاً (إن كانت ذاكرتى جيدة) .

وقد عدت إلى مصر ، بعد أن تقابلت مع على شعراوى ومحمد
محمود ، وقلت لهما طرفاً مما تقدم ، ورأيت منهما نوعاً من الإحتياط فى
القول . وكنت منفعلاً مما سمعت من حديث القبض على الناس لأوهى
الأسباب ، ومن ميل ولاية الأمور إلى الشدة ، والقدح فى حق المحكومين
بهم ، وكأنى بهم يريدون أن يحللو^(٢٠٧) شلتهم بالسخط على الأمة ،
والطعن فى أخلاقها !

(١٠٧) هكذا تقرأ بصعوبة بالغة ، والمعنى ألا يخفف من محاولاته مع رشدى باشا
أكثر من اللازم .
(٢١٠٧) وقد تقرأ : « يعللوا » .

[ص ١٢٢٩]

وأنى أفهم هذا الطعن من الأجانب ، لأن لهم أمة يفتخرون بالانتساب إليها ، وإنما تفوق غيرها من الأمم ، ولكن إذا طعنت على أمتي فبمن أفتخر ؟ وقد دخلت في عموم طعني !

ورأيت أن الأحسن أن أبتعد بضعة أيام عن القاهرة . فذهبت إلى مسجد وصيف ، وأقمت بها ثلاثة أيام ، لا أفتكر إلا في الزراعة والعمارة ، ولا أتحدث إلا في شئونها !

ثم عدت أمس ٢٥ أغسطس ، وعلمت في الطريق من بعض الناس ومن الجرائد ، أن المكبات قد أخلى سبيله . فسررت بذلك . وأخبرني ثقة أن النيابة لم تجد أثراً للتهمة عليه ، ولم توجه إليه سؤالاً يتعلق بها . ومن الغريب أنها سألته : ما هي تهمته ؟ فلم يقدر بالطبيعة أن يقول شيئاً عنها !

وقد حضر عندي بعد ذلك ، وأخبرني أنه لم يكن يشتغل في المدة السابقة إلا بالزراعة وشؤونها ، وأنه أهين في السجن ، [ص ١٢٣٠] ووضع في حبس الإنفراد نحو الخمسة أيام ، ولم يسأله النائب العمومي إلا عما إذا كان يعرف شخصين : أحدهما أجنبي ، والثاني وطني ؟ وكان لا يعرفهما ، فقال : إنه لا يعرفهما ، فأفرج عنه !

وقد^(١٠٩) أشار عليه أن يقابل رشدي ، فقال هذا إليه : إنه يتأسف لهذه الحادثة ، وإن حقيقة تهمته أن ضابطاً من الأسرى الذين جاءوا في الجيش التركي من جهة الشام ، استعمل بصفة مخبر ، وتردد بين جماعة من المساجين المصريين والضباط الأتراك الأسرى ، وكان يحمل كتابات من

(١٠٩) أضفنا « وقد » لبداية الفقرة .

بعضهم لبعض ، تتعلق بمساعدة الأتراك عند دخولهم مصر ، بقطع السكك الحديدية ، ونسف الكبارى ، وتبييع الأهالي ، ودعوتهم للثورة . وأن بعض هؤلاء قالوا له ، عندما أفهمهم بخطورة هذا المشروع ، وأنهم أصغر شأننا من أن يقوموا به : إن من ورائهم رؤساء كبارا يصح الإعتماد عليهم ! وذكر له جملة أسماء ، من بينهم المكباتى !

قال رشدى باشا : ولكن ظهر كذب هذا الراوى ، لأنه أختفى من بضعة أيام ، ولم تقف الحكومة له على أثر ! ولذلك رأينا الإفراج عن الذين اتهمهم ! وكرر تأسفه ، وأشار إليه بالتوجه إلى المعية فيتشكر .

وهم بالإنصراف ، ولكن قبل خروجه دخل خادم بكارى قيزيت ،^(١١٠) فاستمهلته ، وأشار له أن صاحب هذا الكرت يتهمك ، وهو فلان من السوريين ! فقال : إني أعرفه ، وبينى وبينه قضايا ، حكم فى ثلاثة منها ضده ! فقال : إذهب أنت فإننا لا نعوّل على قوله .

[ص ١٢٣١]

وفهمت منه أنه لم يذهب إلى السلطان ، لأنه أراد أن يستأذن قبلا منه ، وينظر فيما إذا كان يقبله . فوسط ماهر قريبه ، فأذن السلطان بالمقابلة . فقلت : إذن تجب المبادرة إليها . فذهب إلى إسكندرية ، وعاد بعد بضعة أيام ، مخبراً بأن السلطان لم يأذن بمقابلته ، ووعد بها ! فقلت : مع ذلك تردد^(١١٢) ! لأن غضب الملوك لا بد أن يقابل

(١١٠) أى بطاقة زيارة . وفى الأصل : « بكرته فيزته » وقد قرئت بصعوبة بالغة .

(١١٢) أى تردد على السلطان .

بالرضا والإستعطاف ! خصوصاً وأن الإسترضاء يستميل السلطان الحالى ، لأنه يغلب الكرم على طبعه .

فى مساء ٥ سبتمبر ، حضر عندى^(١١٣) حمد باشا الباسل مع المكباتى بيك ، وكان حاضراً^(١١٤) عاطف وصدقى ، وأخذنا نتكلم فى مسألة المكباتى ، ووجوب ترده على السلطان حتى يقبله .

فقال : ولكن علمنا الليلة بحادث فظيع ، أخبرنا به حمد باشا ! فقال هذا : نعم ، وهو أن إبراهيم باشا فتحى أصيب فى المحطة بجروح بالغة ، فإن شاباً موظفاً بصفة عداد فى المالية ، فاجأه وهو حاضر من الإسكندرية ، بطعنه بالسكين فى كتفه وفى وجهه . فأطلق عليه عياراً نارياً ولم يصبه ، ثم سقط إلى الأرض ، وقبض على الجانى ، ولم تُعلم أسباب الجناية !

فقلت : أرجو أن لا يكون سببها سياسياً ، لأن ذلك يضرّ بالبلاد ضرراً عظيماً . فأمن الحاضرون على ذلك .

[ص ١٢٣٢]

قلت : ولكن ظروف المكان والزمان ، التى وقعت الحادثة فيها ، تدل على أنها سياسية ، لأن القاتل أراد أن يعلن عن نفسه .

ثم أجمع الكل على التأسف لمصاب الجريح ، لأنه طيب القلب ، ولا يسىء لأحد ، ومحضره خير ! وفى الصباح ، زرت منزله ، فعلمت أن حالته حسنة ، وأنه لا خطر عليه — كما أخبرنى الدكتور على لبيب الذى تولى علاجه .

(١١٣) فى الأصل : « عند » .

(١١٤) فى الأصل : « حاضر » .

وقد نشرت الجرائد خبر الحادثة ، ولكنها لم تشر إلى سببها بكلمة واحدة . وذهبت إلى الكلوب بنية أن أتلاقى فيه مع الوزراء الذين حضروا لهذه الحادثة ، فوجدت رشدى وعدلى . وأخبرنى الأخير بأنه مر علىّ في البيت ولم يجدنى . قلت : إني حضرت من تلقاء نفسى بقصد مقابلتكم .

ولما قدمت ، كان رشدى على طاولته مع سيسل وبعض الإنكليز ، فقام ضاحكاً يقول : سعد ! إن الإجتماع بنا في هذه الظروف خطراً ! قلت : إني أحميكم !

وكان يظهر الإستخفاف ، ولكن عدلى كان مأخوذاً ومهموماً جداً . فتبادلنا بعض عبارات الأسف على هذا الحادث وأمثاله .

وفهمت من رشدى أن المستشار تأسف ، عقب وصول خبر الحادثة إليه ، على إطلاق المكبات !

وأخذنا نبحث عن علاج هذه الحالة التى امتدت وانتشرت ، ولكننا — بالطبع — لم نهتد لشيء مفيد . وانصرف رشدى ، وبقيت مع عدلى إلى الساعة الرابعة .

وأرسل إليه نتيجة التحقيق ليحملها إلى غظمة السلطان ، فقرأها علىّ ، وفهمت منها أن الجاني شاب من حملة الكفاءة^(١١٥) ، موظف في المالية ، ولكنه يشتغل بصفة عداد في تفتيش الرى ، سنه ٢٥ ، [ص ١٢٣٣] قال إنه ارتكب هذه الجناية بسبب كون المجنى عليه أرشد عن إبراهيم صالح ، الذى اتهم (الجماعة) المسجونين ، وبسبب كونه هو الذى وضع الخطط الحربية في القنال . ولما طعنته ، هربت لأقتل رشدى باشا السافل ، وعبد الخالق الخائن ! وكان في عزمى أيضاً أن أقتل

(١١٥) شهادة تعادل الصف الثانى الثانوى .

مكماهون . وإني اختلست ثمانمائة جنيه وصرفتها على المحتاجين !

وقال لعبد الخالق : إنه لابد من قتلك ! وإنك لا تتم هذا التحقيق قبل أن تقتل ! وقال : إننا نعلم أنك بائت الليلة في مصر^(١١٦) : ولم يرد أن يدل على مصدر علمه ، مع أن عبد الخالق لم يكن صمم على البيات إلا بعد الظهر ! وقال : إنه لا يجيب على مثل هذا السؤال ، وإن كل مصرى متشبع بفكرته حتى نفس وكيل النيابة ! ويعبر عن السلطان « بحسين الخائن » ! وأن رشدى إستحق القتل للقبض على الناس ، وإعانتة حسين الخائن ، وقوله إننا سنضرب الأمة في شبانها !

وقد أخبرنى^(١١٧) رشدى بأنه في غاية الوقاحة والتفاهة ! وقد طال الحديث بينى وبين عدلى في هذه الروح التى انبثت في الشبيبة ، ولا يعود منها إلا الضرر ، وفهمت منه أن بعض إخوانه يتخذون منها حجة لحرمان البلاد من التمتع ببعض مزايا الحكم الذاق !

قلت : إنه ليس في وقوع هذه الحادثة في الظروف التى تمت فيها ، حجة لهم ، بل بالعكس ! لأنهم مهما بالغوا في تقييد الحرية ، لا يمكنهم أن يؤسسوا نظاماً يكون أبلغ من الأحكام العرفية في تقييدها ! وقد حدثت ثلاث حوادث تحت الحكم العرفى ! [ص ١٢٣٤] ووقعت بعض حوادث أخرى بعد تقييد حرية الصحافة ! ولكن لم يحدث قبل هذا التاريخ شيء من ذلك ، مع أن الصحافة كانت حرة أكثر من اللازم !

وهذا طبعى ، لأن الحرية إذا كانت مطلقة للقلم واللسان ، كان كل من تضايق من أمر عمد إلى تنفيس ضيقه بكتابة ينشرها ، أو مقال يلقيه ، ويكتفى بذلك . ولكنه إذا وجد أمامه طريق الكتابة والقول

(١١٦) يقصد : في القاهرة .

(١١٧) نظراً لأن سعد أكمل ما ورد في المتن بسطر في الهامش ، فقد عدلنا وضع العبارة الأخيرة ، من أول « وقد أخبرنى رشدى » بحيث تأتى في نهاية الكلام .

مسدودا سهل عليه طريق الفعل ! ولهذا كان من وسائل علاج هذه الحالة عدم التضيق على الحريات .

فأظهر عدلى الموافقة على ذلك ، وقال : إن السلطان يريد شيئا كثيرا من الإنكليز ، وأن يعطوه سلطة أوسع ، ولكنه يطلب هذه السلطة لنفسه ! فإذا أمنا من جانبه سوء استعمال هذه السلطة ، فإننا لا نأمن أن يضطر إلى استعمالها في غير ما يريد ! وكذلك لا نأمن من يخلفه ! قلت : هذا حق . ولا معنى لأن الإنكليز يتنازلون عن سلطتهم لفرد ! لأنهم إذا شاءوا ذلك ، فلا يكون قصدهم إلا إرضاء الأمة ، لا شخص سلطانها !

قلنا هذا ، وأمثاله ، حتى أتت ساعة الوابور ، فانصرف إليه ، وانصرف إلى منزلى .

وقد لاقيت كثيرا من الناس ، وسألتهم عن أثر الحادثة فيهم وفي غيرهم ، فقالوا جميعا : إن أثرها سيء بالنسبة [ص ١٢٣٥] لشخص المعنى عليه (١١٧) ، لأن أكثر الناس يعرفونه بطيب القلب ، وسلامة النية ، والميل إلى الخير . ولكنهم غير مباليين بها من الوجهة العامة !

وقد سألت البعض عن العلاج ، الذى يستأصل هذا الداء الذى انتشر فى الشيبية ، وهو داء الفوضوية ؟ فمنهم من قال بوجوب إستعمال الشدة ، حتى تزهق هذه الروح وتموت فى صدور أصحابها . ولكنه لم يفسر معنى هذه الشدة ، ولم يبين كيفية إستعمالها ، ولا من تستعمل ضدهم ! ومنهم من قال : إن أنجع الوسائل فى قطع دابر هذا الفساد هو أمران : الأول ، فتح الدردنيل . والثانى ، إطلاق حرية الكتابة والقول إطلاقاً يناسب ظروف الأحوال .

قال : أما الأول ، فلأن وقوف الحلفاء أطم الدردنيل وقفة العاجز ،

(١١٧م) فى الأصل : الجانى ، ولكن السياق يشير إلى المعنى عليه .

مشجع للمتهوسين منا ، وملهب للحمية التي تغلى فى صدورهم . وأما الثانى ، فلأن تقييد الحرية يغذى ذلك التهوس ، ويبلغ به إلى حد الجنون .

ولأنى أميل إلى هذا رأى ، ولكن الشق الأول من العلاج ليس بيد الحكومة المصرية ! أما الثانى ، فهو من مقدراتها . وأرى من الخطأ العظيم جعل الشدة علاجاً للجنايات التى من هذا القبيل ، بل بالعكس إن هذه الشدة لا تزيدها إلا كثرة .

وفى ظنى أن نوع هذه الجنايات لا يوجد فى بلد ، إلا نتيجة للسلط العام الذى يقوم بنفس الجمهور على حكومته ، حيث يشتد [ص ١٢٣٦] انفعال النفوس العصبية ، ويخيل لها أنها إذا نفذت هذه الجناية أرضت الساخطين ، وجعلتهم يعجبون بفاعلها . إن لم يكن فى جهرهم ، ففى سرهم ! ولذلك يعرضون أنفسهم للخطر ليفوزوا بهذا الإعجاب .

فأحسن ما تفعله الحكومة لمعالجة هذا الفساد ، هو العمل على إرضاء الأمة ، بالنظر فى مصالحها ، وتحقيق ما هو حق ومفيد من آمالها . ومن الخطأ جدا إعتبار الأمة المصرية كمية مهمة ، وصرف النظر عن مراعاة إحساسها ، لأنها ابتدأت تشعر بوجودها ، وبحقها فى الحرية . ولا يمكن سلب هذا الشعور منها ، لقربها من الأمم الأوروبية ، واتصالها بها ، واختلاطها بالمتمدنين ! مما يغذى هذا الشعور دائما وينميه فيها .

ولو أن الإنكليز ، يعرض أن يعلنوا حمايتهم على مصر بعد إعلان الحرب ، - ساعدوا المصريين على نوال استقلالهم ، وعلى إنتخاب هذا السلطان بواسطة نوابهم ، للملأوا قلوب المصريين جبا وإخلاصاً لهم ، ولوجدوا - خصوصاً من الطبقة الراقية منهم - ميلاً حقيقياً لمعونتهم . ولكنهم استخفوا بآراء العقلاء ، وأدخلوا مصر تحت حمايتهم ، [ص

١٢٣٧] ولم يجعلوا للأمة صوتاً في هذا التغيير . ثم انتظروا أن تُصَفَّق الأمة إستحساناً لهم ! ويغضبون كلما^(١١٨) رأوا منها عكس ذلك ! ولو أنصفوا لخطأوا أنفسهم ، وعادوا باللوم على الذين حسنوا لهم هذه السياسة منا أو منهم .

ولقد سلكت الحكومة ، في هذه الأيام الأخيرة ، مسلك المستخف كل الإستخفاف بأمن الناس وحریتهم الشخصية ، وسوء الظن بهم . فألقت القبض على كثير منهم لأقل الشبهة ، وأزعجت عائلاتهم إزعاجاً شديداً ، ولم تسأل الكثير منهم عن تهمته إلا بعد أن أمضى الكثير من الأيام في السجن ، وبعضهم في سجن الأفراد ! وبعضهم لم يوجه المحقق له سؤالاً بتهمة معينة ! وقد منعت الجرائد من نشر أخبار القبض عليهم ، والإفراج عنهم ، وتركت بذلك سبيلاً واسعاً للإشاعات تدور على الألسن ، بالحق وبالباطل . ولم تشرك الأمة ، ولا أحداً من نوابها - لا رسمياً ولا غير رسمي - في عمل من أعمالها العامة ، بل استبدت بسائر الأعمال . فلا بدع أن يشتد سخط أمتها !

[ص ١٢٣٨]

نعم إن الظروف الحالية ظروف إستثنائية ، ومركز الحكومة دقيق فيها ، ولا يصح أن تطالب في هذه الأحوال بما تطالب به في الأحوال الاعتيادية ، بل لابد من أن تظهر بمظهر الشدة والبأس ، حتى تدفع كل شر ، ولا يقع أى مكروه ، وحتى تأمن على نفسها - خصوصاً من دسائس حزب الإتحاد والترقى ، الذى له إتصال برجال الحزب الوطنى ، ومن دسائس الخديوى ، الذى لابد أن يكون له أعوان ، يروجون مقاصده الفاسدة .

(١١٨) فى الأصل : « كل ما » .

ولكن كل ذلك لا يبيح لها إلا التشديد على أصحاب تلك الدشائس والفتن ، ومعاقبة من يثبت عليه ذلك منهم بالعقاب الصارم . ولكن ليس من ذلك القبض على الناس لأضعف الشبهات ، ثم إطالة السجن عليهم قبل سؤلهم ، كما حصل لكثيرين ! وليس منه أيضا مشاق القبض عليهم ، وإخفاء تهمهم على الجمهور !

كذلك^(١١٩) قبضوا على السبعة عشر تلميذا من مدرسة الحقوق ، الذين سبق الحكم عليهم بالطرد من المدرسة لتظاهروهم ، بالغياب عن المدرسة يوم أن زارها عظمة السلطان - لا لسبب آخر غير هذا السبب الذي عوقبوا عليه بالطرد ! [ص ١٢٣٩] فأوقع ذلك عند الناس . وقد رجوت رشدى باشا ، عندما أخبرنى بعزمه على القبض عليهم ، بأن لا يفعل ، فلم يرد الإصغاء .

وقد^(١٢٠) رجوته ، بعد ذلك ، فى واحد منهم ، وهو من يدعى إسماعيل حمدى ، أخو امرأة مصطفى بيك الباجورى ، الذى أنا وصى على أولاده ، فوعدنى خيرا وقال : إنه سيفرج عن جميعهم عند قرب إفتتاح المدارس ، وبمناسبة هذا الإفتتاح . وكان ذلك يوم الجمعة الماضى - أى ٣ سبتمبر - فى الكلوب الخديوى . فقلت : إذا لم يكن عليهم شىء ، فالأولى الإفراج عنهم قبل ذلك التاريخ . فقال : سأنظر فى ذلك !

ثم رجوته فى شخص يدعى حسين أفندى فهمى بهجت ، لا أعرفه . ولكن صدقنى بيك يعرفه ويعرف عائلته ، وفهمت منه انه برىء ، وأنه كان من الذين سعوا فى إنتخابى لقسم السيدة زينب . فقال رشدى

(١١٩) أضفنا : « كذلك » لإفادة إستمرار الكلام .

(١٢٠) أضفنا : « وقد » لبداية فقرة جديدة .

٢١٤٦

باشا : إن هذا الشاب اتهم أولاً بأنه ، وشخص آخر ، عندهما منشورات محرضة على الثورة ، فلم يوجد عنده شيء منها ، وما وجد عند صاحبه ، وظهر أنه ملفق عليه ! قلت : إذن فالإفراج عنه عدل ! قال : ولكنه من ضعاف العقول ، الذين يكثرون من الكلام ، وقد فاتني أن أنظر في شأنه لكثرة الأشغال ، وسأنظر فيه حالا . [ص ١٢٤٠] قلت : أشكرك سلفاً .

عما تقدم يثبت أن هناك إستخفافاً بالحرية الشخصية ، أزيد مما تقتضيه طبيعة الظروف الإستثنائية . والسبب فيه راجع إلى التسرع في العمل ، والتشتت في فكر رجال الحكومة ، وعدم معرفة القادرين فيهم لطبيعة الأهالي معرفة تامة .

وإن شديداً الأسف جداً لهذه الحالة : أولاً ، لما يترتب عليها من الضرر بالبلاد ، وثانياً ، لأن السلطان ورشدي باشا وعدلى باشا من أصدقائي ، وأود أن لا يكون على أيديهم إلا الخير العام . وقد كنت - قبل الآن مغتبطاً بهم وبسياستهم ، مفتخراً بما فيهم من ميل للخير ، وتأيد للعدل ، وبعد عن الشر . وكنت دائماً أقول للناقمين عليهم : احمداوا الله على الهيئة الحاضرة ! لو كان فينا غيرها ، لكثير الظلم ، وعم الفساد وساءت الأحوال . ولكنني عاجز الآن عن استعمال هذا اللسان .

(٧ سبتمبر سنة ١٩١٥)

بعد كتابة ما تقدم ، دق التليفون في نحو الساعة الواحدة من بعد ظهر يوم ٧ سبتمبر ، فوجدت البنداري المحامي قال : إن الدكتور حافظ عفيفي يريد مقابلتك ، لأن يبلغك رسالة من أمين الرافعي . فهل تسمح بذلك [ص ١٢٤١] قلت : إن كان الغرض السعي لأمين الرافعي ، فلا يمكنني مع الأسف أن أصنع له شيئاً ، لأنني عاجز عن ذلك . ثم قلت : ومع ذلك فليحضر الدكتور المذكور في الساعة تسعة مساءً .

١٩٨

٢١٤٧

قلت ذلك وقد أخذنى شيء من التردد والحذر ، وخشيت أن يُعد ذلك عند السلطة معاكسة لأعمالها ، لسابقة ما حصل فى مسألة المكباتى ! ولكنى لم أبال بهذا الشعور ، وقلت : لا شيء أن تقابل من يرجوك ، وتعلم منه ما يريد . فإن استطعت أن تسعى لخير فعلت ، وإلا اعتذرت .

ولكن أليس هذا الشعور عند هذا الأمر البسيط جدا ، من نتائج اضطراب الحالة العامة ، وعدم اطمئنان النفوس ؟

حضر البندارى ، ومعه الدكتور المشار إليه ، فى نحو الساعة التاسعة . وقال لى الأخير : إن أمين الرافعى يرجوك أن تتوسط له لدى رشدى ، لأن السجن أضناه ، وأبوه شيخ كبير .

قلت : إنه لا حيلة لى فى شأنه . ومع ذلك أفعل ما يقدرنى الله عليه ، وإن كانت قدرتى فى هذا الأمر محدودة ، وصارت المسألة صعبة بعد [ص ١٢٤٢] ما وقع لإبراهيم باشا فتحى ، فإن ذلك أثر ، ويؤثر ، تأثيرا سيئا لدى الحكومة .

قالا : إنها حادثة محزنة فى الواقع ، ولكن وقوعها فى أثناء سجن المذكور وغيره ، يدل على أنه لا دخل لهم فى الأمر .

قلت : نستعين بالله على إظهار الحق ، ونستمد منه العناية . ثم انصرفا بعد قليل من الزمان .

وقد كان حضر عندى على شعراوى باشا ، ومحمد على بك المحامى ، وصدقى بيك . وجرى الحديث فى المقبوض عليهم ، وما تأتى على ذلك من انزعاج الكثير ، وحادثة فتحى باشا ، وما لحق الناس من الأسف عليها . وكل أبدى فكره ، واتفق الجميع على استهجان جنائية المعتدى وسوء أثرها ، وعلى أن الحكومة تجاوزت حد الاعتدال فى القبض

على الناس ، ولكن على باشا شعراوى كان أقل اعتراضا على ذلك ، وأكثر اعتذارا عن رشدى باشا الذى يُنسب إليه الأمر فى هذا الخصوص .

وقد سافرت إلى العزبة صباحا - أى يوم الأربعاء ٩ من سبتمبر - وتقابلت فى السكة الحديد مع الدمرداش ، وأمين يحيى . وكان مسافرا معى محمد بيك يوسف .

وجرى الكلام فيما جرى عن هذين الموضوعين ، فقال أمين يحيى: إن حادثة فتحى ستؤخر الإصلاح المنوى ! قلت : لا يلزم أن تؤخر شيئا من ذلك ، لأن الأمة كلها تستقبح هذا الجرم ، [ص ١٢٤٣] وتلعن فاعله . ولا تزر وزارة ووزر أخرى ، ولا ينبغي أن تظلم أمة بتمامها لسفاهة ارتكبها بعض الجهلاء بها . ولكن الواجب أن يشدد العقاب على مثل هؤلاء الأثمة ، وأن تنظر الحكومة فى الإصلاح اللازم .

ثم علمت أن البرنس يوسف كمال فى القطار . فذهبت إليه ، وجلست معه حتى وصل القطار إلى بنها . وبعد ذلك انتقلت مع الدمرداش إلى السكة الضيقة ، فقال : يا باشا ، إنه يلزم أن لا تكلم مثل يحيى بمثل هذا الكلام لأنه يؤوله عنك ، ويرويه معكوسا ، فيحدث سوء الأثر !

قلت : يكون عليه وزر ما يؤول . ولا شيء فيما قلت يُحترس منه !

قال : وهل كان هناك شيء فى أنك أرسلت مع صدقى رسالة لصاحبك رشدى باشا ، ترجوه أن يسرع فى النظر فى أمر المسجونين ، وإطلاق من لا يوجد ضده شيء منهم ، حتى أرسل السلطان إليك أمينه الأول يلومك على هذه الشفاعة ؟

فقلت : لا ! قال : الأولى بالإنسان أن يحاذر ، وأن يدور مع الزمان .

٢١٤٩

ثم انتقلت إلى الكلام في الزراعة ، ولم يكن معنا غير محمد بك يوسف .

وبعد أن تركت الدمرداش ، لم نتكلم في شيء غير الزراعة [ص ١٢٤٤] وأحوالها ، حتى وصلنا العزبة . وشاهدنا العمارة ، وغيرها من الأعمال الجارية : فوجدنا البرسيم الناتج قليلا جدا ، ووجدنا القطن مصابا إصابة عظيمة ، بحيث أن جميع اللوز الذي لم يفتح مصاب بالندوة بعضه ، وبعضه بالدودة !

وجاء إسماعيل باشا سر هنك ، وتغدى معنا ، ومضى أغلب وقته في الطعن على محمود صدقي^(١٢١) . وكنت أذافع أحيانا عنه .

وحضر العمدة مساء ، وأخذ يتكلم في كثير من الموضوعات . ومما قال وأعجبني : إننا استفدنا من كرومر^(١٢٢) كثيرا من إختلافه مع الخديوي ، لأن كلاً كان يمنع الثاني من التعدي ! وقال : إن كل الناس ساخط ، ولكنهم لا يتكلمون ! وكلهم يميل لإنتصار الترك — حتى الفلاحين في مزارعهم — ويأتون بأخبار على حسب ما تهوى أنفسهم ، وتتصور عقولهم !

ثم أقمنا في العزبة إلى آخر يوم تسعة منه ، وعدنا ، فوجدت رشدي باشا قد حضر صباحاً ، وأرسل إلى مع صديقي صدقي السلام . ولكنه سافر اليوم صباحاً ، من غير أن أتمكن من مقابلته .

وقد ورد تلغراف صباحاً من عبد الله بيك^(١٢٣) يفيد أنه تعين مفتشا للزراعات بالديوان . ولا بد أن يكون ذلك نتيجة شكوى مفتش الري من

(١٢١) محمود صدقي باشا ، عدیل سعد زغلول ، وعدیل اسماعیل باشا سرهنك أيضا .

(١٢٢) قراءة ترجیحیة أوحث بها الخلفیة التاریخیة .

(١٢٣) عبد الله زغلول .

٢٠١

جهة ، وخلو الديوان من مفتش بسبب انتقال نظار (١٢٣م) من جهة أخرى . ولم أجب على هذا الخبر . ولن أجب ! والله الموفق .

[ص ١٢٤٥]

يوم ١١ سبتمبر

لم يتصل بي شيء يستحق الإثبات ، سوى أن محمد بيك يوسف جاء عندي ، وتحادثنا في أشياء كثيرة : منها خاص ، ومنها عام . ومما قاله لي : إنهم فتشوا اليوم منزل البنداري المحامي ، ولا يعلم إن كان قبض عليه أو لا .
ثم ذكر لي — بهذه المناسبة — أن أحمد عيد اللطيف بيك أخرجته من (١٢٤) مكتبه ، لأنه ضبط خطابا من مطلقة إليه يدل على أنه كان شارعا في التزوج بها ، فلهذه المناسبة غضب منه . قال : وقد كان أراد أن يتزوج بنت عدلي مرسى بيك ، ولكنني ترددت في قبوله ، لأنني لم أكن واثقا من أخلاقه !

قلت : وماذا تم في مسألة أتعاب قضايا شقيقة مصطفى باشا ، التي كانت محلا للخلاف بينهما ؟ قال : لم يتم فيها شيء ، لأن كلا يدعى بأنه هو الذي يستحقها (١٢٤م) . وصدق بيك كان كلفني بالنظر فيها ، ولم أتمكن من نهوها لاشتغالي بأمور أخرى .

وقد اتفقت مع موسيو (. . .) (١٢٥) البوهيجي ، على أن يكون المتر في السقف بثلاثة قروش ، وفي غيره بثلاثة ونصف .

(١٢٣م) قراءة اجتهدية .

(١٢٤) أي أخرج البنداري .

(١٢٤م) قراءة تقريبية .

(١٢٥) بياض في الأصل وهذا النص يوضح أن الأجانب في مصر كانوا يعملون في كل شيء ، حتى في الأعمال الدنيا ، مثل دهان الحوائط وغيرها ! كما يعطى القاريء الفرصة ليعقد المقارنة بين تكلفة هذه الأشغال في زمن سعد زغلول ، وتكلفتها حاليا !

[ص ١٢٤٦] وقدم لى زكى كرجى^(١٢٦) مشروعاً عن الأعمال الصحية فى منزل مسجد وصيف ، فلم أوافق عليه ، لأن فيه مبالغة بالغة . فرددته إليه ، بعد أن حذفت منه الشئ الكثير ، وأفهمته مطلوبى ، فراح يضع غيره .

أمس حضرت عندى حرم باجورى بىك ، وطلبتُ منها أن تنظر فى الحساب بنفسها ، أو بواسطة خير تثق به^(١٢٧) . فامتنعت لتلفاً ، ولكنى ألححت عليها ، فقبلت . ثم أخبرتنى بأن أخاها المسجون مرض بحمى الملاريا ، وأبوا أن ينقلوه إلى أحد المستشفيات ، وأن يمكننا أخاه الحكيم الدكتور صالح من رؤيته ، وينقلوه من سجن الإستئناف . قالت : وأرجوك أن تنظر فى شأنه .

قلت : إن مسئلته مع إخوانه كادت تنتهى ، لولا حدوث حادث فتحى باشا ، فقد كان رشدى باشا وعدنى بنهوها ، ولكن هذه الحادثة نقلت الأفكار عما عداها . وأشارت إلى مجادلة^(١٢٨) على حسين بىك فى تقديم الحساب ، وقالت : إنها طلبته منه من أكثر من سنة ، وهو يجادلها . قلت إنى لست ممنوناً منه ، وأحواله مريبة !

أخبرنى صدقى بىك أن المتهم فى حادثة فتحى باشا ، المدعو صالح عبد اللطيف ، مستخدم مع شخص قبطى وإنكليزى ومسلم فى مصلحة واحدة ، فقبض على الأخير ، وحضر سؤاله عند النائب [ص ١٢٤٧] العمومى ، واستغرب إنه لم يكن من شبهة عليه سوى كونه مستخدماً فى مصلحة واحدة مع الجانى ! فأفرج النائب عنه ، بعد أن مضى ثلاثة أيام !

(١٢٦) هكذا تقرأ .

(١٢٧) فى الأصل : « بها » .

(١٢٨) هكذا تقرأ ، والمعنى : مماثلة .

ولا حرج على الحكومة في أن تشتبه في أى كان ، وتقبض على أى إنسان لأوهمى الأسباب في مثل هذه الأحوال التى نحن فيها ، ولكن لا يجوز لها - فى أى حال - أن تترك المقبوض عليهم بلا سؤال أزيد من يوم واحد ، ولا أن تترك الأمراض تفتك بالمسجونين منهم ، من غير أن تعتنى بعلاجهم . فقد أخبرنى أحد الحكماء^(١٢٩) بأن بين المسجونين^(١٣٠) من يدعى : الشوربجى ، الأفوكاتو^(١٣١) بطنطا ، عنده نزيف ، وكان يعالج منه ، ولم يمكن فى السجن من معالجة هذا النزيف !

وسأتكلم فى هذه الأحوال مع رشدى باشا ، وغيره من ولاية الأمور ، عند أول مقابلة .

فى ١٢ سبتمبر

التحليل كانت نتيجته أمس أحسن من اليوم ، مع أنى لم أتناول ممنوعاً فيما أكلت أمس ! ولعل اللبن ، الذى لم يبلغ درجة الحموضة ، غير موافق ! ولقد مشيت أمس خمسين دقيقة ، وأول أمس سبعين ، وقبلها ساعتين ! وأرانى فى صحة بحمد الله . وقد غمت أمس باكرا ، وغمت أول الليل نوماً مستريحاً ، وانقطعت عنى الوسواس ، التى كانت تساورنى فى كثير من الأحيان مصحوبة بالهموم والأحزان .

[ص ١٢٤٨]

وكثيراً ما أحمد الله على كونه الآن خارجاً من الحكومة ، لأن حملها ثقیل جداً . وكثيراً ما أرئى لحال رجالها الذين يحملون أثقالها ،

(١٢٩) يقصد بالحكماء « الأطباء » .
(١٣٠) فى الأصل : المسجون عليهم .
(١٣١) الأفوكاتو ، أى : المحامى .

٢١٥٣

ولا يجدون راحة لأنفسهم . وقد زال الميل الذي وصفته فيها كتبته يوم ٣١ يوليو (١٣٢٢) .

لم يمر على مصر حال أشد اضطراباً مما هي فيه الآن ، لأن الأفراد يخشون ظلم الحكومة ، ورجال الحكومة يخشون غدر الأفراد . فالله نسأل أن يحسن الأحوال ، وأن يوفق الكل إلى طريق النصر والسداد .

سقط محمدى ، نجل فتح الله بيك ، فى إمتحان الشهادة الابتدائية . فتألم من ذلك كثيراً ، وتألم والده أكثر ، وكان يعتقد أنه لا محالة ناجح . فسأل عمه عاطف عن حقيقة الأمر ، فتبين أنه ساقط فى الخط ! وأن سقوطه فيه نتيجة خطأ وقع من الممتحنين ، إذ لم يعطوه نمره : لا على النسخ ، ولا على الرقعة ، توهماً منها أنه لم يكتب منها شيئاً ! ولكنه كتب ، ولم يلتفتا إلى ما كتب لاندماجهما فى الإنشاء . وقد وعد بإستدراك هذا الخطأ لأنه حادثهما بامتحانه شفها . فسُرِرْتُ بذلك . ولكن ، ألا يجوز أن يكون ما وقع لهذا التلميذ وقع لغيره ، ولكن أمره لم يكشف لعدم وجود من يقدر على البحث عنه ؟

صدقى بيك صاحب مخلص لأصدقائه ، متفان فى خدمتهم ، وفى طبعه نزاهة - ولكنه بطيء الفهم نوعاً ! وقد أعتراه [ص ١٢٤٩] من منذ عام ما أظهر فى أخلاقه شدة ، وفى نفسه حقاً . وكثيراً ما يقدر الأشياء بغير قدرها ، ويقىسها بغير مقياسها .

كان فى ضيافة فتح الله بيك ، مع الشيخ عبد الكريم سلمان وغيره ، فجاء ذكر الدين الإسلامى ، فانتقده صدقى - خصوصاً بالنسبة للأحوال الشخصية - فغضب الشيخ لهذا الإنتقاد ، وأوسعهُ مُر الملام . فغضب البيك لهذا ، وحنق ، وعزم أن يفارق المكان . فرجاه أصحابه أن يبقى ، حتى لا يتكدر صفوفهم ، ولا يتوحش أنسهم ، فبقى ولكنه عدَّ

(١٣٢) يقصد : الميل إلى النساء ومغازلتهن .

٢٠٥

إلحاحهم عليه خطأ في حقه ، وعزم أن لا يعود إلى ضيافتهم مرة أخرى -
كما أخبرني بذلك هو نفسه .

ولا أدري كيف غضب لهذه الحالة ، مع أنه لا شيء فيه إلا زيادة
العناية به ، والاهتمام بشأنه ، والحرص على أرضائه .

وقد أخبرني عاطف أمس أنه كان وعد - أخيرا - بالذهاب إليهم
وطلب رفع ناموسيات تمنع الناموس الرفيع ، ففعلوا ، وذكره بوعده ،
فقال في التلفون (. . .) (١٣٣) !

أما صدقي باشا (١٣٤) فلتيم في طبعه ، دنىء في نفسه ، غبى في
عقله ، سىء في ذمته ، حقوق وحسود !

بعد أن حصل بيننا ما حصل ، مرض ابنه ، فوصلته بعد القطع ،
وعدته عدة مرات ، وصرح هو وامراته - ألام الكثير من الأصدقاء -
[ص ١٢٥٠] أنى عملت ما أشكر عليه شكرا جميلا ، وما لا يجدان
للمكافأة عليه سبيلا . بعد ذلك زرته في يوم الأربعين في منزله ، وزرت
حرمه ، وكلمتها في شأن إجابة السلطان لما طلب من استئجار بيت
الجزيرة ، واستملتتها لذلك بعد أن ترددت فيه كثيرا ، واتفقت معها أن
يبلغ محمود باشا (١٣٥) هذا الاتفاق للسلطان بالتلفون ، زيادة في الاهتمام
بشأنه .

ولما أعلمت محمود بذلك ، علته كدرة الحق ، وقال : لا لزوم
للإخبار بواسطة التلفون ! فقلت : إن ذلك أبلغ في المجاملة وأحسن في

(١٣٣) عبارة غير مقروءة ، وقد تكون : «حط في الخرج» - وهى عبارة استهزاء
وعدم اكتراث .

(١٣٤) محمود باشا صدقي ، عدیل سعد زغلول . ونلاحظ أن سعد زغلول
يكتب كلمة «مكافأة» في هذه الفقرة على شكل «مكافئة» .

(١٣٥) أى : محمود صدقي باشا .

المعاملة . فقال : وما العمل في الكهرباء والماء ؟ قلت : هذه مسألة ثانوية لا يليق الكلام فيها مع السلطان .

ثم حضر صدقي بيك^(١٣٦) وأيد رأيي في الإسراع بالإخبار . فقال صدقي باشا : إذن أرسل الزلعة^(١٣٧) إلى البيت الكبير ! قلت : ما هي هذه الزلعة ؟ قال : زلعة كانت في البيت الكبير ونقلها محمد إلى بيتكم ! قلت : إني لا أعرف وجود زلعة عندي ؟ وكل ما أعلم أن محمد قال لي ذات يوم إنكم تريدون بيع الزلعة ، قلت : الأحسن عدم بيعها . هذا كل علمي بالزلعة ، ولكني لا أعلم مطلقا بنقلها إلى بيتي .

قال صدقي باشا : ولماذا لا تباع ؟ قلت : لأنها من الآثار ! قال : مادامت من الآثار فالأحسن نقلها إلى البيت الكبير خشية كسرها . قال صدقي بيك : وكم ثمنها ؟ قال صدقي باشا : إن تليانيا^(١٣٨) كان فصلها بثلاث جنيهات ! قال صدقي : مادامت من رخام فهذا الثمن لا يوازي قيمة [ص ١٢٥١] حفرتها !

فكر صدقي باشا القول في إعادتها إلى منزل الجزيرة . فقلت منفعلا : إني متى وجدتها عندي أرسلتها في الحال . وخرجت مع صدقي مستغربا من حدة هذا الرجل ! وقلت لصدقي : أرجو الله أن لا تكون الزلعة عندي ، لأنني لا أود أن يكون لهذا الدنء سبيل على ، وليتني كنت بقيت بعيدا عنه في حياتي لأنني لا أشعر بما يفعل من بوادر .

ولما وصلت البيت ، قال لي الخدم : إن الزلعة أحضرها محمد خوفا عليها من السرقة . فأمرتهم في الحال باستدعاء محمد لإعادتها . ولكن

(١٣٦) شقيق محمود صدقي باشا ، وهو محمد صدقي بك .

(١٣٧) الزلعة أى آنية كبيرة من الفخار أو الرخام للزينة .

(١٣٨) أى : إيطاليا .

محمد لم يحضر في الحال ، فقابلته في نحو الساعة السادسة ، فأخبرني بأن محمود باشا أمره ، بعد خروجي مع صدقي من عنده ، بإعادة الزلعة . وأنه كدره على كونه أخبرني بكونه يريد بيعها .

فذهبت إلى منزل هذا الباشا ، ورأيت عنده محمد بيك متولى . وبعد أن جلست هنيهه ، قلت : إني وجدت - مع التأسف - الزلعة عندى ، ولكنى رأيت أنه لا لزوم لإعادتها ، وأن الأحسن تثمينها ، ومن له رغبة منا فيها يأخذها بالثمن المقدر . قال : زى بعضه ، ولكن محمد قال لى إنه لم يقل لك إني أريد بيعها . قلت : محمد قال ذلك ؟ قال : نعم . قلت : معناه أنا كذبت على محمد ! يلزم حضوره لأنظر كيف أنه لم يقل لى !

فنادى عليه ، وشرع يسأله ، قلت : لازم هو يتكلم عما أخبرني به بخصوص الزلعة . فقال : إن الشيخ صالح ، [ص ١٢٥٢] وهو كاتب صدقي باشا ، أحضر تليانيا لشرائها ، وثمنها . فقلت : يلزم إخبار الباشا ، فأخبرته بذلك ، فقال لى : روح شوف الشيخ صالح عاوز إيه ، واتفق معه ! قلت : وهل لا يعد هذا رغبة في البيع ؟ إنه أكثر من الرغبة ، لأنه شروع بالفعل فيه . قال : لا ، ليس الأمر كذلك ، إنه لا يعد رغبة ولا شعورا . قلت : وما معنى إحضار التلياني وعرضها عليه ؟ قال : هذا لا يدل على البيع ! وإن هذا تأويل منك ، وأنا لا أحب إلا الصدق ، هذه طبيعتي ، وإن هذا عيب منك وعليك .

فأخذنى الغيظ ، وقمت واقفا أريد الانصراف ، لأن هذه الكلمات أثارت غضبى ، وقلت : والعيب ليس منى ، إني ما كنت أنتظر ، وأنا آت لأزورك ، أن تفتحنى في مسئلة تافهة مثل هذه ، ثم تكذبني فيها ! إني لا أريد البقاء . ولكن توسط محمد متولى بيننا، ورجانى فى الجلوس . فجلست أكثر من نصف ساعة ، ثم انصرفت .

بعد ذلك توجهت إلى العزبة ، ثم عدت ، وكان معي محمد حتاتة بيك ، فوجدت صدقي باشا في عين ذات مقاعد ثلاث فقط ، ووجه الجالس فيها يجب أن يكون متجها للجهة المقابلة للجهة التي يسير نحوها القطار . قلت : أنا لا أستطيع الجلوس في هذه العين ، وتعال نبحث عن أخرى . وسرت ، ولكنه لم يتبعني ، فوجدت عينا^(١٣٩) أكبر ، فأرسلت محمد [ص ١٢٥٣] يدعو للجلوس معي ، فعاد مخبرا بأنه لم يقبل !

ثم جاء محمد حتاتة ، وجلس معي ، وقال : إنه تقابل مع صدقي باشا ، وسلم عليه ببرود !

ولما وصلنا مصر لم أجد وجهها لمقابلته ، فذهبت إلى بيتي ، وكانت الشقيقات اتفقن أن يصنعن فيه «خَتْمَة»^(١٤٠) يجتمع فيه أقاربهن لسماع تلاوة القرآن ، تذكارا لوفاة والدهن قبل عام . فجاءني صدقي ، في اليوم الذي صنعت الختمة في مسائه ، وطلب مني أن أدعو صدقي باشا لهذه الختمة ، فرفضت ، لأن الداعي ليس له فيها شأن أكبر من المدعو ! وتم الاكتفاء على ذلك ، والله الهادي .

من بضعة أيام ، ورد إلى طرد مانجو من تيمور بيك ، بإشعار وخطاب يقول فيهما : إن هذا الإرسال بناء على طلب محمد بيك مصطفى ! ولما لم يسبق لي تكليفه بشيء من ذلك ، خابرته في هذا الشأن ، وأعلمته برداءة المانجو . فأجاب بأن صدقي باشا هو الذي كان كلفه بذلك ، وإني أعتبر هذه الرسالة لا غية ، وأستقبل أخرى من طرف حرم صدقي باشا . فلم أرد أن لا أرسل مبلغ ثمن الأولى ، وحاولت أن

(١٣٩) يقصد سعد بلفظ «عين» ! كايينه .

(١٤٠) حفلة دينية لتلاوة القرآن .

أمنع وصول الثانية . ولكن الست^(١٤١) أخبرتني بأن أختها كلمتها [ص ١٢٥٤] في هذه الهدية ، وشكرتها مقدما عليها .

فأمس ، وردت المانجو ، ومعها فاتورة ببيان ثمنها ، والمصاريف عبارة عن مائتي قرش ! فاستلمتها ، وأرسلت هذا المبلغ حوالة بريدية ، ورجوت الست أن تكتب لأختها بذلك ، حتى تعلم أن ليس لها ، ولا لزوجها ، حسنة علينا ! وحمدت هذه المناسبة للتملص من هذا الدين الثقيل .

في ١٣ سبتمبر سنة ٩١٥

حضر عندي عبد الرحيم صبرى ، مدير المنوفية ، بعد الغداء ، وكان معه عاطف بيك . وكانا يتناقشان في شخص كان أراد صبرى باشا أن يعينه ناظرا لإحدى المدارس التابعة إلى مجلس المديرية ، ولما طلبه قيل له : إنه مسئول أمام حكمدار بوليس مصر ، لشبهة توجهت عليه . فعدل المدير عن تعيينه .

فقلت له : الأحسن أن تتمهل ، ربما يظهر عدم صحة الشبهة ! قال : الأولى أن نعين خاليا عن الشبهة ، خصوصا وأنا لم أكن متأكدا من سعة كفاءة المشبوه .

وبهذه المناسبة ، جرى الحديث في القبض على المشبوهين ، وما يقع من المضايقة . فقال : أمرت أن أفتش تلميذا ، وأقبض عليه ، وكان من أكرم التلامذة خلقا وأذكاهم فؤادا ، فتلطفت كثيرا في تنفيذ الأمر حتى لا ينزعج خاطره ، وخاطر ذويه ، وأحسننت الشهادة في حقه . ثم لم يتبين عليه شيء ، وأخلى سبيله !

(١٤١) يقصد : صفية زغلول .

قلت : حسنا فعلت ! ولاحق في الاعتراض على الحكومة في القبض على المشبوهين ، ولكن يعترض عليها إذا أساءت القبض ، [ص ١٢٥٥] ولم تسرع في تحقيق أمرهم . وفهمت منه أن تعيين ابنه سكرتيرا لعدلى (. . .) (١٤٢) .

كثرت أحداث الناس في هذه الأيام ، بالجمعية التي تأسست في اسكندرية تحت اسم العروة الوثقى ، وبرئاسة محمد سعيد باشا . وقد طعنت بعض الجرائد في إدارتها طعنا بليغا ، واستغفى بعض أعضائها ، ورأت الحكومة أن تعين لجنة لتحقيق أمرها من خمسة أعضاء ، فباشرت اللجنة أعمالها .

وقد ذكر لي رشدي باشا هذا القرار ، وقال لي : إن محمد سعيد باشا استاء منه ، وقال : اتهم الحكومة بالأمر لمجرد الطعن من بعض الجرائد ؟ فقال رشدي : إن اهتمام الحكومة ليس آتيا من ذلك فقط ، بل ومن استعفاء بعض الأعضاء على التوالى ، ومن الإشاعات المتواترة . على أنه إذا أنكر حق الحكومة في تعيين هذه اللجنة ، فلا يمكن أن ينكر عليها حقها في تحريك الدعوى العمومية بشأن الاختلاسات المنسوبة إليها . قال : وقد علمت أن دفاتر الجمعية لم يتقيد فيها شيء من أراضى هذا العام : لا صادر ولا وارد ، بل هى باقية بيضاء !

وأخبرنى اليوم عاطف ، نقلا عن اثنين من أعضاء لجنة التحقيق [ص ١٢٥٦] أنه تبين لهذه اللجنة أن محمد سعيد باشا كان اشترى أشياء من الجمعية بمبلغ ستائة ونيف وسبعين جنيه ، ولم يدفع إلا أخيرا بعد لجنة (١٤٢) التحقيق ، وقبيل مباشرتها للعمل فيه بمدة قليلة جدا . وأن الجمعية فيها اختلال عظيم !

(١٤٢) عبارة غير مقروءة بسبب عدم وضوح الخبر .

(١٤٣) قراءة اجتهدية .

في ١٦ سبتمبر سنة ٩١٥

سافرت إلى العزبة في يوم ١٤ سبتمبر سنة ٩١٥ صباحا ، وأقيمت بها ليلتين ، ثم عدت منها اليوم . وقد رأيت النجار أخضر الشباييك ، والأبواب بعضها ، والبعض مشغلا باحضاره . ورأيت الخشب غير موافق للشروط ، فتأثرت ، وكنت أريد رده ، ولكن رأيت الوقت يطول ، فقبلت مكرها . ولكني أصررت على أن لا أدفع إليه قيمة الخشب المتفق عليه ، بل قيمة الخشب المصنوع .

وبعد أن رتبت أشغال العمارة ، وأجريت بعض التعديلات في المباني ، وعاينت المزروعات والمحصولات ، عدت اليوم على قطار الظهر .

وعلمت أن رشدي باشا حضر إلى مصر ، فمررت به في منزله ، فوجدته في الديوان ، فتكلمت معه بالتليفون إلى أريد مقابله ، ثم اتفقت معه على أن يتناول عندي الغدا .

ثم سألتني عما إذا كنت قرأت حديثه المنشور في أهرام أمس ؟ فهنأته عليه . وقد حضر^(١٤٤) في نحو الساعة ٢ [ص ١٢٥٧] بعد أن أمضنا الجوع . وفهمت منه أنه استاء من كون الإنجليز يتبرأون من القبض على الناس واعتقالهم ، ويسندون ذلك إليه وإلى السلطان . وأفهمهم بأن هذا التبرؤ^(١٤٥) يزيد في مسئوليته ، ويضعف من أهمية عمله ، وأنه إذا كان له رأى في ذلك ، فهذا لا ينافي الإشتراك فيه .

وقال إن^(١٥٤) من رأى مكماهون أن يعتقل مع كل مشبوه كل

(١٤٤) في الأصل : وحضر .

(١٤٥) في الأصل : التبرأ .

(١٤٦) في الأصل : وأن .

٢١٦١

المخالطين له من الأقارب والأصدقاء حتى يمنع هول مصيبته في نفسه وفيهم من التشرّد^(١٤٧) وإن هذه الطريقة نجحت في الهند نجاحاً عظيماً ! وقد استعظم رشدى ذلك ، وعده^(١٤٨) ظلماً عظيماً .

وجاء ذكر الرافعين : وهما عبد الرحمن ، وأمين الرافعى . فقال : إنه شخصياً مقتنع بأن لهما صلة بالترك ، وبأنها كانا عاملين على تنفيذ مشروع ثورى ، ودلت كتابات ضبطت عندهما على ذلك .

وقال إنه نسى^(١٤٩) مسألة حسين فهمى بهجت ، وإن السبعة عشر تلميذاً سيفرج عنهم قريباً ، وإن البندارى ، الذى قبض حديثاً [ص ١٢٥٨] عليه ، لم يمحض عليه فى السجن إلا القليل ، وقد تقدم إليه فى شأنه تقارير كثيرة ، آخرها أنه تكلم فى حق السلطان وضد الإنكليز فى المحكمة ، فى وسط قاعة المحامين .

(١٤٧) هكذا تقرأ ، ومنطق العبارة غير مفهوم ، خصوصاً وهى تعود على « الأقارب والأصدقاء » وليس على الأبناء .

(١٤٨) فى الأصل : « وإن رشدى استعظم ذلك ! وعده » .

(١٤٩) فى الأصل : « وانه نسى » .

وبالنسبة لكل من عبد الرحمن الرافعى وشقيقه أمين الرافعى ، فقد يكون من المفيد أن نورد هنا ماكتبه عبد الرحمن الرافعى عن اعتقاله وشقيقه فى مذكراته المنشورة تحت عنوان : « مذكراتى ١٨٨٩ - ١٩٥١ » - الطبعة الثانية ، كتاب اليوم عدد ٢٩٨ - ص ٣٨ - ٤٢ . وفيها يقول :

اعتقالى ١٩١٥ - ١٩١٦

شبت الحرب العالمية الأولى فى يوليو - اغسطس سنة ١٩١٤ ، وأعلنت السلطة العسكرية البريطانية الأحكام العرفية فى مصر ابتداء من ٢ نوفمبر من تلك السنة ، على أثر دخول تركيا الحرب ضد الحلفاء .

=

٢١٣

= وفى ديسمبر سنة ١٩١٤ وقع الانقلاب المشؤم الذى أعلنت فيه الحماية البريطانية الباطلة على مصر ، وخلع الخديو عباس حلمى الثانى ، وعين الأمير حسين كامل سلطان .

وقد احتجبت جريدة (الشعب) - وكان يتولى رئاسة تحريرها المرحوم أمين الرافعى - عن الظهور احتجاجا على إعلان الحماية ، وتولت السلطة العسكرية حكم البلاد فى خلال الحرب ، فكان أول عمل لها اضطهاد الحزب الوطنى ومطاردة رجاله. فضبطت أوراقه ودفاتره وسجلاته ، وشئتت شمل الكثيرين منهم ، ووزعتهم على سجن الاستئناف بالقاهرة ، وسجن الحدرة بالاسكندرية ، والمعتقلات التى أنشأتها لهم خصيصا فى درب الجماميز وطره والجيزة وسيدى بشر ، ونفت بعضهم إلى مالطة وأوربا، وكنت بمن أصابهم الاعتقال ، وأذكر من أسماء المعتقلين وقتئذ : أحمد بك لطفى . على فهمى كامل بك ، عبد الله بك طلعت . عبد اللطيف بك الصفانى وقد وضع تحت المراقبة فى دمنهور . عبد اللطيف بك المكباتى . الأساتذة عبد المقصود متولى . محمد زكى على . أحمد وفيق . أمين الرافعى . عبد الرحمن الرافعى . مصطفى الشوربجى . إسماعيل حافظ صهر محمد بك فريد . محمد فؤاد حمدى . إبراهيم رياض . الدكتور عبد الحليم متولى . الدكتور عبد الفتاح يوسف . الدكتور شفيق منصور . أحمد أفندى رمضان زيان . اليوزباشى حافظ محمود قبودان . اليوزباشى أحمد حمودة . محمد أفندى الشافعى . مصطفى أفندى حمدى . يعقوب أفندى صبرى . اليوزباشى أحمد نبيه قبودان . إسماعيل أفندى حسين . الشيخ إبراهيم مروفى إلخ إلخ .

ومن نُفوا إلى أوروبا . الدكتور نصر فريد بك . وإلى مالطة الدكتور عبد الغفار متولى . الدكتور محمد عوض محمد . الأستاذ محمود إبراهيم الدسوقي . الأستاذ محمد عوض جبريل . حامد بك العلايلى . سلامة أفندى الخولى . الأستاذ على فهمى خليل . الأمير أفندى العطار وغيرهم وغيرهم ، وقد لبثوا فى المعتقلات أو فى المنفى مددا طويلة ، ومنهم من لبث فى السجن أو المنفى إلى ما بعد الهدنة سنة ١٩١٨ ، أما من أفرج عنهم فقد قيدت حريتهم ووضعوا تحت المراقبة .

=

إلى السجن

كان اعتقالى بالمنصورة يوم ١٧ أغسطس سنة ١٩١٥ ، وفى نفس هذا اليوم اعتقل لقيف من خاصة أهل المنصورة ممن عرفوا بميولهم الوطنية ، ورحلونا معتقلين إلى القاهرة حيث اودعونا سجن الاستئناف بباب الخلق ، وهناك التقيت بأخى أمين وبفوج آخر من الوطنيين ، اعتقلوهم بمصر يوم اعتقالنا ، وكان نظام الاعتقال بسجن الاستئناف أن تخصص كل غرفة من الغرف الانفرادية لاثنتين من المعتقلين ، وقد نسقوا اختيار كل اثنين بحسب مراكز المعتقلين وشخصياتهم ، وإذ كنت قد اعتقلت بالمنصورة ، فقد وضعونى أنا والمرحوم عبد اللطيف بك المكباتى عضو الجمعية التشريعية (وعضو الوفد المصرى فيما بعد) فى غرفة واحدة وهى الغرفة رقم ١٥ من العتبر رقم ٥ . وكنا صديقين حميمين ، ومنزله بالمنصورة تجاه منزلى بها وقتئذ ، وكنا قبل الاعتقال نتبادل الزيارات والأحاديث ، وله ميول نحو مبادئ الحزب الوطنى ، وكنت أقدر فيه وطنيته وشجاعته الأدبية ، واحتفاظه بكرامته ، واعتزلزه بشخصيته ، وكفاءته الممتازة ، فلما علم كلانا أنه زميل لصاحبه فى «الزنازة» ، اطمانت نفسنا إلى هذه الزمالة ، وخففت عن كلينا غضاضة السجن ، وقد استقبلنا موظفو السجن وعماله بالاحترام والتقدير ، لأنهم عرفونا وعرفوا سبب اعتقالنا ، وعرفوا على الأخص أننا لسنا من طراز ضيوفهم الآخرين نزلاء سجن الاستئناف ، فأكرموا وفادتنا وبذلوا لنا كل ما أمكنهم بذله من التسهيلات ، ولكن فى حدود اللوائح ، لأن عليهم رقباء من رؤسائهم فى المحافظة .

فى الزنازة

ولما التقينا - أنا والمكباتى بك - أول مرة فى «الزنازة» واقفلوا علينا بابها و«تمموا» علينا طبقا للتعليمات ، نظر كل منا إلى صاحبه نظرة دهشة واستغراب ، وأخذنا نتأمل فى تصارييف الأقدار ، ثم مالبثنا أن مزجنا الدهشة بشيء من الفكاهة والسخرية من سياسة الحكومة التى تعتقل الناس جزافا وفى غير حدود العدل والقانون ، دون توجه إلينا أى تهمة ، وقد رأيت من المكباتى جلدا وصبرا أعجبت =

= بهما ، وزادا من تقديرى له ، إذ كنت أظن أنه قد يتسخط على مسلكه الوطنى الذى أدى به إلى الاعتقال ، ولكنى على العكس رأيته فخورا به معتزا بشخصيته ، على الرأس كعادته ، وأخذنا نقطع الوقت بالأحاديث نتناولها فى شتى المواضيع ، فكانت خير سلى لنا فى هذه الأوقات العصيبة .

وفى ٣٠ أغسطس جاءنا الفرج ، لا بإطلاق سراحنا ، بل بنقلنا إلى معتقل أعدوه لنا بدرب الجمايز ، فى مبنى مخازن وزارة المعارف ، ذلك أن اعتقالنا فى سجن أعد لاستقبال المحكوم عليهم أو المنتظر أن يحكم عليهم فى الجرائم ، قد قوبل من مختلف الطبقات بالسخط والاستنكار ، وأبدت رغبة فى معاملتنا كمعتقلين سياسيين لهم على كل حال حق الرعاية والمعاملة الإنسانية ، فاعدوا لنا المعتقل الجديد بدرب الجمايز ، وقد شعرنا فيه بشيء من الراحة النسبية إذا قورن بسجن الاستئناف ، وسمح لنا فيه على الأقل أن نجتمع معا فى أى وقت نشاء ، وأن نختار من الغرف الصغيرة والمتوسطة والكبيرة ما نشاء ، وأن يختار كل منا زملاءه ، فاخترت مع أخى أمين غرفة واحدة كان بابها مفتوحاً فى كل وقت ، ولا رقابة علينا فى خروجنا منها ، وكتبت لأهل خطابا أبشروهم فيه بأننا انتقلنا من سجن الاستئناف إلى المكان الجديد ، وأن دواعى الراحة متوفرة فيه .

على أنه قد كتب على أن انتقل وقتنا ما إلى سجن انفرادى آخر يشبه من بعض الوجوه سجن الاستئناف ، وهو سجن « الحجرة » العمومى بالأسكندرية ، إذ نقلوني إليه وأبقوني فيه مدة أسبوعين مع لفيف من معتقلي المنصورة للتحقيق معنا فى بلاغ كاذب عن تهمة باطلة تبين من التحقيق كذبها وتلفيقها ، وقد صحبنى أيضا المكبات بك فى سجن الحجرة وأفرج عنه هناك ، ثم عدنا إلى معتقل درب الجمايز ، فرحب بنا الإخوان والزلاء . وهنأنى على بطلان التهمة التى وجهت إلينا .

فى رحاب ليان طره

فى شهر سبتمبر سنة ١٩١٥ نقلونا إلى معتقل آخر أعدوه لنا فى بلدة طره بجوار ليان طره المشهور ، ويبدو لى أن سبب نقلنا إلى هذا المعتقل الجديد أن السلطة العسكرية رأته أبعد عن أنظار الناس وعن الزيارات العائلية من معتقل درب =

.....

 الجمايز ، فضلاً عما يوحى به اعتقالنا في طره - حيث الليمان المشهور - من الرهبة والفرع لمن كانوا مطلقى السراح من الوطنيين وربما كان من أسباب هذا النقل أيضا أن معتقل درب الجمايز ضاق بمن فيه ، إذ زاد علينا بعض طلبة الحقوق الذين اتهموا بتحريض زملائهم على الإضراب يوم زيارة السلطان حسين كامل لمدرستهم .
 ثم نقلونا في فبراير سنة ١٩١٦ إلى معتقل آخر أعدوه بالجيزة في مبنى سجن قديم مهجور كان يعرف بالسجن الأسود ، وقد تحول بعد ذلك إلى عدة مباني حكومية بأول شارع الهرم بالقرب من كوبرى عباس ..

ومكثنا به إلى أن أفرج عنا يوم ١٧ يونيو سنة ١٩١٦ ، أى أننا مكثنا معتقلين عشرة أشهر ، وكان الإفراج عنى مع أخى أمين بك وعبد الله بك طلعت في يوم واحد .

وقد ذهبوا بنا نحن الثلاثة إلى الإسكندرية ، حيث أعدوا لنا عدة زيارات اقترنت بإطلاق سراحنا ، فقابلنا حسين رشدى رئيس الوزارة في منزله بالرمل بمحطة كارلتون (الآن محطة رشدى باشا) ، فأحسن استقبالنا وتحدث إلينا عن ضرورات الحرب وعن مساعيه لدى السلطة العسكرية البريطانية لإطلاق سراحنا حتى كملت أخيرا بالنجاح ، فشكرناه على حسن مسعاه ، وطلب إلينا أن نذهب لمقابلة السير رونلد جراهام مستشار وزارة الداخلية وقال عنه إنه هو أيضا سعى في الإفراج عنا ، فذهبنا إليه بدا الوزارة ببولكى وقابلناه وأبدى نحونا شعورا طيبا .

في حضرة السلطان

ثم ذهبنا إلى سراى رأس التين حيث قابلنا المغفور له السلطان حسين ، وقد استقبلنا بعطف وحفاوة ، وأخذ يدافع عن سياسته منذ إعلان الحرب العالمية وقبله عرش السلطنة ، وقال إنه قصد خدمة مصر والأسرة العلوية ، والتفت في ختام الحديث إلى أخى أمين وقال له : «وطله الغازيته يا أمين بك» ، ووعدته بالمساعدة المالية لإصدار الغازيته . (صحيفة الشعب وكانت محتجة احتجاجا على اعلان الحماية) ، فشكره أمين وانتهت المقابلة بالتحيات المقرونة بالدعوات ، على أن امينا رحمه الله لم يفكر في إعادة صحيفة الشعب طيلة مدة الحرب . =

وفهمت منه أيضاً ، كما فهمت من حديثه ، أنه متأثر مما نسب إليه من أنه يريد ضرب هذه الأمة في شببيتها ! وقد أنحينا باللائمة (١٥٠) على الأفكار الفوضوية وأصحابها ، وحكمنا عليها بالجنون والضرر .

وقد حضر أحمد عبد اللطيف ، وتكلم معه في المراقبة ، فأجابه بمثل ما أجبني به ، ثم خرج . وبقي عبد اللطيف يقرأ حديث رشدى في جريدة النوفيل . ثم حضر شكرى باشا ، وبعد هنيهة إنصرف عبد اللطيف .

ورجاني شكرى أن أرجو رشدى في شأن على باشا فهمى ، وتواعدنا أن نقابل رشدى هذه الليلة أو غدا . ولكن خادمه أنكره ، فخاطبته بالتلفون ، وطلبت أن أقابله خمس دقائق ، فأجبنى الخادم مصطفى بأن أقابله غدا صباحا .

(١٥٠) فى الأصل : « أنحينا » وقد أضفنا « باللائمة » لبعثتيم المعنى . وبالنسبة لما نسب إلى حسين رشدى باشا من أنه يريد ضرب الأمة فى شبابها ، فقد رد رشدى باشا على هذا الاتهام فى حديث إلى جريدتى « الأهرام » و« الجورنال دى كير » فى يوم ١٥ سبتمبر ١٩١٥ ، فقال : « إن صالح عبد اللطيف بدوى (المعتدى على إبراهيم فتحى باشا » عزا إلى أننى قلت العبارة الآتية : « يجب سحق الأمة المصرية بضرب ناشئتها » . وإنى لأبرأ إلى الله من هذا القول . أنا أريد سحق الشعب المصرى ، وأنا مصرى ، وأجدادى سفكوا دماءهم فى سبيل استقلال مصر ؟ وإن أحد أجدادى انتصر على الجنرال فريزر الإنجليزى ، فقابله بعد انتصاره الرجل الخطير الشأن محمد على ، فترجل ونزل عن جواده ، وقبله . وكلما تذكرت ذلك تأخذنى هزة الفخر . وإذا كان جدى قد قاتل الإنكليز حبا فى مصلحة مصر ، فإن هذه المصلحة نفسها تحملنى اليوم على أن أماشيهم واضعا يدى بيدهم » (أحمد شفيق : حوليات مصر السياسية ، تمهيد ، الجزء الأول ، ١٩٢٦) .

٢١٦٧

وأخبرني عاطف - عن حافظ باشا حسن - أن الإنكليز ابتدأوا يتذمرون من أعمال القبض الجارية ، ويريدون [ص ١٢٥٩] الإفراج^(١٥٢) عن المعتقلين ، بعد أن تفحص السلطة العسكرية أحوالهم . وأنهم ينسبون هذه الأعمال إلى رشدى والسلطان خاصة ! وأوعزوا إلى عمالهم فى المديرىات ، أن يثبتوا فى أذهان الناس ابتعادهم عنها ، وإرادتهم تخليص الناس من شرورها .

قال : وإنه^(١٥٣) هو دافع عن أعيان مديريته أمام رشدى والوزراء . وكانوا كلهم سكوئاً ، ولم ينبس^(١٥٤) أحد منهم ببنت شفة ، غير يوسف وهبة^(١٥٤) حيث قال : لا يصح أن يؤاخذ مأمور مركز طلخا دون القاضى ، على أن حالتها واحدة ، وغير إبراهيم باشا فتحى ، حيث أحسن الشهادة فى حق ذلك المأمور .

وقد تأيد لعاطف صدقي رواية حافظ حسن ، لأنه سمع فتحى باشا يقول له : إنك دافعت دفاعاً كريماً عن أهالى مديريتك .

ورأيت من لاقيت ممن قرأوا حديث رشدى ، غير مستحسنين لكثير من أقواله ، ويتهمونه بأنه بالغ فى محاباة السلطان والإنكليز . ويظهر أن هذا الحديث أثر عكس القصد منه ! وقد أخبرنى رشدى أن بعض الإنكليز لم يستحسنوا بعض ما جاء فيه . فلا حول ولا قوة إلا بالله .

(١٥٢) فى الأصل : فى الإخراج .

(١٥٣) أى : حافظ باشا حسن .

(١٥٣ م) كتبها سعد زغلول : ينبث .

(١٥٤) يوسف وهبة باشا هو وزير المالية فى وزارة حسين رشدى باشا .

[ص ١٢٦٠]

في يوم ١٧ سبتمبر سنة ٩١٥

أمام المحاكم الأهلية قضية نصب واحتيال ، مرفوعة من النيابة العمومية ضد إثنين من عائلة كيشار ، وسمسار شهير يدعى عزيز بحرى ، من عائلة سورية قديمة في مصر . وحاصلها أن عزيز المذكور توسط للكيشارية في رهن أطيان لبنك الرهونات ، مع كونها موقوفة ! والنيابة العمومية تدعى أن المتهمين فعلوا ذلك ، توصلوا لسلب مبلغ الرهن من البنك .

والكيشارية يدعون الجهل بالإجراءات ، وأن الذى حسن لهم ذلك ، ونفذه معهم ، هو عزيز بحرى . وهذا الأخير يدعى أنه توسط في الأمر ، من غير أن يعلم أن الأطيان المراد رهنها موقوفة .

هذا حاصل الدعوى تقريباً . وبلغنى أن النيابة ، بعد أن حولتها أولاً على محكمة الجنح ضد جميع المتهمين ، وسلمت إعلانات الحضور لقلم المحضرين ، عادت فسحبت من غذا القلم الإعلان الخاص بعزيز بحرى ، وحفظت الدعوى بالنسبة إليه ! وقيل إن ذلك كان بأمر وزير الحقانية — إذ ذاك — رشدى باشا .

ثم تغيرت الوزارة ، فتغير عمل النيابة ، وأخذت تتصيد أدلة جديدة لتعود إلى التحقيق . فعادت ، وأدانت عزيز ، وحكم القاضى الجزئى على جميع المتهمين !

٢١٦٩

فاستأنفوا ، وطلبت النيابة أولاً تأييد الحكم المستأنف . ثم صدر لها الأمر بأن تطلب براءة عزيز بحرى ! وقبل أن تفعل ذلك ، علم به [ص ١٢٦١] بقية المتهمين . ولما أرادت النيابة أن تتكلم ، أرادت المحكمة أن لا تسمح لها بذلك ، فقام المحامون عن عزيز بحرى ، ورجوا المحكمة - بإلحاح - أن تسمع أقوالها ، لعل أن يكون فيها مفيد . وطلب المحامون عن الكيشارية إثبات هذه الحالة في المحضر . ثم تأجلت الدعوى إلى الغد . وفي هذه الأثناء ، أرسل الكيشارية تلغرافاً إلى رئيس الجلسة ، يقولون فيه : إن النيابة ستطلب براءة عزيز - كما علموا من مصدر سام ! - وبالفعل طلبت النيابة ذلك في الغد ! ويقولون إن رشدى باشا يساعد بحرى ، وكذلك استورس ، وإن ناظر الحقانية ، ووكيلها ، يساعدان الكيشارية .

وللناس في أسباب ذلك أقاويل شتى ، كلها لا تشرف هؤلاء الحكام !

وقد كان عندى أمس رشدى ، فدخل علينا أحمد عبد اللطيف ، وريثما جلس ، سأله رشدى عن الحكم في الدعوى ؟ فقال له : إنه تأخر أسبوعاً .

وقد فهمت أن الدعوى هى دعوى كيشار . ومن المؤكد أن بنك الرهونات يسعى ضد بحرى سعى المجد ! ويقولون إن ذلك لأنه غنى وبقية المتهمين فقراء ! والله أعلم !

وقد أيد لى شكرى باشا كل ما تقدم من الروايات ، وزاد عليها أن رشدى باشا وثروت ، عقب الحكم على بحرى ، قرأ الحكم على عبد العزيز فهمى ، [ص ١٢٦٢] وقالوا : إنه فى غير محله ، وإنه

٢٢١

رغباً عن نصيحة المستشار قبل سفره بوجوب ترك القضاء في حريته ، قد أمر النائب العمومي بأن يكلف عضو النيابة المترافع في الدعوى أن يطلب البراءة ! وقد فعل ذلك ، مع كونه — هو بنفسه — الذي ترافع في الدرجة الابتدائية ، وكان مُشتداً في طلب الإدانة !

فإذا أضفنا ذلك إلى ما يتحدث به العارفون في مجالسهم عن القضاء والقضاة ، أسف كل محب لهذه البلاد على اختلال أمور العدالة فيها ، ويشس من تحسن الأحوال .

ولقد قال لى لطفى بك السيد ، عقب قدومه من بنى سويف ، وإستلام وظيفته في دار الكتبخانة ، إنه شعر كل الشعور ، وهو بنى سويف ، بصحة ما قلت عن القضاة ، بأنهم : « قضاة ضرورة » !

وبهذه المناسبة — أى مناسبة لطفى بك — أقول إنه تغير كثيراً عن ذى قبل ، وأصبح لا يهتم من الأمور إلا ما تعلق بشخصه ! جرى ذكر إعتقال الناس — في حديثى معه — فقال ما معناه : إنه في الوقت الذى يكون الحكم فيه للمنفعة ، ليس للناس أن يشكوا من سلب حريتهم ، إذا عملوا شيئاً تقضى هذه المنفعة بالعقاب عليه بالتضييق على هذه الحرية ! وفهمت منه أنه ترك كل شئ عام ، حتى قراءة الجرائد !

١٧ سبتمبر

قابلت أمس رشدى في منزله ، وكلمته في على فهمى باشا ، بناء على رجاء شكرى وصالح حقى . فوعد خيراً . وفهمت منه — من بعيد — أن السلطان لا يزال غضبان من شفاعتى في المكبات ! [ص ١٢٦٣] وقال : الأحسن أن لا تناوئه ! قلت : أنا بعيد عن ذلك ، ولكن أحياناً

٢١٧١

نتكلم مع بعض الأعضاء ، كعلی باشا شعراوى ، فى شأنه ، كلام المحبين لا الناقمين . قال : إنه^(١٥٥) سريع التأثر ! ونصحنى بأن لا أستشفع فى أحد عنده !

قلت : إنى تجنببت السفر إلى إسكندرية ، لكى لا أندفع إلى ما لا يجب من قول أو إشارة .

ثم عدت إلى الكلام فى ما تقرر فى أذهان الكافة من أنه هو الذى يتولى أمر الحبس والإفراج ! وبلغته ما سمعته من عاطف بهذا الخصوص . قال : إنى سأتكلم فى هذا الخصوص مرة أخرى ، وإنى مستعد لأن أعلن الحقيقة فى الجرائد . قلت : لا داعى إلى ذلك . ثم تشاء ، فأنصرفت .

وفى أثناء انصرافى ، رأيت فتاة ممشوقة القوام ، تدل تقاطيع جسمها على أن فيها جمالاً ، داخلة إلى داخل المنزل بغير إحتشام ! فنظر إليها رشدى نظر المنفعل ، ثم تبعها إلى الداخل ! وخرجت ، فوجدت عجوزاً واقفة بالباب تنتظر !

تاريخه أى ١٨ سبتمبر

أخبرنى محمد متولى بيك أنهم فتشوا منزل أحمد لطفى المحامى ، تفتيشاً ثانياً ، ولكنهم لم يقبضوا عليه ، لأنهم لم يجدوا عنده شيئاً .

[ص ١٢٦٤]

١٩ سبتمبر سنة ٩١٥

اجتمع عندى طلعت باشا وشكرى باشا الثانية^(١٥٥) ، وصدقى

(١٥٥) فى الأصل : « لأنه » .

(١٥٥ م) قد يكون معناها : الساعة الثانية ، أو المرة الثانية .

٢٢٣

وعبد الله زغلول ومحمد بيك حتاته .

وقبل اجتماع كلهم ، علمت من الخادم أن الحرم تريد إستدعاء الحكيم فرنوموش^(١٥٦) ، فكلفته أن يستدعيه ، لمرض في العين ألم بها . ثم دخلت عندها ، فوجدتها تتألم أشد الألم . وحضر الحكيم ، وقرر أنه الرمد . وعالجها ، ثم إنصرف .

ونزلت عند هؤلاء الإخوان . ودار الكلام على موضوعات شتى ، ومن ضمنها : مسائل التعدي على حياة السلطان والوزراء . وقد قال محمد بيك حتاته إن المعتقلين نقلوا إلى طره في خيام . وكانت جرت الإشاعة بذلك من قبل ، فجاء هذا الخبر مؤيدا لها .

ثم اندفع النائب العمومي يؤيد سياسة الحكومة في اعتقال من اعتقلتهم وتفتيش من فتشت منازلهم . فقال : إن الحكومة على بركان من نار، فإن لم تشتد في الاحتياط لنفسها من عمل الفوضيين والمجندين لأعمالهم والمشجعين لهم بالسخط من الهيئة الحاضرة - ساءت الحال . وإن رجال الحزب الوطني مسئولون عن الجرائم التي يرتكبها أولئك الحمقى ، لأنهم هم الذين سمموا أفكارهم . ولقد ضبط عند بعضهم خطاب من تلميذ ، أرسله عقب أن وصل إلى لوندرة ، يطعن فيه على الحكومة أقبح طعن ، ويقول : انه لابد لنجاح مصر من إراقة الدماء !

وقال إن^(١٥٧) توالى مثل هذه الجرائم ، يدفع بالحكومة [ص ١٢٦٥] إلى الاحتياط ، باعتقال من يخشى منه . نعم إنه قد يقع ظلم على بعض الناس ، ولكن ذلك لابد منه لتسكين الفتنة . واسترسل في ذلك البيان كثيرا .

(١٥٦) هكذا قرأ .

(١٥٧) أضيفت : « وقال إن » لبداية فقرة جديدة .

٢١٧٣

فقلت : لا جدال في أن للحكومة الحق في أن تتخذ وسائل استثنائية ، في مثل الحالة التي نحن بصددّها ، وتشتد في عقاب من يثبت عليه شيء من تلك الجرائم . ولكن يظهر أنها تجاوزت الحد في ذلك ، لأنه إن دعت الضرورة للإعتقال ، فلا تدعو مطلقاً لتعذيب المعتقل ، بوضعه تحت الخيام ، ومنع معالجته إذا مرض ، وعدم سؤاله عن تهمته ، ووضعه في سجن الإنفراد ، من قبل أن يوجه إليه سؤال !

وعلى الحكومة أن تفهم أن الأمة ، التي يربطها مع الترك علاقة الدين والعوائد ، لا تستبدل هذه العلاقة بسهولة ، ولا تنساها في وقت قريب . وعلى ولاية أمورها أن يعطوها الزمن الكافي لأن تندب حظها ، وتبكي حالها . ولا تحاسبها على شيء من ذلك ، إلا إذا تحول البكاء والندب إلى أعمال تضر بها . هنالك تعاقب فاعلى هذه الأعمال بأشد العقاب .

وعليها - مع ذلك - أن تجتهد في استرضاء الأمة ، بأن تمنحها من الحرية والعدل ما لم تكن تتمتع به تحت تلك الرابطة . ولكنها إذا اعتمدت على الشدة وحدها في معالجة تلك الحالة ، فإنها تخطئ خطأ عظيماً . فوافق سعادة النائب على هذه الأنوال .

[ص ١٢٦٦]

في ٢٠ سبتمبر سنة ٩١٥

زارني أمس محمد بيك أبأظة ، ورجاني أن أرجو في شأنه عدلى باشا ورشدي باشا لأن يستميلا نحوه عظمة السلطان . فوعده بذلك . وزارني الدوكتور ألفريد عيد ، وتكلم معي في قضية كيشار المرفوعة للقضاء ، وقص عليّ طرفاً مما ورد ذكره آنفاً في هذه القضية .

وأراد إستطلاع رأى فيما يجب ؟ فقلت : لا شئ يُعمل الآن إلا إنتظار ما يأتى به القضاء ، لأن كل سعى قد يعود بالخسران . ولا أدري لماذا اهتم بأخذ رأى فى هذا الخصوص !

ثم حضر بعد العشاء إبراهيم باشا سعيد ، وشكرى باشا . وتكلمنا فى بعض المواضيع الزراعية .

ثم حضر محمد يوسف المحامى ، وتطرق الكلام إلى نقص القانون فى عدم معاقبة الموظفين فى غير المصالح العمومية مما يشبهها^(١٥٨) ، كالأوقاف الخاصة ، والبنوك ، والشركات ، وغيرها — إذا ارتشوا وعملوا أعمالا مضرة بهذه المصالح . وقد ملت إلى وجوب حماية هذه المصالح بعقوبات خاصة .

إشتد مرض العيون بالحرم أمس ، ولكنه خف اليوم ، ولم تنم البارحة . لطف الله بها .

نشرت جريدة الأهرام أمس جملة بأمضاء زكريا نامق ومحمد بيك سليمان، أعضاء فى الجمعية التشريعية عن بنى سويف ، يمتدح فيها حديث رئيس النظار المنشور فى هذه الجريدة من بضعة أيام . [ص ١٢٦٧] ونشرت اليوم جملة أخرى ، لمحمد بيك خطاب المحامى ، فى هذا المعنى ! ولعل الصلة التى بينه وبين توفيق رفعت ، أخ صادق بيك كاتم أسرار دولة الرئيس ، لها دخل فى نشر هذه الجملة — كما ظن بعض الناس !

وبهذه المناسبة نقول : إن هذا الحديث لم يصادف الإستحسان الذى كان ينتظره صاحبه فى نفوس الناس ! ولا يكون لمثل هذه الجمل قيمة ، حتى تصدر من أرباب النزاهة والفضل ، وقتما يكون فى الإمكان نشر

(١٥٨) قراءة ترجيحية .

أضدادها وحتى تكون كثيرة ، من معارف متعددة .

في ٢٢ سبتمبر سنة ٩١٥

أمس نشرت الأهرام جملة رابعة لكاتب يدعى حسن شريف ، وهي في موضوعها أحسن ما كتب وأشد إيلاما للمصريين .

توجهت أمس إلى زراعة دسونس ، فاستقبلني مديرها أحسن إستقبال . وبعد أن شربنا القهوة عنده ، ركبت مع حتاتة بيك عربية لمن يدعى على نجاتي ، حتى وصلنا القرية . فوجدنا حالتها غاية في الإهمال ، خصوصاً مباني القرية . وعلمنا أن أكثر الأطيان تروى بمياه الراحة في زمن النيل ، إذا كان لها فتحات بالخندق وترعة (. . .)^(١٦٠) التي كانت تدعى [ص ١٢٦٨] سابقاً بحر الاحكار^(١٦١) .

وقد علمت أن البعض يريد إستئجار بعضها ، فأمرت الكاتب أن يأخذ طلبات الراغبين ، ويكتب لي كشفها .

ورأينا حولها أرضاً تبلغ مساحتها سبعة أفدنة ، متخلفة من إبطال ترعة الخطاطبة ، وفيها مياه غزيرة من الشع ، وبها بردى وحشائش أخرى مما تنبت عادة في المياه الراكدة أو مياه الشع . وقيل لنا : إن مفتش الري أبدى رغبته في بيعها ، وأن يسمح للمشتري أن يأخذ ردماً من حافة الخندق لردمها به .

كما علمنا أن قطعة الأرض ، التي في آخرها من الجهة الغربية ، بيع منها نصف فدان بالمزاد ، وقد علم^(١٦٢) بالبيع عبد الله ، ولم يرد الأخذ

(١٦٠) أسم غير مقروء .

(١٦١) هكذا تقرأ .

(١٦٢) في الأصل : «وعلم» .

بالشفعة .

فتأسفت لهذه الإهمالات . ولما عدت ، كلمت محمد باشا محمود في شأن الفتحات ، فكلف رشوان بيك أن يتخاير مع حضرة باشمهندس المديرية في شأنها ، وفي أن ينهيها (١٦٣) في ظرف يومين . ثم عازمت على شراء تلك الأرض ، وتصليح مباني القرية على قدر الأماكن .

وقد أشار على محمد محمود أن أتوجه إلى إسكندرية ، لتلافي ما عساه يكون قد غير الخاطر الشريف السلطاني من جهتي . ولم يزد عن ذلك ! فتوجهت في القطار المفتخر ، ووصلت السراى في الساعة ثلاثة وأربعين دقيقة ، فوجدت جعفر والى باشا عند عظمته إلى الساعة أربعة ونصف . ثم جاء محمود فخرى وقال : إن عظمته دخل الحرم ، لكونه منهوكا من التعب ، وعلم - بعد دخوله بوجودكم . وهل تريد البيات [ص ١٢٦٩] في إسكندرية أو تسافر الليلة ؟

قلت : إني حضرت على نية العودة ، ولم آت مستعداً للبيات - خصوصاً وإن تركت حرمى مريضة - فإذا أمكن أن أقابله الآن ، أو بعد مجلس النظار ، أمكننى أن أعود الليلة في أى قطار ، أو في قطار الصعيد . فعرض على أن نتوجه لعيادة سعيد المريض . قلت : حتى أعرف ردا من عظمته !

فذهب ، ثم عاد قائلاً : إن عظمة مولانا يسلم عليكم ، وليس في الإمكان أن يقابلكم الليلة . فإذا بقيتم باكرا يمكن .

قلت : باكراً في أى وقت ؟ فلم يجب ! قلت : الأحسن أن أعود الليلة لمريض الحرم ، ثم أرجع بعد . ونزلت معه إلى سعيد ، وعدناه .

(١٦٣) قراءة تقريبية .

٢١٧٧

وفي أثناء جلوسى فى أودة التشرىفات ، حضر الوزراء ، إلا الرئيس ، وإلا فتحى^(١٦٤) .

وفهم عدلى منى ما جرى فى خصوص المقابلة ، فتبسم تبسم العارف بشىء ، وسلم على وفيه برودة ! فلم أتحمل وقلت بصوت شديد : سلم زى الناس ! أنا كنت معاك إمبارح ؟

ثم جلس ، وتكلم فى حادثة وقعت له وهى أنه ألقى عليه يد عصاة من جلد ، فارتاع منها ، وظنها قبلة ، ولم يطمئن إلا عقب أن حضر الحكمدار .

وقد انتظرت حتى دخل الوزراء عند عظمته ، ثم نزلت مع محمود ، وبعد زيارة سعيد شربنا قهوة فى الكلوب .

ثم عدت إلى مصر فى الساعة العاشرة . وعند نزولى من القطار زلقت رجلى ، فسقطت من العجلة وأعرجت^(١٦٥) وساعدنى ، وأقامنى راغب الحاجب . وكان خلفى [ص ١٢٧٠] موريى مدير الضبط ، وما سألنى عن شىء بعد أن نهضت ومشيت أعرجا متألما .

وقد كلفت محمود فخرى أن يطلب تحديد جلسة لى ، فقال : أليس الأحسن أن تعود أنت بعد ثلاثة أو أربعة أيام ، أولى من أن تبقى تحت تحكم عظمته ؟ قلت : أبقي تحت تحكمه خير لى^(١٦٦) !

(١٦٤) إبراهيم فتحى باشا ، وزير الأوقاف .

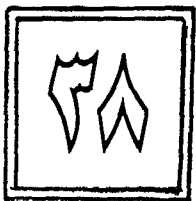
(١٦٥) يقصد : محمود فخرى باشا ، تشرىفات السلطان حسين كامل ، أو الأمين الأول .

(١٦٦) أى : وأصبت فى قدمى .

(١٦٧) لم يلتزم سعد زغلول طويلا بهذا الرأى ، فقد تغلبت عليه كرامته وعوامل أخرى سنراها فى الكراسة ٢٦ .

٢٢٩

٢١٧٩



الكراسة السادسة والعشرون

الجزء الثانى

٢٣١

الكراسة السادسة والعشرون

الجزء الثاني

من ص ١٣٥١ - ص ١٤١٧

من ٢٥ سبتمبر ١٩١٥

إلى ١١ أكتوبر ١٩١٦

محتويات الكراسة :

- رواية سعد زغلول عن أسباب غضب السلطان حسين كامل عليه .
- نفى سعد زغلول فكرة دخوله الحزب الوطني .
- قرار سعد زغلول بعدم استرضاء السلطان ، مع قبوله بمخاطر هذا القرار .
- عرض شركة التأمين الإنجليزية على سعد زغلول تعيينه رئيسا لمجلس إدارة فرعها في مصر .
- اعدام على صالح عبد اللطيف ، المعتدى على إبراهيم فتحى باشا .
- اعتراف فيليبيدوس بتلفيق مؤامرة المنصورة .
- خلاف في مجلس إدارة الجمعية الخيرية الإسلامية حول فصل

- محمد نجيب الهلباوى المدرس بمدرستها ، والمتهم فى قضية الاعتداء على حياة السلطان حسين كامل يوم ٩ يولية ١٩١٥ .
- تنكر أحمد لطفى السيد لمبادئه الأولى .
- توسط عدلى باشا للمصالحة بين السلطان حسين كامل وسعد زغلول .
- مقابلة سعد زغلول للسلطان حسين كامل وتصفيه الخلاف .
- الاكتئاب لجرحى الحرب البريطانيين ، واستياء السلطان لتهافت الناس عليه .
- اقامة سعد زغلول فى عزبة مسجد وصيف .
- انتخاب سعد زغلول عضوا فى مجلس ادارة الجامعة المصرية .
- هجوم السنوسى على مصر .
- عودة سعد زغلول إلى لعب الورق وبداية محنة جديدة من يثاير ١٩١٦ إلى أغسطس ١٩١٦ .
- غرق اللورد كتشنر وأصداء ذلك فى الشعب المصرى .
- تفكير سعد فى الاقتراض من السلطان والبنك العقارى .
- تفكير سعد فى التعيين مستشارا بوزارة الأوقاف خلفا لحسن صبرى .
- انتقال سعد زغلول إلى مسجد وصيف من ٧ أبريل ١٩١٦ إلى ٦ أكتوبر ١٩١٦ .
- مشكلة لجنة بورصة الاسكندرية .
- انتهاء خدمة جراهام ، مستشار الداخلية ، ورفض سعد زغلول حضور الاحتفال بتوديعه .

[ص ١٣٥١]

٢٥ سبتمبر سنة ٩١٥

حدث في هذا العام ثلاث حوادث فوضوية :

محاولة شاب ، يدعى عباس خليل ، اغتيال عظمة السلطان ،
باطلاق النار عليه عند مرور موكبه من أمام « قرّة قول »^(١) عابدين ،
عندما كان ذاهبا لزيارة بعض ذوى البيوتات القديمة .

ومحاولة آخر في اسكندرية اغتيال حياته بإلقاء قنبلة على عربته ،
عندما كان متوجها لصلاة الجمعة .

وطعن إبراهيم باشا فتحى بسكين ، ثلاث مرات فى كتفه وفى
وجهه^(٢) ، عندما كان يريد السفر إلى الصعيد من محطة مصر .

(١) أى : قسم عابدين . وقد حرف العامة هذا اللفظ إلى : « كراكون » .

(٢) فى الأصل : « وفى وجهه بسكين » . وقد حذفنا « بسكين » ، لسابق

ذكرها .

توالى هذه الأعمال الفظيعة شغل بال الحكومة كثيرا ، وأخذت تبحث وتنقب عن مصادرها ، واشتدت في البحث والتنقيب بعد وقوع الحادثة الثانية . وشايع ذلك أن اتصل بعلمها عزم جماعة من المنصورة على إحداث ثورة في البلدان ، والإتيان بأعمال تساعد الترك ، وتوقع الإنكليز في الارتباك .

وقد اهتمت^(٣) الحكومة لذلك كل الاهتمام ، وألقت القبض على الكثير من الناس الذين اشتبهت في أمرهم ، ورأت أن تعتقل أيضا بعض التلامذة — خصوصا الذين سبق الحكم عليهم بالطرد^(٤) من مدرسة الحقوق ، لتخلفهم عن الدروس يوم أن زارها عظمة السلطان — كما اعتقلت^(٥) كثيرا من رجال الحزب الوطنى . وكانت علتها^(٦) أن الأولين أثبتوا بغياهم عن المدرسة استعدادهم للشر ، وأنهم أهل لإيقاعه ، والآخرين سممو الأفكار بكتاباتهم وأقوالهم ، وأنه من مصلحة البلاد إعتقالهم اتقاء لما عساه يقع [ص ١٣٥٢] منهم .

ولما علمت بذلك ، تكلمت مع رشدى باشا في شأن اطلاق سراح التلامذة ، اكتفاء بما وقع من العقاب عليهم ، لأن في اعتقالهم شيئا من الإرهاق والقسوة ، اللذين^(٧) لا يفيدان إلا كسر الخواطر ، وتنفير الناس من حكومته .

ثم لما علمت باعتقال المكباتى ومحرم رستم ، وكان الأول من زملائى في الجمعية التشريعية ، وطلب منى حسن خيرى بيك أن أسعى بكلمة

(٣) في الأصل : « فاهمت » .

(٤) في الأصل : « بالطرد عليهم » .

(٥) أضفنا : « كما اعتقلت » لسلاسة العبارة .

(٦) في الأصل : « بعله » .

(٧) في الأصل : « الدين » .

٢١٨٥

خير لدى رشدى بخصوصه ، وكان الثانى أعرفه من زهاء الثلاثين سنة ، وتوليت الدفاع عنه مرة فى قضية جنائية - كلفت صدقى بك^(٧) ، الذى كان مسافرا إلى اسكندرية ، أن يرجو رشدى باشا فى الإسراع بالنظر فى أمرهما ، والإفراج عنهما ، إن لم يكن هناك ما يوجب استمرار السجن عليهما .

تقابل صدقى مع رشدى ، ولم يكذ يبلغه الرسالة حتى قال له : إن المسئلة تحولت على النيابة ، وأصبح الشأن فيها لها .

ثم بلغ عظمة السلطان ذلك ، فتكدر منه ، وأرسل مع أمينه الأول مؤاخذه لى على ذلك . فرأيت من الواجب أن أعرض لعظمته الحقيقة بنفسى ، واستعطفه . فأخر مقابلتى ، وقدم عليها عاطف وفتح الله .

ولم يقنعه ما عرضت من أسباب شفاعتى ، بل يظهر أنه تأول كل كلامى إلى غير قصدى ، حتى ما كان منه واضح المراد ! فلم يعجبه قولى - جوابا لتأله من عمل بعض السفهاء - إن العقلاء يقدرون عظمته قدرها ، ولو كان لهم سبيل لابتداء آرائهم^(٧) ، لرأى عظمته منهم كل ما يسره ، ولكن السبيل أخذ عليهم بعدم انعقاد الجمعية^(٨) . ففهم أن هذا اعتراض منى على عظمته - كما فهمت ذلك أخيرا من رشدى .

ولقد رجوت رشدى - بعد ذلك - فى على باشا فهمى^(٩) ، إجابة

(٧) محمد صدقى بك ، أخو محمود صدقى باشا عدیل سعد زغلول .

(٧ م) فى الأصل : آراءهم .

(٨) أى لم يکنوا من التعبير عن تقديرهم للسلطان بسبب عدم انعقاد الجمعية التشريعية .

(٩) أى رجوت رشدى من أجل على باشا فهمى .

لطلب شكرى باشا وصالح صقر [ص ١٣٥٣] وإسماعيل حمدى التلميذ ، أخى حرم الباجورى ، إجابة لرجاء أخته . وفى تلميذ من مدرسة المهندسخانة ، إجابة لرجاء أخيه وأبيه . وفى تلميذ من مدرسة الحقوق يدعى رياض ، إجابة لرجاء والدته التى حضرت فى البيت ، وبكت واستبكت أهلى بكاء مرا . وفى أمين الرافعى ، لرجاء أبيه الشيخ الكبير .

ومع ذلك ، فما كنت أزيد مع رشدى عن قولى : إذا كان من الممكن الإفراج عن فلان ، كان الإسراع فيه محمودا . وما كنت ألح عليه - خصوصا فيمن يقول لى عنه : إنه ليس من الممكن اخلاء سبيله .

يظهر أن رشدى باشا بلغ السلطان بما وقع منى بالنسبة لهؤلاء ، كما بلغه بالنسبة للآخرين . وانضاف إلى ذلك أن محمود أبا النصر ، نقيب المحامين ، وشئ للسلطان بأن أسعى - ليل نهار - فى تخليص رجال الحزب الوطنى ، لأحل منه محل شاويش وفريد !

فرية كاذب حسود جاهل ! لأنى لم أشفع فى هؤلاء بصفة كونهم رجال حزب ، بل بصفة كونهم أشخاصا ، أعرف بعضهم بكرم الأخلاق ، وبعضهم أحببت فيه داعى النجدة .

أما الحزب الوطنى ، فلست من رجاله ، وأنا أول رجل عاداه^(١٠) هذا الحزب ، وآذاه بجرائده وخطبه ، أيام كان محمود أبو النصر ذيلا لمصطفى كامل ، وعضوا من أعضاء حزبه . وما على الذين لا يعرفون هذه الحقيقة إلا أن يطالعوا جرائد الحزب الوطنى ، وخطب رجاله ، يجدونها مملوءة من الطعن فى أخى وغيرنا .

(١٠) فى الأصل : « عداه » .

ولو كان في ميل للأحزاب ، لدخلت حزب الأمة ، وهو يضم كثيرا من أصدقائي^(١١) . أو لبحثت^(١٢) عن رئاسة الحزب الوطنى قبل أن يفشل ، وتذهب ربحه ، وتنقطع برجاله الأوصال . وما الذى يشوقنى لمركز فريد : أغربته أم حاجته ؟

[ص ١٣٥٤]

ألا إن الذين افتروا هذه الفرية لمغفلون فى خبثهم ، وحقى فى افترائهم . ولكن يظهر أن هذه الفرية — رغما عما فيها من الحق — قد أثرت على نفس السلطان ، فانقبضت منى ، وأحس بهذا الانقباض محمد باشا محمود ، فأشار على — يوم الثلاث الماضى ، حيث كنت زرتة وأنا ذاهب إلى عزبى — بأن أتوجه إلى اسكندرية ، وأقابل السلطان ، إحباطا لعمل أولئك الخبثاء . ولم يزد على ذلك .

فذهبت إلى سراى رأس التين ، وطلبت المقابلة ، فلم أحظ بها . وفهمت من جواب التشرىفات ، وهيبته ، أن فى الأمر شيئا . فعدت إلى مصر وفى النفس أثر^(١٣) من هذا الإغضاء . ورجوت محمود فخرى ، الأمين الأول ، أن يطلب تحديد جلسة ، ويعلننى بها عند التفضل بها من قبل عظمتة . ولكنه إلى اليوم — ٢٦ سبتمبر سنة ٩١٥ لم يعلمنى بشيء !

وقد كان رشدى باشا حضر عندى يوم الخميس الماضى . فحكيت له

(١١) هذه أول مرة يعترف فيها سعد زغلول بهذا الاعتراف عن حزب الأمة .

(١٢) قراءة ترجيحية .

(١٣) فى الأصل : « أثرا » .

ما وقع ، فقال : إن الخطأ من محمود فخري ، لأن عظمته قال : إن كان المراد المقابلة قبل الساعة السادسة ، فليس في الإمكان ، أما بعدها فمممكن .

قال : وإن عظمته يتألم أحيانا من فخري هذا ، لأنه لم يسد مسد خيري ، ولا يحسن القيام بالأمور التي يكلف بها . وإن سأجتهد ، مع عدلى ، في أن يكون لك جلسة .

فلم أقل شيئا ، بل سكت سكوت المرتاح لهذا السعى . ولكى يخفف عنى وقع هذه المسئلة قال دولته : إن السلطان سريع الانفعال ، ولكنه طيب القلب ، ولم يكن بالغضببان منك ، ولكنه مشمزا قلت : وما علة هذا الاشمتزاز ؟ وما السبب في هذا الخفض بعد ذلك الرفع ؟ على أنه إن كان ذنبى لديه أنى تكلمت معك في بعض المعتقلين ، فلست إلا صديقى ، أناجيك كما أناجى نفسى ، وإذا أنهيت إليك أمرا ولم ترفيه رأيى ، تركت الأمر لك ، وعدلت .

أما إذا كان [ص ١٣٥٥] نُسب إلى أنى سعيت لدى غيرك ، فهو ظلم وبهتان .

ثم افترقنا ، وقد أخذت أفكر في الأمر طويلا ، وكنت بين السكوت التام عن كل سعى للاستعطاف والاسترضاء ، والسعى فيه :

يُحسّن الأول أنه يصعب على أن أعتذر عن غير ذنب ، وأن أهين النفس وأذلها طمعا في رضا لا أقدر على استدامته ، ولا أستطيع التمتع بدوام نعمته ، لأن ذلك يطلب منى تجنب أمور أجهلها ، ومباشرة أمور لا أعلمها ، ولو علمتها ربما لا أتقنها . ثم إنى آنس من نفسى ضعفا عن الجهاد والعراك ، وقناعة عن الجاه العريض والمنصب الرفيع .

٢١٨٩

ويحسن الثاني ، أننا في زمن فتنة وحرب ، يجب على الحاقل فيه أن يتقى شره بكل وسيلة لا ضرر فيها بالغير . ومن جهة أخرى فإن عظمة السلطان سريع الرضا ، وغيبظه كالبرق اللامع ، وله أياد على العائلة من قبل توليه يجب أن يتحمل منه في جانبها ما لا يتحمل من سواه . ولو لم يكن له أمل واسع في مثلي لما لحقه غضب من عملي . ولازلت حائرا بين الأمرين ، لا أدري أيهما أختار .

قد يلومني لائم بأنني لم أعدل عن الشفاعة في بعض المعتقلين ، بعد حادثة المكبات ، مع أنها كانت درسا عظيما ينبغي الاعتبار به ، والإرتداد عن مثل السعي الذي ارتجيه !

ولكني لا يمكنني أن أسكت عن نصرة الحق ، والأخذ بيد الضعيف ، ولو كان لي عدوا ! — خصوصا إذا التجأ إلى في الدفاع عنه . وإن أرى من نعم الله على أن يلتجئ الأعداء إلى في الشدائد ، لأنقذهم منها . ويكون أكبر سروري أن ينجيهم الله على يدي ، كما وقع لي مع (١٤) [ص ١٣٥٦] كثيرين .

وللحق على نفسي سلطان أكبر من كل سلطان ، فمتى تجل لي ، لا يمكنني أن أخالفه ، ولو كان في مخالفته أكبر سعادة لي . ولهذا لا يمكنني — بأي حال — أن أوافق على ظلم يصدر من الحكومة ، خطأ أو عمدا ، مهما كان بيني وبين رجائها من الصداقة والود .

نعم ، إنني لاقيت من جراء ذلك صعوبات جمّة ، وتجربمت كثيرا من الغصص ، وحرمت كثيرا من المنافع ، ولكن نفسي لا يصفوها لها عيش مع

(١٤) هذه العبارة مكررة في الصفحة التالية (ص ١٣٥٦) وقد حذفناها للتكرار .

الباطل ، ولا تخلص لها لذة في غير الحق^(١٥) . وكثيرا ما حاولت صدها عن الانفعال ، لما يصيب الغير من أذى تعديا عليه ، فلم أفلح ، بل لم يكن إلا أن تبادت في تأثرها وكان الصدد إغراء !

فإذا كان السبب في غضب عظمة السلطان على أنى تشفعت في بعض من حبسوا ، لا اعتقادي براءتهم أو لأن أهلهم استغاثوا بي ، فلا ينبغي لي أن أطمع في رضائه ! لأنى فعلت ذلك ، وأفعله ، ولا يمكنني الاقلاع عنه مادام فعله ممكنا ، والنفع منه متوهما .

نعم ! إن هذا لا يعدد أهل العصر سياسة ، وربما سباه بعضهم حماقة ! ولكن ليست السياسة أفضل صفات الإنسان ، ولا الحماقة أحسن أخلاقه ! فأفضل من الأولى العدالة ، وأحسن من الثانية إعانة الحاكم على ظلم العباد ! [ص ١٣٥٧] وفضلا عما في طبعي من النفور من^(١٦) الباطل ، والتأذى من الظلم ، فإنى قد عاهدت أمتي - أيام الانتخابات - أن أكون مدافعا عنها ، ساعيا في رفع شأنها ما استطعت إلى ذلك سبيلا . وقلت في الجمعية التشريعية دائما : أنا رجل وضعت فكري وبياني تحت تصرف أمتي ، فلا يمكنني أن أخالف هذا العهد أبدا - رضيت الحكومة عني أو غضبت !

وإنى أكون خائنا لهذا العهد ، إذا قضت على علاقة الولاء للسلطان ، والصدقة لأكبر وزرائه ، أن أسكت في حق ، أو أنطق في باطل !

(١٥) أى لا تجد لها لذة في غير الحق . وكان سعد زغلول قد كتب عبارة : « ولا تحلو لها حياة » ، ثم شطبها .
(١٦) في الأصل : « عن » .

ولقد عقدت النية على اعتزال السراى إذا لم يفد سعى رشدى ،
الذى وعدنى به من تلقاء نفسه ، فى القريب العاجل . لا انتقاما من
عظمة السلطان ، لأنه أكبر من أن يتأثر بهذا ، وأنا أضعف من أن
أحاوله ، ولكن لأربأ بنفسى عن الذلة والانكسار ، وأترفع بها عن أن تنال
ارتفاعا بانخفاض !

صحيح أن فى ذلك ما يشمت الأعداء ، ويؤذى بعض الأقارب فى
مصالحهم . ولكن لا يصح أن أكيد الأعداء بتصغير الخلد ، وخفض
جناح الذل ! وأن أنفع آثارى بضعة نفسى ، والخط من قدرى ! ثم إنى
أرى فى التقرب ، بعد ذلك الابعاد ، خفضا من شأن الأمة التى أنا أمثلها
بصفة كونى وكيل الجمعية التشريعية .

ولقد يكون من وراء هذا الاعتزال الاعتقال ، لأنه أصبح سهلا ،
لا يُطلب له سبب إلا إرادة ولى الأمر ! فاللهم إن السجن أحب إلى
[ص ١٣٥٨] من الاستخفاف بأمتى ، وعدم الاحتفاظ
بكرامتى^(١٧) .

(١٧) هذا الحوار بين سعد زغلول ونفسه ، يوضح تماما أن زعامة سعد للأمة
كانت قد نضجت على نار الحرب العالمية الأولى ، وما تعرضت له الأمة المصرية من
محنة على يد الحماية والحكومة . كما توضح أن سعد زغلول كان قد اختار جانب الأمة
فى الصراع النفسى الذى كان يتجاذبه بين السلطة ، بكل ما فيها من حماية له
ولاهله ، والأمة - بكل ما يترتب على ذلك من محنة تلحقه شخصا وتلحق أهله .
ونحن هنا أمام ارمصاصات ما وقع فى أعقاب انتهاء الحرب ، عندما تصدى سعد
زغلول على رأس رفاقه للدفاع عن الأمة والمطالبة باستقلالها .

شاعت إشاعة بأن في الحكومة من يميل إلى استعمال التعذيب مع بعض المتهمين ، الذين تكون أدلة الإدانة توفرت ضدهم من اعترافهم أو كتاباتهم أو أخذهم متلبسين بجرمهم ! فلم أصدقها ، لمنافاة ذلك للعدل الإنكليزي . ولقد قال لي - بهذه المناسبة - حافظ بيك رمضان : إن الطريقة لحمل المتهمين على الاعتراف عمن يكون اشترك في الجريمة معهم ، هي العمل على ما يضعف الإرادة فيهم ، من الإكثار من سؤا لهم ، والإطالة في التحقيق معهم ، ومضايقتهم بنقلهم من مكان إلى مكان - إلى غير ذلك .

ولقد قرأت الليلة في جريدة المؤيد ، ملخص ما جرى بجلسة اليوم التي عقدها المجلس العسكري ، لمحاكمة صالح عبد اللطيف ، الذي طعن إبراهيم فتحى باشا يوم ٤ سبتمبر سنة ٩١٥ جملة طعنات في محطة مصر . ورأيت أن هذا الجاني ، بعد أن اعترف عقب ارتكاب الجريمة بجرميته ، وأنه كان مصمما على قتل رئيس الوزارة رشدى باشا ، وثروت باشا وزير الحقانية ، بكل جرأة ووقاحة - عاد اليوم ينكر فيه قتل الاثنين ، ويتلمس الأعذار لتخفيف العقوبة عنه !

والظاهر أن ذلك نتيجة ضعف الإرادة عنده . ولا يبعد أنه ، إذا طالبت المدة عليه ، يعترف بشركائه ، وبمن وزع عليهم مبلغ الثمانمائة جنيه ، الذى اختلسه قبل الواقعة بيومين .

ولو كان العمل على القانون الإنكليزي ، فإن التحقيق فى هذه القضية [ص ١٣٥٩] يكون باطلا . أما إذا كان العمل بالقانون المصرى ، فإنه يكون صحيحا ، ولكن لا تكون العقوبة بالإعدام . ولا أظن المجلس يلقى بين القوانين ، فيعتبر التحقيق صحيحا بناء على القانون المصرى ، ويحكم بالإعدام بناء على القانون الإنكليزي !

٢١٩٣

على أنه لا يصح أن يطبق القانون الإنكليزي ، لعدم نشره على المصريين ، إلا أن يقال بأنه ، في حالة وضع البلاد تحت الأحكام العرفية ، يكون القانون عبارة عن إرادة القائد الذي وقعت الجناية في دائرته . ولم أدرس هذه المسئلة . وسأدرسها !

٢٩ سبتمبر سنة ٩١٥

توجهت إلى^(١٨) عزبة وصيف أمس ، وأبديت بعض الملاحظات للذين يشتغلون في المنزل . ورأيت القطن أقل رداءة مما كنت أتصور قبل . وسأوم تاجر من المنصورة في الغلة^(١٩) على مائة وخمسين قرش ، ودفع العربون ، على أن يكون الخيار لنا مدة يومين . وأبدى مثل هذه الرغبة تاجر من تفهنا العزب . وقد كنت تركت العينة لعرضها على تجار روض الفرج ، فلم يقبلوا أن يشتروه بالوزن . ولذلك عولت على أن لا أبيع الآن وأن أتمهل قليلا من الزمان .

حضر رشدي باشا اليوم ، وما رأيت من اللياقة أن أزوره ، لأنه إن كان فعل ما اقترحه ، ونجح فيه ، كان بادر إلى إخباري . وإذا لم يكن نجح ، فريارته إعانات . وعلى كل حال ، فقد عولت أن أترك الأمر لله يتصرف فيه^(٢٠) [١٣٦٠] بحكمته ، وفائق قدرته .

وصلتني أمس دعوة من المحافظة ، بخصوص حضور الاحتفال بالكسوة غدا ، في الساعة ١٠ . ورأيت أن لا أذهب لعدم العادة ، ولكي لا يتوهم أني قصدت التملق لرشدي باشا ، الذي سراس هذا الاحتفال بالنيابة عن السلطان .

(١٨) أضفنا « إلى » لتصويب العبارة .

(١٩) هكذا في الأصل ، ويقصد : المحصول .

(٢٠) أضفنا : « فيه » .

ولقد أعلم أن خطة الاعتزال الذى اخترتها لنفسى تفضى إلى نتائج مكروهة ، أو مضرة - ولكنها أخف على وأسهل من ذل الاقتراب والرضا بما لا يرتاح إليه الضمير .

بعد كتابة هذا ، حضر عندى عدلى باشا ، وتحادثنا مليا فى شأن غضب السلطان . فأكد لى أن عظمتة لم يفتحه فى هذا الشأن ، وإنما علم به من رشدى ، وأن الخطأ وقع من محمود فخره ! فقلت : أريد أن أفهم ذلك ، ولم أجادل رشدى فيه ، ولكنى كلّفت محمود فخرى بأن يلتمس لى تحديد جلسة ، ونخبرنى بها ، وإلى الآن لم يصلنى منه خبر . قال : إنه سيفاتح السلطان فى الأمر ، لأن له شأنًا كبيرا فيه . ولكنه يعتقد - على حسب ما يعلم من حالته - أن سبب غضبه منى لا يعدو أن يكون أمرا آخر غير الرجاء فى مشكلة المكباتى .

قلت : لا أعلم شيئا غيره ! قال : سمع من أحد أصدقائك فى الجمعية التشريعية ، أنه يريد انعقادها ، حتى يسأل الحكومة عن سياستها . فربما توهم أنك تقاسم صاحب هذا رأى رأيه ! قلت : هذه الفكرة لم تدر بخلدى ، وليس موضوع هذه المسئلة من خصائص الجمعية . وعلى فرض أن يكون هذا رأى رأى فليس فيه ما يغضب السلطان .

ثم فهمت منه أن السلطان تأثر من رشدى لأنه أفرج عن المكباتى ! وقد أجاب^(٢١) السلطان بأنه لا يسوغ إطالة السجن على نائب الأمة ، من غير سبب . فقال عظمتة : [ص ١٣٦١] وكذلك أباطة^(٢٢) من نواب الأمة ، وأمر باعطائه حرية التنقل فى مديريته . واتخذها^(٢٣) لازمة

(٢١) أى أجاب رشدى باشا السلطان . وفى الأصل : « وأجاب » .

(٢٢) يقصد : إسماعيل أباطة باشا .

(٢٣) أى : اتخذها السلطان .

يرددها عند كل مناسبة !

وفهمت منه أيضا أنه سيفرج عن بعض المعتقلين ، لأن رشدى باشا كان استشاره في هذا الأمر ، فقال : لا معارضة عندي في الإفراج . ووعده بأن يعرض عليه الأسماء للوقوف على من تقتضى حالته اطلاق سراحه .

وفي ختام السمر قال لى عدلى - وقد رآنى منفعلاً من غضب السلطان : لا تهتم كثيرا فهى سحابة ، وتزول عما قليل ! قلت : إني لا أطمع الآن فى شيء ، فإن مراكزكم لأتخذون عليها . وللسلطان أن يفهم أنه الآن مخوف ، لا مرجو ! ولكنه فى مثل حالته يخاف من أضعف الناس .

وقد تألم لى^(٢٤) من دنلوب ، وطول حديثه ، وكثرة تردده فى الأمور ، وبطء فهمه ، وقال : إن المستشار الحالى يسير الآن على خطة معتدلة ، وطريقة مملوءة من الذوق وحسن المعاملة ، على العكس مما كان من قبل .

قد كان حضر ، قبل عدلى باشا ، زكى باشا من قبل رشدى ، ليفهمنى حقيقة المعاملة التى جرت مع عائلة المرحوم قاسم أمين . فلهذا ، ولما تبينته من حديث عدلى ، غيرت رأيى فى حضور الكسوة ، وحضرت ، ولم أر من أرباب الحيشيات إلا إبراهيم رفعت باشا ثم محمود أبو النصر . وكان الاحتفال باردا ، والمتفرجون قليل .

عاد فى عربتى شكرى باشا ، وشكى من اضطهاد عظمة السلطان لنسييه عبد الغنى شاكى ، وبحثه عن رفته ، وتعيين مصطفى عبد الرازق بدله ، حتى إن شيخ الجامع ، بعد أن أحسن الشهادة فيه أمام عظمته ،

(٢٤) أى تألم عدلى باشا يكن من دنلوب . وكان عدلى يكن وزيرا للمعارف العمومية .

عدل فطلب رفته في اليوم التالي ! ورجاني أن أرجو عدلى في أن يتشفع له ، وقال إن رشدى وعده أن يعينه في مكان آخر ، فقال له : إذن الأحسن نقله إلى ذلك المكان ، ولو اقتضى ذلك قليلا من الأيام ، لأنه لا خطر في بقاءه .

[ص ١٣٦٢]

سافرت العزبة يوم أول أكتوبر سنة ٩١٥ ، وتلاقيت في القطار مع الدمرداش^(٢٥) وشخصا يدعى طرخان بك من صهرجت الصغرى . ولم نفتح الحديث خارج الزراعة^(٢٦) وبعض الشؤون الخاصة .

وقد أقمت بالعزبة ليلتين ، وحضرت أمس صباحا . ولم أشتغل بشيء ، ولا افتكرت في شيء هناك مدة هذين اليومين ، إلا في عمارة البيت ، وأشغال الزراعة .

بعد عودتي ، وجدت خطابا من وكيل شركة التأمين الإنكليزية ، يطلب فيه مقابلي . فتكلمت معه بالتليفون ، وحضر اليوم ، فقال : إن الشركة التي يمثلها ، لها مركز في لوندرة ، وتريد أن يكون لادارتها التي في مصر ، مجلس إدارة يتألف من أجنب ، ويكون مرءوساً بأحد أصحاب النفوذ . وقد وقع الاختيار على مدير بنك الأنجلو ايجبسيان ، ومدير بنك الأوريان ، ومقص بك سميكة . وطلبني بصفة رئيس . وسيتعين لكل مرتب ، ولكن لا يكون حصته في الربح إلا بعد نهاية الحرب . وتعين المرتب وبقية المشروع تكون بالمخبرة بينك وبين

(٢٥) الدمرداش هو الشيخ عبد الرحيم الدمرداش ، العضو المنتخب في الجمعية التشريعية عن القاهرة .

(٢٦) في الأصل : «خارج عن الزراعة» .

٢١٩٧

الشركة مباشرة . قلت : إن المسئلة تستحق التأمل ثم أخبرك بعد ثلاثة أيام . وانصرف . ويلوح لى أن المشروع ليس مما يرفض . فى (٤ أكتوبر سنة ٩١٥)

اجتمع عندى أمس ٤ أكتوبر ، كل من شكرى ، وطلعت ، وصدقى . وكنت علمت من قبل أن مجلس الأزهر قرر رقت عبد الغنى ، وأن حسن باشا جلال عارض أشد المعارضة فى رفته ، وتعيين حسن صبرى . وقدم مذكرة طلب اثباتها فى المحضر .

ورأيت شكرى متأثرا من رقت نسيه ، وميثوسا من أصدقائه فى الوزارة ، الذين أعلنوا بعدم استحقاقه للرفق ، ثم لم يتجرأ واحد منهم على الشفاعة فيه .

وقد قال طلعت : إن صالح [ص ١٣٦٣] لطفى^(٢٧) ، الذى حكم عليه بالإعدام ، كان أحضر إليه فى التحقيق حرا من القيد ، ولم يكن حاضرا سوى رشدى وثروت . ثم علم بعد ذلك أن عظمة السلطان غضبان من هذا الاطلاق^(٢٨) . وأشير عليه^(٢٩) بأن يسترضيه ، خشية أن يبلغ الغضب به إلى الأمر برفته ! فذهب ، وعرض عليه أن هذه عادة المتهمين فى التحقيق ، يحضرون بلا قيد ، ولكنهم يقيدون بعد انصرافهم إلى السجن . فأظهر له الرضا بهذا الإيضاح . ولا يعتقد أن أحدا - غير رشدى - ألقى هذه العبارة إلى عظمته . فقال شكرى : إنه ربما فعل ذلك خشية أن يسبقه أحد إلى روايته !

نفذ حكم الإعدام أول أمس على صالح عبد اللطيف ! وقال

(٢٨) يقصد : عدم تقييد المتهم .

(٢٩) أى على طلعت .

« هارفى » لشكرى باشا : إنه كان ثابت الجنان ، لم يظهر شيئا من التأثر ، ورفض أن يقابل أى إنسان ، حتى أباه . وقال طلعت : إن ما نشره بعض الجرائد من كون رشدى وثروت قابلاه فى السجن قبيل إعدامه ، صحيح . والغرض من هذه المقابلة كان الحصول منه على اعتراف بما يكون له من الشركة مع الغير ، فأبى أن ييوح بشيء كل الإباء ، رغما عما بذلاه من الوعود الخلابه !

وقال طلعت : إن فيليبيدوس أخبره بأنهم لم يعلقوا أول الأمر أهمية على مسئلة المنصورة - أى المؤامرة التى زعموا انعقادها ، ولم يكونوا يريدون التبليغ عنها لاعتقادهم أنها ملفقة ، ولكن رشدى باشا اهتم بها كل الاهتمام عندما علم بها . ثم إن الضابط الروسى بطل الرواية فيها ، أصله من فلسطين ، وكان هرب ودخل الجيش الإنكليزى . فتعرفوه ورفقوه منه واعتقلوه .

أخبرنى محمد بيك يوسف أن أحمد بيك رافت ، نائب مستشار قضائى فى نظارة الأوقاف ، أكد له ما بلغنا عن سعاية محمود بيك أبى النصر لى عند السلطان ، [ص ١٣٦٤] حيث قال له : إن سعد باشا ييى فى الشبان روح جاویش وفريد ! ويفتكر فى أنه قال إنه بلغ الأمر إلى عظمة السلطان أو أنه سيبلغه . وأن رافت بيك روى هذا إلى عبد العزيز بيك فهمى ، لكى يحذرنى منه ، إذ لم يكن له هو على من تردد يسمح له ذلك . فقلت لمحمد يوسف : ولكن عبد العزيز لم يخبرنى بشيء من ذلك ! ولعله لاحظ مصلحة صديقه محمود ، أو أنه وبخه على سعائته واكتفى بهذا التوبيخ . والمستقبل كشاف الغيوب . ولقد قلت لمحمد يوسف : من هم أولئك الشبان الذين أثبت هذه الروح فيهم ؟ وما هى روح جاویش وفريد ؟ إن هذا افتراء عظيم . (٥ أكتوبر سنة ١٩١٥) .

٢١٩٩

حضر عندى عاطف أمس ، وقال لى : ألا تريد الذهاب إلى اسكندرية ؟ قلت : لا أريد ، لأنى أشعر بانكسار فى قلبى ، ولأنه لا يمكننى أن أوافق على ظلم ، ولا أن أتقرب بباطل . وقد كنت أول الأمر ذا أمل فى العدل وتوزيعه ، ولكنى أصبحت الآن - بما رأيت وسمعت - منقطع الأمل ، ولا يحلولى مبدأ من يقول : من أحسن لى وأساء إلى غيرى كان من المحسنين ! بل أنا مع من يقول : من أساء إلى وأحسن إلى الناس عدده من المحسنين ! ولقد حركت هذه العبارة فى نفسى شجوناً ، وأثارت كثيراً من الأوهام .

كتبت إلى محمد باشا محمود ، من سبعة أيام ، أرجوه أن يفيدنى عما تم فى مسألة مياه الراحة ، والنفقات اللازمة لها . فلم يجب لغاية الآن . وقد أرسلت إليه مع على بىك عمر يوم الأحد الفائت ، وشكرى باشا يوم الاثنين . ولا أدرى ما السبب فى التأخير عن الجواب . والله أعلم بالصواب .

ما أخرج مركز من كان فى هذه الأمة ذا نفس عالية وهمة ، [ص ١٣٦٥] محبا للخير العام ، مخلصا لمصلحة بلاده ، صادقا فى قوله ؟ إنه لا يحلولى ماؤها ، ولا تصفو له سماؤها ، إذ يكون معرضا لمعاداة كثير من الطبقات ، إلا إذا صانع ووارب ! ولا يتفق ذلك مع صفاته التى فرضناها فيه .

إذا جرينا على قول من قال : دعها سارية^(٣١) تجرى ، ولا تبينن إلا خالى البال ، ألا يكون معنى ذلك أنه لا محل للتضامن بين الناس ، وأن كل واحد منهم يجب أن يعيش بمعزل عن الآخر لا يشعر بألمه ،

(٣١) وقد تقرأ : « سارية » ، بل هى الأرجح ، والمعنى : دع الأرض تجرى

٢٢٠٠

ولا لذته ، ولا يحس بنعمة غمرته ، ولا بنقمة أصابته ! وهل هذا شيء آخر سوى عيشة الإنعام ، وحياة الهوام ؟

وإذا جرينا على قول الحديث : « المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا » ، ألا يجزّ ذلك إلى التعصب الممقوت ، والتعرض لأخطار لا قبل للواحد بها ، خصوصا إذا لم يعمل الكل به ، بل تهاون الأكثر فيه ، فإن ذلك يكون خطرا كبيرا على من طبق سيرته عليه .
(في ٦ أكتوبر)

٨ أكتوبر (٣٢)

أمس ، ٧ أكتوبر ، توجهت إلى (٣٣) العزبة ، وعدت مساء ، بعد أن باشرت أشغال العمارة والزراعة . وقد علمت عند العودة بنزول أسعار القطن عما كان عليه أول أمس .

وفي صبيحة اليوم ، قالت لي حرمي : إن عائلة خليل جاهين حضرت باكية ، تستغيث بي لأنهم اعتقلوا زوجها والأولاد الأربعة ! قلت : إني متأسف لعدم إمكاني أن أفعل شيئا لها ، فقد توسطت لغيره ولم أنجح ، ولم تبق المودة بيني وبينهم . وأحسن شيء التوسل بالله .

[ص ١٣٦٦]

علمت من بعض الجرائد أن رشدي باشا حضر أمس إلى العاصمة ، فأردت الاستفهام منه عما فعل مع السلطان في خصوص ما وعد به من تلطيف خاطره ، فتكلمت معه بالتليفون رغبة مقابله ، فقال إنه سيحضر عندي ما بين الساعة ثلاثة وأربعة ، وإني انتظر في هذا الميعاد .

(٣٢) غير مكتوبة في الأصل .

(٣٣) « إلى » غير موجوده في الأصل .

٢٥٢

٢٢٠١

ثم قال لى إنه كان يريد أن يتكلم بالتليفون معى لأن بلاغا ورد إليه
بأنى أتأمر على قتله مع آخرين ! فضحك وضحكت ، وقلت : ليت
قاتليك مثلى !

وإلى الآن لم يحضر الساعة ٤ بعد الظهر يوم ٩ أكتوبر سنة ٩١٥ .
وقد علمت بعد ذلك أنه سافر فى قطار الساعة ٤ ! والظاهر أنه نسى وعده
على حسب عادته !

أطلق سراح خليل شاهين وأولاده اليوم ، وحضر عندى شاكراً لما
أظهرته نحوه من الانعطاف . فقلت له : إنى لم أفعل شيئاً أصلاً لك
ولكنى فى الحقيقة رثيت لحالك ! وقال : إنه لم يعلم إلى الآن سببا
لسجنه ، وقيل له إن سجنه بأمر من الداخلية . ولم يتمكن من مقابلة
رشدى باشا ، ولم يجدوا عند تفتيشه شيئاً سوى صورة عظيمة ثمينة
للخديوى السابق ، فأخذوها ، مع كتاب عن تاريخ مصطفى كامل .
فقلت له : إن الأحسن لك أن تعتكف فى عزبتك ، اتقاء الفتنة (فى ٩
أكتوبر) .

فى ١٠ أكتوبر سنة ٩١٥

أصبحت اليوم منقبض الصدر . متكسر الأعضاء . وبحث عن
أطلس جغرافى^(٣٤) ألمانى كان عندى ، فلم أهتد إليه ، مع أنه كبير
الحجم ! ولم أدر أين موضعه .

ورأيتنى أفكر فى تغير عظمة السلطان منى ! فتارة يخطر ببالى أن
أكتب إلى رشدى (. . .)^(٣٥) ، وتارة يأتينى أن أذهب إلى إسكندرية ،
[ص ١٣٦٧] وتارة أميل إلى السكوت وتفويض الأمر إلى وليه !

(٣٤) فى الأصل : « جوغرافى » .

(٣٥) عبارة غير مقروءة ، وقد تكون : « الرجوع إلى عظمته نفسه مرة ثانية » .

٢٥٣

وماأنا براج خيرا ، ولكنى أتوقى شرا . ومع ذلك فإن العزة لتأخذنى عن مباشرة أسباب هذا التوقى إلا بالبعد عن مساقط الشبه ، ومواقع التهم . أما بالتوسل والضراعة فلا أكره للنفس منه ، ولا أبغض إليها من توهمه .

وليس أحب إلى الآن من عيشة الخلا ، والاعتزال عن الناس ، واليعد عن مواطن النفاق ، ومجالات القيل والقال ، وملاقاة الوجوه الكالحة ، والصور المتبجحة ، عن قراءة الصحف المضللة والمغفلة^(٣٦) .

فى ١١ أكتوبر سنة ٩١٥

أمس ، انعقدت جلسة مجلس ادارة الجمعية الخيرية ، تحت رئاسة الأمير يوسف^(٣٧) ، وبحضور هلباوى ، ولطفى ، وعلى رفاعى ، وأحمد مصطفى ، ودرويش سيد أحمد ، وحسن عبد الرازق ، وعبد الله وهبى .

ولاحظ كل من عبد الله وهبى وأحمد مصطفى ، عند تلاوة محضر جلسة يوليو ، أنه لم تعرض على الجلسة مسألة المدرس الإنكليزى ، وشروط تجديد الاتفاق معه على بقاءه مدرساً فى مدرسة الشيخ صالح ، بمرتب ١٨ جنيه شهريا . وتقرر ، بعد مراجعة أوراق تلك الجلسة ، إعادة المداولة فى هذه المسألة ، والتصديق على التجديد ، لوضوح الأمر أمامه .

ثم عرضت مسألة رفت بعض الموظفين فى مدارس الجمعية ، ومنهم ناظر مدرسة اسكندرية . فسئل مدير التعليم عن السبب الذى أفضى إلى رفته ؟ فلم يفصح أول الأمر ، ثم قال : إن خطته فى تحقيق مسألة القنبلة

(٣٦) يقصد سعد بكلمة « الصحف المغفلة » الصحف التى تفترض فى القراء

الغفلة ، فتستغفلهم !

(٣٧) الأمير يوسف كمال .

٢٢٠٣

كانت خطة سيئة ، فقد دلت على جهله بأخلاق رؤسائه ، حيث كان يؤكد كل التأكيد أن هلباوى ، أحد المدرسين - حميد السير والسيرة ! وظهر لدولة رشدى باشا وثروت باشا ، وغيرهما ممن حضروا التحقيق ، [ص ١٣٦٨] أنه جاهل ولا يليق أن يكون ناظر المدرسة (٣٨) .

وقد دلت لهجة قوله وإشاراته (٣٩) على أن رفته كان بإيعاز ! ولقد وجدت ، مع هلباوى بك ، أن سبب الرفت بهم ، وأنه لا يمكننا أن نصدق على شيء لم نقف على أسبابه كل الوقوف . فقلت : إننا نريد أن نعرف الأسباب ، حتى إذا كانت وجهة صدقنا ، وإلا استشفعنا فيه . والأولى أن نقول فى القرار الذى يصدر منا ، إنه من حيث

(٣٨) لكى نفهم هذه المسألة ، فإنها تتعلق بحادث القاء القنبلة على موكب السلطان حسين فى الإسكندرية يوم الجمعة ٩ يولية سنة ١٩١٥ من أحد المنازل المطلة على شارع رأس التين .

فقد أسفر التحقيق عن اتهام تسعة من الشبان بتدبير الحادث ، وهم : محمد نجيب الهلباوى (وهو الذى ورد ذكره فى المتن) ومحمد شمس الدين ، ومحمد فريد ، ومحمود عنایت ، وشفیق منصور ، وأحمد سابق ، وعبد الفتاح يوسف ، وعبد الله حسن ، وعلى صادق . وقد استقر رأى النيابة على ادانة اثنين منهم ، وهما محمد نجيب الهلباوى ومحمد شمس الدين . وحوكما أمام مجلس عسكري بريطانى ، فحكم عليهما بالإعدام شتقا ، وصدق القائد العلم للقوات البريطانية ، السير أرشبلد مرى ، على الحكم ، ولكن السلطان حسين طلب تخفيفه ، فأبدله القائد العام بالأشغال الشاقة المؤبدة (الرافعى : ص ٢٦) .

وقد عاد محمد نجيب الهلباوى ليشترك مرة أخرى فى اغتيال السير لى ستاك يوم ١٩ نوفمبر ١٩٢٤ ، وهى الجريمة التى أسقطت وزارة سعد زغلول ، واعترف على زملائه .

(٣٩) أى : قول وإشارات مدير التعليم . وقد أضفنا «وقد» .

٢٥٥

أن رفت المذكور حصل في ظروف استثنائية ، فلا ينبغي لمجلس الإدارة أن يبحث في الأسباب ! فقام حسن عبد الرازق ممتعضاً ومستشيطاً غضباً ، وقال : إن في هذه الصيغة استنكار لعمله^(٤٠) وجرحاً لشخص اشتغل تسع سنوات لخير الجمعية ! قلت منفعلاً : إن هذا النوع من المناقشة غريب ! ليس في هذه الصيغة استنكار لعملك ، ولا جرح لذلك الشخص ، لأن شخصك خارج عن الموضوع . ولو أننا نريد استنكار عملك لعرضنا به . ولا نقصد جرح ذلك الشخص الذي نقدره ولكننا نريد أن نضع إرادته السامية فوق أبحاثنا . وهذا غاية في التأدب والاحلال .

وقد كان الهلباوى يؤيدنى بعض التأييد ، أما لطفى فكان يتلاعب بالقول . وبعد أخذ ورد في هذه المسألة ، تقرر التصديق على الرفت - على خلاف رأى ورأى الهلباوى .

وقد رأيت لطفى يميل مع الهلباوى إلى تضيق دائرة التعليم الثانوى ، والاقبال من قبول أولاد الفقراء فيه ، بحجة كثرة عدد المتعلمين ! ويميلون أيضاً إلى إلغاء مساعدة العائلات البائسة !

فعارضت في ذلك ، واستغربت هذه الروح - خصوصاً من لطفى^(٤١) ! [ص ١٣٦٩] وبعد انتهاء الجلسة ، عند الانصراف ، أخذ حسن عبد الرازق يستعطفنى ، ويعتذر . فلم أظهر كل الارتياح لاستعطافه .

(٤٠) أى : لعمل حسن عبد الرازق ، لأنه هو الذى كان مديراً للتعليم في الجمعية .

(٤١) لا يملك محقق هذه المذكرات إلا أن يستغرب أيضاً هذه الروح من أحمد لطفى السيد ، الذى كان يؤكد على التعليم كوسيلة للارتقاء بالأمة ، وموصل لها إلى الاستقلال التام .

٢٢٠٥

وركبت مع علوى ولطفى ، وأمضينا السهرة معا . وأيد لطفى حسن
فى كون الصيغة التى وضعتها للقرار فيها استنكار لعمل هذا الأخير .
ورأيته قد غير كل مبادئه التى عرفتھا ، فلا يتألم لظلم وقع على غيره ،
ولا لشرنال سواه . وانعكست الآمال التى كانت تبدو منه فى كتاباته
وأقواله ، حتى وجدت الرجل غير الرجل . وزهدت فى صداقته ،
وخطأت نفسى فى تكذيب من كانوا يطعنون عليه بالتلون فى المذهب ،
والاتجار بالمبدأ ! (فى ١٢ أكتوبر)

فى ١٣ أكتوبر

سافرت العزبة أمس مع عبد الله باشا وهبى . وأشار ببناء مصل
للمزارعين ، وبعض أمور فى العمارة : بناء سلم للسطوح ، وفتح منور فى
بئر السلم ، وبناء سلم للخدامين . وأمرت بأجراء بعض التعديلات .
وعدت فى اليوم ذاته ، وتقابلت فى العودة مع الدمرداش ، ولم
نخض فى حديث خارج عن الزراعة إلا قليلا ، على طريقة لم تحرك جدلا
ولا مناقشة . (فى ١٣ أكتوبر سنة ١٩١٥)

فى ١٤ أكتوبر سنة ١٩١٥

نمت أمس فى الساعة ١٠ ، وتيقظت سبعة ، وكنت منقبض الصدر
نوعا . وجاء التحليل حسن النتيجة .
ولا أزال فى نزاع مع نفسى بين الاستعطاف ، والإعراض ، والتزام
جانب الاعتزال التام .

سألنى كثير من الناس عما أذاعته بعض الجرائد حديثا ، من العزم
على تعيين فتحى باشا وزيرا للحربية ، وتعيين مكانه وزيرا للأوقاف .

وكننت أجيبهم بأن لا علم^(٤٣) [ص ١٣٧٠] لى بشيء من هذا ،
وأن معلوماتى تدل على امتناع حصوله ، أو بُعده ! وبأنى أفضل لنفسى
البقاء فى هذا الانزواء ، لأنه أوفى بمزاجى ، وأنسب براحتى .

ولم يكن جوابى بهذا المعنى ، جريا على عادة الكثيرين من التظاهر
بالتعفف عن الأمر مع شدة الرغبة فيه ، بل كان مطابقا لما أجده فى
نفسى . إذ الوزارة تستلزم فى الأحوال الحاضرة سياسة يستحيل على أن
أجرى عليها ، لمخالفتها لطبعى ومبدئى^(٤٤) وللعهد الذى أعطيته لأمتى
يوم أن اختارتنى للنيابة عنها .

الوطنية فضيلة فى جميع الأمم ، إلا فى الأمة المصرية ، فإنها أكبر
رذيلة ، والمتحلّى بها فيها أحق جاهل !

الوطنية الأجنبية يتغنى بها المصرى ، ويعدد مآثرها ، ويعجب
بمظاهرها فى الخارج ، ولكنه يمتقتها فى أخيه ، ويعدها جهلا وحقا .

يحارب الحلفاء دول الوسط لأنها تريد التسلط عليهم ، والانفراد
بسياسة العالم . ولا يرضى أصدقاؤهم منا أن نقلدهم فى هذا الإباء .

قال لى علوى باشا ، فى السهرة التى أوردت ذكرها سالفا ، إنهم
عدّوا عليك أن قلت لبعضهم : إنك تميل إلى الاستقلال !

سافرت يوم السبت ١٦ أكتوبر إلى عزبة مسجد وصيف ، وعدت
منها الأحد مساء . ثم سافرت الاثنين صباحا إلى دمنهور ، وقابلت
المدير ، ورأيت أن وزارة الأشغال [ص ١٣٧١] كلفت الهندسة فى
البحيرة أن تعمل مباحث^(٤٥) عن مياه الراحة اللازم أخذها : إما من

(٤٣) عبارة : « بأن لا علم » مكررة فى الصفحة التالية . وقد حذفناها .

(٤٤) فى الأصل : « ومبدأى » .

(٤٥) أى : أبحاث .

ترعة البشنويطى ، أو من ترعة الخندق . فعملتها ، ورفعتها إليه برأى يفيد أن الأوفق عمل هذه الفتحة فى الثانية^(١٦) . ولكن المهندس الذى أجرى المباحث يرى العكس .

وفهمت من وكيل المديرية أن رأى الباشمهندس لكونه يملك أطيانا على ترعة البشنويطى ، ويخشى أن يضرها إجراء الفتحة من هذه التربة . ولقد علمت من المدير أنه تكلم مع المفتش ، ولكنى أشك فى ذلك ، وأن الذى عمل هو سرى باشا .

وفهمت منه أيضا أنه متضايق من الضغط عليه ، لأنه كلف بأن يطلب رتبة للمنياوى ، فامتنع ، وقال للسلطان إنه يمكنه أن يمنحه بلا واسطة . ولكن رشدى باشا قال : إنه يستحق الرتبة ، لكونه أدى خدمات فى الجمعية التشريعية . وامتنع المدير ، لأنه كان سمسارا للمدير السابق !

قال لى : لولا صعوبة الموقف لاستعفيت ! فقلت : تصبر ولا تضجر .

ثم ذهبت إلى اسكندرية ، ووجدت اسماعيل سرى مع زملائه عند رستم ، فخرج إلى فى قاعة الاستقبال ، ووجدته قد اهتم بالمسألة ، وبحثها ، وتشبع برأى الباشمهندس فيها . فأقنعت برأى المهندس . ووعد أن ينهى المسألة بعد العيد . وتردد فى مخبرة المفتش عن الإذن بالفتح مؤقتا لحين انتهاء المباحث .

وبعد الغذاء ، ذهبت إلى عدلى ، وفهمت منه أنه تكلم فى مسألتى مع السلطان ، وأنه وعده أن يرسل إلى ، وأكد له أنه لا شئ عنده بالنسبة إلى . ولكن عدلى سأل سعيد ذو الفقار عن ذلك ، فقال إنه لم يرسل لى .

(٤٦) أى من ترعة الخندق .

ثم أشار على شعراوى بالذهاب إلى السراى غدا - يوم ١٩ منه . فذهبت ، ووجدته^(٤٧) على قدم الذهاب إلى زيارة والدته ، حيث حدد لذلك الساعة ١٠ ، ولكنه لم يذهب إلا الساعة ١١ إلا بعض دقائق . وقال لى سعيد ذو الفقار أن أحضر غدا حتما . فأبدت التردد ، فآلح . وفى الغد ، ذهبت ، فأخذ سعيد يعتذر بأن السلطان مريض ، وأنه لا شيء عنده ضدك . ثم نودى إلى السلطان ، فذهب ، واستمهلنى . ثم عاد ، فأدخل مظلوم وسعيد ، ثم راتب باشا ، ثم أنا .

[ص ١٣٧٢]

ولما قدمت على عظمته ، نهض ومشى بعض خطوات ، وأخذ يتكلم عن مرضه ، والحرارة الملازمة له ، وأن الطبيب أخذ دما من أصبعه ليحلله ويتبين سبب الحمى . وأن عائلته وبناته أصبن ببعض الشيء ، وأن ذلك من فساد هواء السكن .

ثم انتقل إلى حرب البلقان ، وما سببته^(٤٨) من الإشكال . ويظهر من خلال كلامه الاضطراب من نتائجها^(٤٩) وكان يتخلل كلامه شيء من السكوت ، خصوصا عند انتقاله من موضوع لغيره . وكان لا يحدق فى رأيته ضعيفا ، ناحل الوجه ، شاحب اللون ، وأصبعه مربوط بشاش أبيض .

وانتهزت فرصة سكوت عرض ، فقلت : مولاي ، إنى أشعر بتغير خاطرکم الشريف ، وما علمت لذلك من سبب !

(٤٧) أى : وجد السلطان .

(٤٨) فى الأصل : « وما سببه » .

(٤٩) فى الأصل : من نتيجته .

٢٢٠٩

فقال : إن هذا وهم ، ولا شيء عندي قبل حضورك إلى اسكندرية أخيرا ، ولكنك حضرت في وقت ضيق ، لم أكن متمكنا فيه من مقابلتك ، لقرب انعقاد مجلس الوزراء ، ولزوم المكث بعده زمنا مع المستشار المالي ، وقبله مع رشدي باشا ، للمداولة في المهام التي أكون تدرستها في البحث . ولكن قيل لي أنك تريد أن تقابلني قبل الساعة ستة ! ولما كان ذلك غير ممكن ، لم أتمكن من القبول .

فقلت : معاذ الله يا مولاي أن أكون أردت التحكم في وقتك ، وإلزامك بأن تقابلني في وقت معين . وإنى وازع نفسي وعائلتي تحت تصرفك ، فلا يمكن أن أريد إلا ما تريد ، ولا أفعل ما لا ترضاه . ولكن بلغني أن قوما وشوا بي لديك ، وكانت حرمي مريضة مرضا شديدا ، فلعمد ضياع الوقت ، تركتها مريضة ، وحضرت لإزالة ما حدث من أثر الوشاية .

فقال مقاطعا : لا تصدق بأني أصغى للوشاية ، أو أن للناس تأثيرا على أفكاري ، ولم يكن عندي شيء . وإنما بلغني أنك تدافع عن حسين محرم ، بعد أن قلت لي ، وقلت لرشدي : إنه دنيء سافل ! وكيف يليق برجل ، كان رجل سياسة عظيماً^(٥٠) مثلك ، أن يدافع عن مثل ذلك الدنيء ؟ إنى لا أحب خراب البيوت ، ولكن يلزم أن يكون الإنسان على مبدأ شريف لا يتحول ، لا أن يكون اليوم على مذهب وغدا على آخر !

فثقل عندي سماع هذا التفريع ، وانفعلت ، ولكن تصبرت ، وألزمت نفسي السكون . وقلت : مولاي ، المبدأ الشريف هو الذي دعاني لأن أساعد ذلك الرجل ، لأنه التجأ لإستشاري . ولا يصح - في

(٥٠) في الأصل : « عظيم » .

٢٦١

عدلكم - أن يكون الطعن فيه سببا في غضب كتشنر والخديوى منى ،
واخراجى من وظيفتى - والدفاع عنه [ص ١٣٧٣] سببا في تغير
خاطرکم الشريف ؟

وما فعلت شيئا سوى كونى أشرت عليه بأن لا يحضر فى القضية
المدنية ، التى كانت مقامة عليه أمام المحكمة المختلطة .

قال : إنه ينادى فى كل مكان أن له محاميا عظيما ، ومدافعا مهما !
قلت : إني لم أقل إنه ليس مذنباً ولا مجرماً^(٥١) ، ولكن^(٥٢) أقول :
إنه آخر المجرمين ، وأولهم الخديوى السابق ! فلست متناقضا مع نفسى !
قال : ويقال إن أحمد لطفى أفرج عنه بعد الاعتقال بمساعيكم ؟
قلت : هذا افتراء ، ولا علاقة لى بأحمد لطفى ، ولا أعرف من
اعتقله ، ولا من أفرج عنه ! ولكنى أعلم أن محامين انكليزيين ، وأحدهما
الذى يدافع عن المجرمين السياسيين أمام المجلس العسكرى - سعى له فى
الإفراج ، ونجح مسعاه . أما أنا فلا دخل لى مطلقا . وشعرت أن
هذا هو بيت القصيد !

ثم قال : وإن الهلباوى اساء أمس فى الدفاع عن أحمد خيرى ،
وتتبعته مرافعته فى قضيته ، فما فهمت منها شيئا مقبولا . وأخذ يطعن
على خيرى باشا طعنا شديداً ، ثم قال : إن إبراهيم راتب نقض العهد
وأخرجنى^(٥٣) أمام الإنجليز ، لأنه بعد أن ذهب إلى إيطاليا ، توجه إلى

(٥١) فى الأصل : «مذنب ولا مجرم» .

(٥٢) فى الأصل : «ولكن» .

(٥٣) كان إبراهيم راتب بك ، وهو زوج إحدى الأميرات ، قد سجن بطرّه
أربعة أيام ، لاتهامه بتدبير مؤامرة ضد السلطان حسين كامل ، ثم أخرج من السجن =

٢٢١١

الآستانة ، ودخل جيش الترك ، وحارب الإنكليز انتقاما لخروجه ، وكان يخاطب اسماعيل شيرين الذى كان متحدا معه . ولا بد من نفى هذا أيضا ، ولا يمكن أن يبقى .

ثم تدرج من هذا إلى الطعن على الأمة المصرية — بما لم أجب عليه . ومنه إلى الآستانة ، وبانفصال يوسف صديق عن الخديو ، بسبب مسألة ثلاث آلاف جنيه^(٥٤) وإلى تنازل الخديوى عن الخديوية حتى يرتب له الإنكليز مرتب . وإلى التماس محمد على ، أخيه ، العودة إلى مصر — مع الإشارة بأن هذا لا يكون ! وإلى ما كان يبذله من النصائح للخديو فى شأن يوسف صديق ، وعدم اصغائه اليها ! فقلت : وقد رأى عاقبة مخالفته !

وعلى أثر ذلك نهض ، فأردت تقبيل يده ، فامتنع بحجة أن ذلك مخالف لعادته ! ثم رضى ، وهمهم بالسلام على العائلة .

= على شرط عدم البقاء فى مصر والسفر إلى الخارج . ولما كان باقيا يومان على ميعاد سفر الباخرة ، فقد حجز فى منزله تحت الحراسة ، إلى أن سافر مع حسين شيرين . وقد سافر إبراهيم راتب إلى « ويانة » لمقابلة الخديوى عباس حلمى ، ومنها سافر مع زوجته إلى الآستانة .

أما إسماعيل شيرين فقد كان سكرتيرا لمحمد سعيد باشا ، ثم كاتباً بمجلس النظر ، وهو شقيق حسين شيرين ، زوج إحدى الأميرات المصريات ، الذى كان عديلا لإبراهيم راتب ، وقد نفى معه إلى روما . (انظر أوراق محمد فريد ص ٤٧ ، ١١٩ ، ١٨٥ ، ٢١٢ ، ٢٩٦) وكلمة « وأخرجنى » قراءة اجتهداية .

(٥٤) كان الخديوى عباس حلمى قد حصل فى أثناء نفيه على خمسة ملايين فرنك ليصرفها فى فرنسا وإيطاليا ليشتري الصحف وبعض النواب ورجال السياسة لحساب ألمانيا ، وفصل فرنسا عن أنجلترا لعقد صلح انفرادى مع ألمانيا . وكان يوسف صديق هو وسيط الخديوى ، وقد احتجز يوسف صديق لنفسه مائة ألف =

٢٦٣

وانصرفت شاكرا إلى سعيد ذو الفقار وعدلى ورشدى ، [ص ١٣٧٤] فقال لى كل من الآخرين : أحسنت فيما فعلت . ثم عدت إلى كلوب محمد على ، حيث تغذيت . ومن هناك أخذت قطار الساعة أربعة ، وعدت إلى مصر .

ثم حضر ، بعد العشاء صدقى وهلباوى ، وحكى لهما طرفا من مقابلتى . وقال لى الثانى : إن السلطان لما فاتحه فى دفاعه عن حسين محرم وخيرى ، امتعض هو . ونهض واقفا ، وقال : هل يجب يا مولاي أن نستأذن فى الدفاع عن الناس ؟ وأخشن له القول . وهو يستغرب كثيرا من هذه الخطة (٥٥) .

ولم يحدث شئ بعد ذلك يستحق الإثبات ، سوى أن هذا العيد كان حزينا عند جميع الناس ، ولم ينتعش له أحد كالعادة .

= فرنك ، أودع منها فى بنك زيورخ ٧٥ ألف فرنك ، وصارح أحمد شفيق بحقه فى الانتفاع من المشروع قائلا : « لماذا لا ننتفع أيضا ، إني أنا الذى تحدثت مع وزير خارجية ألمانيا ، وأنهيت المسألة ، فإذا أخذنا نحن أيضا ثلاثة آلاف جنيه فهو قطرة من بحر ! على أن الخديوى حجز على المبلغ فى بنك زيورخ ورفع قضية على يوسف صديق باشا بمبالغ كانت للخاصة للخديوية عنده ، وسويت المسألة بأن دفع يوسف صديق المبلغ للخديوى بعد أن تنازل له هذا عن عشرين ألف فرنك بقية مرتبه ! والطريف أن الخديوى عباس حلمى إدعى للألمان أنه صرف المبلغ الذى حصل عليه فيما كلف به ، واحتجج لنفسه بمبلغ مليون وستمائة ألف فرنك . ثم اضطر إلى دفعه (أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ، القسم الثالث) . وكان أحمد شفيق فى رفقة الخديوى .

ويلاحظ هنا أنه إذا كان السلطان حسين كامل قد عرف فى مصر قصة الخلاف بين عباس حلمى ويوسف صديق ، ومبلغ الثلاثة آلاف جنيه فمعنى ذلك أن خاصة الخديوى كانت تفشى له أسرار وأخبار حاشيته .

(٥٥) كان أحمد خيرى باشا وحسين محرم باشا قدامتهما جنايا : الأول عن مبالغ =

٢٢١٣

وقد نشرت الجرائد أن كريمة عظمة السلطان ، الأميرة سميحة ،
ستدخل على خطيبها اسماعيل غدا ، في حفلة خاصة من الوزراء
والعلماء .

وقد نعت أخبار اسكندرية وفاة المرحومة السيدة توفيقه ، حرم عبد
الرحيم باشا صبرى ، بعد داء أعيا الأطباء . وقد شق نعيها خصوصا على
حرمى ، فإنها كانت لها صديقة صادقة . وهى تبكى الآن وتذرف الدمع
مدرارا ، على ما بها من ضعف فى الصحة والعيون . (فى ٢٣ أكتوبر سنة
١٩١٥ الساعة ٥ بعد الظهر) .

فى ٢٤ أكتوبر

تكلم معى من يدعى محمد بك الوكيل من دمنهور ، بأنه اشترى
قطن مستأجرى عزبة دسونس ، بسعر ٤٧٠ قرش القنطار . فقبلت
ذلك ، وكلفته أن يدفع ، قبل الاستلام ، إلى البنك الأهلى بدمنهور إلى
حسابنا مبلغ ٥٠٠ جنيه ، وأن يشعرنى البنك تلغرافيا بهذا الإيداع .
وبأن يدفع الباقى عند الاستلام . وكلفته بأن لا يدفع لأحد غير البنك
المذكور .

فى الساعة ٣ تسير جنازة حرم عبد الرحيم صبرى من محطة مصر ،
وأنا ذاهب الآن إليها .

[ص ١٣٧٥]

فى ٢٥ أكتوبر

حضرت الجنازة ، وقد رأيت فيها خلقا كثيرا من المنوفية ، وقليلًا من

= صرفت من الأوقاف الخديوية وقت إدارته لها ، والثانى عن مبالغ من دائرة سيف
الدين التى يديرها . وقد حكم ببراءة الاثنين .

٢٢١٤

مصر ، وعلمت أن وكيل المديرية لما جاءه من المدير نعى حرمه ، جمع ذلك الجمع الغفير . ورأيتهم هناك بعد العشاء .

لغاية الآن الساعة ٤ ، لم يرد خبر من مشترى القطن فى دمنهور . ولم يحضر الكشف المطلوب .

فى ٢ نوفمبر

شرح السير مكماهون ، نائب جلالة الملك ، فى اكتاب عام بالقطر المصرى الجرحى الحرب البريطانيين . وعقد لذلك احتفالا باسكندرية ، وآخر فى القاهرة ، خطب فى كل منها خطبا طويلة ، فى بيان مزايا الصليب الأحمر ، والخدم التى يؤديها ، وإن حاجته إلى المال إنما هى للأمور الكمالية التى تسلى الجرحى ، لا للوازم الضرورية التى تقوم الحكومة بتوفيرها على غاية ما يرام .

وما بلغت هذه الدعوة حكام الأقاليم ، حتى قاموا يحثون الأهالى على الاكتاب . فأخذ الناس يقبلون عليه ، ويتشاورون فيه ، ويتزايدون عليه ، حتى بلغ المجموع مبلغا عظيما ، قدرناه بمائة ألف جنيه على التقريب .

ولكن الذى ساعد على ذلك الإقبال هو الرهبة من الأحكام العرفية وتنفيذها — وإن لم يهدد بها الحكام فعلا .

وقد قابلت السير مكماهون أمس ، فأحسن استقبالى ، ورأيته مسرورا من نتيجة الاكتاب . ولمحت له بمبالغة وزارة الزراعة فى تقدير محصول القطن ، فقال : إن الآراء منقسمة فى ذلك ! فقلت : ولكن رأى الوزارة رأى الأقلية !

كما أشرت إلى عدم ثقة المزارعين بها ! فقال : إن ذلك جارى فى كل البلاد . وبعد ذلك انصرفت ، مودعاً منه بأجل عبارة .

٢٦٦

[ص ١٣٧٦]

وتوجهت إلى محطة مصر ، حيث استقبلت عظمة السلطان . وقد احتشد لاستقباله خلق كثير جدا ، وكان من بينهم من لم يسبق له وجود في مثل هذه الاحتفالات . وقد سلم عظمته على ضباط الجيش الإنكليزي قبل العلماء ! ولم ينب أحد عن نائب الملك في هذا الاحتفال ، وهتف له البعض عند مروره بالشارع الموصل من المحطة إلى عابدين ! وكان يصافح المستقبلين واحداً فواحداً إلا القليل .

وقد ذهبت اليوم إلى عابدين ، فقل لي : إن عظمته تعاطى شربة ! ولم يخرج للقاء الزائرين .

وحضر الهلباوى ، فذهبت معه لعيادة الشيخ عبد الكريم^(٥٦) ، حيث مرض من عدة أيام مرضاً شديداً ، وتعافى منه والحمد لله . ثم عدت وحدى .

قد كنت ذهبت إلى العزبة يوم ٢٧ أكتوبر ، وحضرت منها يوم ٣١ منه ، ومكثت المدة التى أقمتها فيها مشغولاً بالعمارة والزراعة غير لاو على شىء آخر . فكنت مستريحاً جداً ، إلا من بعض الأمور التى تحدث من العمال ونضايق وقتياً . وكنت أناام باكراً وأستيقظ كذلك .

ولكنى أشعر بأن كثرة معاشرة أولئك القوم قد تفسد الفضيلة وتقسى القلب الطرى على سكان الأرياف ! لأنهم يكذبون ، ولا أمان لهم ، ويخافون ولا يختشون ! وقد عزم على العودة إلى العزبة غداً ، لمشاركة الأعمال ، وتقييم الأشغال فى العمارة^(٥٧) .

(٥٦) الشيخ عبد الكريم سلمان .

(٥٧) هذا التقييم من سعد زغلول لسكان الريف ، يذكر بتقييم الجبرى ، =

[ص ١٣٧٧]

في ٦ نوفمبر

توجهت للعزبة في يوم ٣ نوفمبر ، وأقمت بها لغاية يوم ٥ منه .
وصادفت في الذهاب والعودة الدمرداش ، وأخبرني أن في نيته أن
يخاطب السلطان في احتجاج الوزراء ، وذلك بعد أن انتقد عليهم وعلى
السير مكماهون مر الإنتقاد بسبب امتناعهم عن الناس . ولم أشاركه
كثيرا .

وبعد عودتي ، قيل لي إن سعيد ذو الفقار باشا سأل في التليفون عني
وأجيب بأنى غائب بالعزبة . وسمعت أن عظمة السلطان مسافر إلى
الصعيد تبديلا للهواء ، لأنه يشعر بنوع من التعب ولا تفارقه الحمى إلا
قليلا .

وقابلني أمس في بيت إبراهيم سعيد باشا ، عبد الله باشا وهبي .
وفهمت منه أن مجلس إدارة الجامعة انتخبني مع عبد العزيز عضوا في

= الذي كتب يقول ما معناه : « وإذا جاءهم ملتزم ظالم احترامه ووقروه ، وإذا جاءهم
ملتزم عادل سخروا منه ووصفوه بأوصاف النساء » !

وليس في ذلك ما يقلل من شأن سكان الريف ، الذين عاشوا في وسط
الأقوياء ، وكان عليهم استخدام الحيلة للتعامل معهم ، حتى يتمكنوا من البقاء .
فالأخلاق ترف لا يتمتع به - غالبا - سوى الأقوياء والقادرون !

ونلاحظ أن طريقة الفلاحين للبقاء تختلف عن طريقة البروليتاريا ، التي
تساعدنا الرابطة الضيقة التي تربطها ببعضها البعض على تنظيم نفسها ، والتصدي
بالإضراب والعنف عند اللزوم .

ومعنى ذلك أن لكل طبقة جماهيرية طريقتها للبقاء !

٢٢١٧

مجلس إدارتها . وأن إبراهيم نجيب باشا حضر الجلسة مع كونه كان استعفى وقُبل إستعفائه . وهموا بإخراجه لولا أن تشفع هو له ، فقبلوه مؤقتاً ، على نية ألا يعود لمجلسهم مرة أخرى .

أخبرني الآن سعيد باشا ذو الفقار ، بأنه تحدد لي اليوم الساعة ٤ ، للمقابلة . وفهمت من بعض عباراته أن هناك شيئاً ، لعله سفيرى بعد العلم بانحراف عظمته ، وعدم السؤال عنه . ويلزمى أن أعمل جهدى في استمالاته ، لأن تنفيذه لا يفيد ، وقد يُشمت الأعداء .

في ٧ نوفمبر سنة ١٩١٥

ذهبت إلى عابدين في الساعة ٤ بعد الظهر ، ووجدت بأودة سعيد باشا ذو الفقار محمود شكرى ، وعلى شعراوى . وانتظرت إلى الساعة ٤,٣٠ . وقال شعراوى إن رشدى دعاه اليوم إلى الداخلية ، وكان عبد الرحيم الدمرداش حاضرا ، وتكلم معه في شأن تحويل مبلغ المؤتمر [ص ١٣٧٨] الإسلامى ، أو جزء منه ، إلى الصليب الأحمر .

ثم دعيت إلى السلطان . فاستقبلنى كعادته الأولى معى ، وعاد في حديثه إلى حالته الأولى ، وشكى من ضعف صحته وهوموه ، وأبدى تخوفه من الحرب في البلقان ، وعدم ارتياحه إلى تغيب كشتنر عن بلاده بمأمورية ، لأنه يتوهم أنه قادم إلى مصر ! ثم تكلم عن صحة الملكة (٥٨) وخطورة حالتها ، خصوصا إعادة ابنه إلى لوندرة عقب إصابته .

ثم تبرأ من اعتقال الناس ، وتبرم من تعدد السلطات في البلد . وأق وزارة الزراعة نصيبها من الطعن ، وسخر من رجالها رجلا رجلا ! وامتدح مكماهون .

وقد ذكرت له أنى زرتة . وطعنت أمامه على وزارة الزراعة في

(٥٨) هكذا تقرأ ، ويقصد السلطنة .

٢٦٩

تقديرها محصول القطن ، وسوء التقاوى التى أرشدت الزراعة عنها .
 وأبدى عدم ارتياحه من تهافت الناس على الإكتتابات ، وتقربهم
 بإيفاد الوفود إلى دار الحماية ، وانتهازه مدير الفيوم ، وتعنيفه مدير^(٥٩)
 الغربية ، وكونه التجأ بعد التعنيف إلى الإنكليز ليسندوه ! ثم امتدح
 سعيد زغلول كثيراً ، وطعن فى حشمت ، وأشار إلى سعى ستورس فى
 سنده . ثم قيل له عن قدوم عدلى ورشدى ، فصرفنى وانصرفت .
 وفى المساء ، حضر عندى عدلى فى نحو الساعة ١٠ ، ولبث إلى
 الساعة ١ واحدة بعد نصف الليل . وأغلب الحديث كان فى السلطان ،
 ورشدى ، وحلمى^(٦٠) ، والأحوال العامة .

وقد ذكرت له ما بلغنى ، من كون رشدى وسعيد يتوهمان أنى أخذت
 على نفسى الدفاع عن حسين محرم لكشف السوء عن إدارتهما .
 فقال : إنه لا يعلم بشيء من ذلك .

وليس فيما جرى بشأن الأحاديث شيء جديد يستحق الإثبات ، بل
 كان أغلبه تكرارا لما كنا نتكلم به من قبل .

[ص ١٣٧٩]

قابلت اليوم رشدى باشا فى منزلى ، واستحسن دخولى فى شركة
 التأمين بصفة رئيس لجنتها الإدارية . وقال إن لها مكافئة يلزمك أن
 تشتريها ، وأن لا تكون مسئولاً عن أعمالها ، وأن تكون الشركة مأمونة .
 ونفى كونه توهم أنى أدافع عن حسين محرم بقصد كشف الغطاء عن

(٥٩) فى الأصل : انتهازه إلى مدير الفيوم ، وتعنيفه إلى مدير الغربية .
 (٦٠) يقصد أحمد حلمى باشا ، وزير الزراعة .

سوء إدارة محمد سعيد . وقال : إن سعيد هو الذى توههم ذلك ، وتكلم به . وقال : إنه سمع أن كتشنر ذاهب إلى سالونيك ، وربما تعين عضواً فى اللجنة الدولية الحربية نائباً عن دولته .

فى ١٠ نوفمبر سنة ١٩١٥

ذهبت إلى مسجد وصيف فى ٨ نوفمبر بقطار الساعة ٧ صباحاً ، وعدت منها أمس فى الساعة ٥ مساءً .

وقد كنت أظهرت لعظمة السلطان الرغبة فى عرض بعض الأمور عليه ، فتذكر ذلك ، وحدد جلسة فى الساعة ستة مساءً أمس . وكانت مقابلته جميلة ، استغرقت مدتها ٤٥ دقيقة . وجرى الحديث فيها على شؤون شتى ، يجمعها اهتمامه بمصالح أمته . وقد امتدح فتح الله وحثاته بيبك كثيراً ، وأن الإنعام على الأول بالباشا ، وعلى الثانى بالمرتبة الأولى ، وتعيينه مفتشاً لديه ، حصل منه خاصة . واعترض على تعيين بعض الضباط فى البوليس لوجود مدرسة لهم . وافتخر بالعفو عن تلامذة الحقوق ، ووعد بالنظر فى إعادتهم إلى مدرستهم . وأشار إلى تأجيل سياحته فى الوجه القبلى ، نظراً للحالة فى البلقان .

ووافق على دخولى فى شركة التأمين ، ولكن أشاء بالكلام مع رشدى حتى يستشير سسل . وكذلك على دخولى عضواً فى مجلس إدارة الجامعة ، ولكنه قال : أتقبل أن تكون تحت رئاسته ؟ (٦١) قلت :

(٦١) يقصد : تحت رئاسة حسين رشدى باشا ، الذى خلف الأمير أحمد فؤاد فى رئاسة مجلس الجامعة فى ٢٠ مايو ١٩١٣ . وفى عهده قام الدكتور محمد على باشا ، طبيب خاص الأميرة فاطمة إسماعيل ، باقناعها بأهمية المساهمة فى النهوض بالجامعة والتبرع لها ، ف تبرعت فى عام ١٩١٤ للجامعة المصرية بجهة كبيرة تمثلت فى وقف ٦٦١ فدانا من أجود أطيانها فى الدقهلية عليها ، ومنحها قطعة أرض مساحتها ستة أفدنة قرب قصرها ببولاق الدكرور ، خصصتها لبناء دار جديدة للجامعة ، كما =

إن في مثل هذه الأمور الخيرية لا عبرة بالإمтиيازات . وكان معى كالعادة .

[ص ١٣٨٠]

وتقابلت مع عدلى ، وثروت ، وشكرى محمود ، وسعيد ذو الفقار . وكانوا يتكلمون فى الترتيب بين الطبقات ، فاعترضت على تقديم رئيس المنظار السابق على رئيس الجمعية التشريعية ، فقال عدلى : إنى خذلت فى هذا الرأى . وجرى الكلام فيها^(٦٢) شاع فى الأرياف عن وصول كتشنر إسكندرية ، وتكذيبى له ، فقال شكرى : وأغرب من ذلك ما شاع هنا من كونه وصل القاهرة أمس ، الساعة ٢ بعد نصف الليل .

ولم يقل لى السلطان شيئاً عنه ، ولكنى علمت — بعد ذلك — بأنه وصل إلى بورسعيد ، وأن السلطان أجل سفره لذلك ، وفى نيته أن يعد له وليمة ، وهو معقول . وتكتم وصوله مفهوم ، حتى يمضى الوقت الكافى ما بين التاريخ الذى أعلن فيه قيامه وتاريخ وصوله . والله يجعل قدومه خيراً على مصر وأهلها !

= تبرعت بجواهر وحلى قيمتها ١٨ آلاف جنيه ، لينفق ثمنها فى إقامة هذا المبنى ، فبلغت قيمة ما تبرعت به نحو مائة ألف جنيه . كما تبرع الأمير يوسف كمال بمبلغ من المال ، وأوقف ١٢٥ فدانا من أطيانه بمديرية القليوبية للجامعة .

وقد احتفل بوضع حجر الأساس للجامعة فى الأرض التى تبرعت بها الأميرة بالدقى فى ٢٠ مارس ١٩١٤ هـ وشرع فى بناء الجامعة ، ولكن توقفت عملية البناء بعد نشوب الحرب الأولى ، واستولت الحكومة على المكان مقابل جزء من الأرض التى قدمتها إلى الجامعة لمبانيها الحالية بحديقة الأورمان بالجيزة .

(د. عبد المنعم جميعى : المرجع المذكور) .

(٦٢) فى الأصل : « فى ما » .

٢٢٢٥

حظيت اليوم بمقابلة عظمة السلطان ، فألقيته أقوى مما كان ، وأصح . وقابلني كعادته السابقة معى من المزاح ، ثم أخذ يشكو من قرار المؤتمر ، ومن تغيب أعضاء جمعية العروة الوثقى عن حضور الاجتماع ، ومن خلل الإدارة ، وتوسع سلطة المفتشين^(٧٢) ، وترك الحرية للسبوسيين ، وعدم الدقة فى انتخاب الموظفين ، وقلة الاهتمام بالزراعين ، وإهمال وزارة الزراعة أمر البذرة ، وعدم احضار آلات التبخير من سويسرة ، والإصرار على أن تكون من لوندرة ، أو أمريكا ، حتى ضاعت الفرصة ، وفاتت السنة .

فقلت له : إن وزارة الداخلية تحتاج إلى وزير وحده^(٧٣) ، ومعه كثير من الوكلاء . وكان الأولى أن يقتصر رشدى على المهام العظمى ! فقال : تلك مسألة أخرى !

وكان أكثر تبسطا ، ولكنى لا أزال أجد فيه شيئا من الماراة ! والأوفق اتقاؤه ، وعدم التعرض لأذاه ، والأمر فى الباقي إلى الله .

فى يوم ٢٦ ديسمبر

ذهبت مع العائلة إلى عزبة مسجد وصيف ، فى يوم السبت ٣ ديسمبر ، من طريق ميت بره^(٧٤) . وكان معنا حرم صدقى بيك وحرم سرهنك باشا وبناتها جلسن . وقد أقامت الثانية ليوم الاثنين ٥ منه ، ثم عادت من الطريق عينه هى وبناتها .

(٧٢) بقصد : المفتشين الإنجليز .

(٧٣) كان حسين رشدى باشا يشغل منصب وزير الداخلية إلى جانب منصب رئيس الوزراء .

(٧٤) فى الأصل : ميتبره .

٢٧٧

[ص ١٣٨٤]

وقد أعجب الكل بالمنزل أيما إعجاب . ومن المضحكات أننا كنا نأكل في أودة السفرة جميعا ، ولكن هن على المائدة الكبرى ، وأنا وجلسن على مائدة أخرى ! بحيث كنت مستديرا هن في الجلسة ! وقد طاب هناك^(٧٥) الهواء ، فلا حر ولا برد ، ولكن أخذ يتغير نوعاً من يوم ٢٤ ديسمبر .

وقد حضرت هناك رتيبة بولديها : مصطفى وعلى^(٧٦) ، بعدنا بأسبوع . ولا تزال هناك إلى الآن . وقد استفادوا من هذه الجهة كثيرا . وقد كنت حضرت في الأسبوع الفائت - أى يوم ١٩ ديسمبر - لتهنئة السلطان بعيد جلوسه ، وحضور المأدبة ، التي أقامها في مسائه بكازينو الجزيرة رشدى باشا . وكانت ليلة رسمية ، حمل فيها الوزراء ورجال البلاد ، الأوسمة الجديدة .

وحملت أنا نيشان البلجيك ، حسب رغبة صاحب الدعوة ، لأن كاتم أسرارته تكلم معى بالتليفون أن حضور المأدبة يكون بنياشين السلطنة الجديدة ، أو نياشين دول الحلفاء . وكان الناس يعجبون به ويستغربونه ، ويسألوني عنه . وقد جاء نيشان النيل الأكبر شبيها به في كثير من ألوانه الرصينه^(٧٧) . وكان القوم يهتثون عدلى باشا على حسن اختياره . وقال الكثير منهم إن نيشان النيل أبهى وأجل من نيشان محمد على الأكبر .

(٧٥) يقصد : فى /مسجد وصيف .

(٧٦) هذه أول مرة يرد فيها ذكر اسم مصطفى وعلى أمين .

(٧٧) وقد تقرأ «ألوانه الرصينة» أى «المرصعة» .

٢٢٢٧

وقد أظهر الإنكليز كثيرا من اللطف والمجاملة لى - خصوصا مكماهون وسيسل - حتى إن حلمى^(٧٨) ، الذى قابلنى أول الليل بفتور ، أخذ يتودد إلى فى آخره ، ويخاطبنى بعبارات الأخوة والوداد ! وقد تخلفت مع الوزراء قليلا ، ولكنهم كانوا يتكلفون السرور ، وعلى الأخص رشدى . وقد ذهبت مع عدلى إلى الكلوب ، ثم إلى عندى ، حيث لبشنا فى سمر إلى الساعة ٢ بعد نصف الليل .

[ص ١٣٨٥]

وفهمت من عدلى أن القوم كانوا يريدون تجنيد ٢٥ ألف جندى من مصر ، بصفة عمال فى الجيش ، ولكن حصلت معارضة فى ذلك ، وانتهت بجعل الأمر مقالة ، خشية ما يحدث فى نفوس الناس من سوء الأمر .

وفهمت منه أنه غير راض عن ضعف رشدى أمام السلطان ، وأمام الإنجليز ، وعلى الأخص « جراهم » ويشكو - من طرف خفى - من أن رشدى يبت فى الأمور من غير أن يأخذ آرائهم ، ويوافق السلطان على رغبات ربما لو ناقشه فيها لعدل عنها مع الشكر للناصح^(٧٨)

وسألنى عن علاقتى مع السلطان ، فقلت : إنها الآن - على ما أظن - حسنة . ولكن لاثقة فى ثباتها ، لكثرة ما يتغير السلطان ! ثبتها الله !

يظهر أنى سئمت عيشة الإجتماع ، وصببت إلى الوحدة ، لأنى أميل إلى سكنى العزبة ، ولا يضجرنى عدم وجود الأنيس !

(٧٨) أى أحمد حلمى باشا ، وزير الزراعة .

(٧٨ م) كلمة «الناصح» قراءة تقريبية ، وكلمة «ناقشه» ، فى الأصل ، «نقش

يوم ٢٧ ديسمبر

كنت عازمت أمس أن أعود اليوم إلى العزبة ، ولكن توفي بهجت ، أخو صدقي بيك ، فالتزمت أن أوجل السفر إلى غد .

حضر لي اليوم على بيك حسين ، وأخبرني بأنه اتفق مع عبد الحليم ، المستأجر ، أن يأخذ منه أطيانا وأرضا للبناء بما بقي عنده من الإيجار . وأن يفكه من إيجار السنة الحالية .

وقال (٧٩) إن وطنيا وروميا يريدان أن يستأجرا الأرض بسعر ٣٧٥ الفدان ، لمدة ثلاث سنوات ، مع أحقيتهما في تجديد التأجير لمدة ثلاثة سنوات أخرى ، بشرط تصديق المجلس الحسبي . ورغبا كذلك أن يستأجرا وابور الطحين بستة جنيه في الشهر ، وأنه يحول عدته (٨٠) من فحم إلى غاز ، بشرط عدم الاستمرار بعدة الفحم . وأن زوجة الرومي تملك ٤ فدان وكسور بالقرب من المنتزه (٨١) والوطني ٣ فدان .

[ص ١٣٨٨]

ولا يمكنها أن يقدمها ضمانا غير ذلك . وإنه لا أحد غيرهما يرغب في إستئجار الأرض الآن ، لأنها لم تزرع شتوى ، والظروف تقضى بإيجابية الطلب .

فقلت : لا أوافق على ذلك ، لأن فيه تغريرا بحقوق القصر ! وإذا كنت مقتنعا بصواب هذا المشروع ، فنفضه تحت مسئوليتك ! ولكن لا يكون لي دخل فيه .

(٧٩) أضفنا : « وقال » لبداية الفقرة

(٨٠) أى : « ماكيته » .

(٨١) قراءة تقريبية ، وقد تقرأ : « المنزل » .

٢٢٢١

علمت من رشدى بعد ذلك ، أن كتشنر لم يحضر ، ولكن مكسويل^(٦٣) ومكماهون سافرا إلى جهة لا يعلمها . وأكد على بكتان الخبر . وقد رأيت كثيرا من الناس يعلمونه ! ويقولون إنها سافرا ليلا إلى إسكندرية ، وأبحرا منها بعد نصف الليل إلى جهة غير معلومة !

في يوم ١٥ نوفمبر سنة ٩١٥

سافرت إلى مسجد وصيف^(٦٤) ولبثت فيها لغاية يوم ١٤ منه . وقد بت يوم وصولي في الأودة التي أعدتها في الدوار .

وفي يوم ١٢ نقلت إلى المنزل الجديد ، وبثت فيه ليلة ١٣ وليلة ١٤ . وفي يوم ١٣ غرست البستان الذي حول المنزل ، جعله الله غراساً مباركاً . والذي غرس فيه عدد ١٤٧ شجرة: عشرون من البرتقال السكري ، والباقي أجناس مختلفة من الشاموت^(٦٥) والأحمر واليوسف أفندي . وأول غراس في البستان كان يوم ١٢ منه ، حيث أحضر العمدة بعض أشجار من الخوخ والتفاح والبرقوق .

[ص ١٣٨١]

وقد كنت مسرورا من بياقي في المنزل الجديد ، ولكن رائحة البوية أثرت على أعصابي تأثيراً شديداً ، وأورثتني نوعاً من الدوار ، فحملتني على تعجيل الأوبة ، بعد أن كنت عازمة على تأخيرها يوماً . وقد عدت أمس ، فرأيت عظمة السلطان قد سافر فيه إلى الوجه

(٦٣) الجنرال السير جون مكسويل Sir John Maxwell قائد الجيوش البريطانية في مصر . وقد خلفه السير أرشيبالد مري في أوائل سنة ١٩١٦ .
(٦٤) لم يذكر سعد زغلول تاريخ سفره .
(٦٥) قراءة اجتهدية .

القبلى . ويؤكدون أنه لا يبعد في سفره عن العياط ، نظراً للأحوال الحاضرة . والناس يهمسون في الأذان بإشاعات شتى عن حضور كتشنر وحرمة أو أسرته^(٦٦) . والله أعلم .

ولقد حضرت جرائد أوروبا . ويستفاد من الإنكليزية منها أن اللورد كتشنر ، إن لم يكن استعفى فهو في حكم الاستعفاء . وهذا يستنتج من الوقائع الآتية : أولاً ، أنه قابل الملك فجأة مقابلة طويلة ، وأنه^(٦٧) لم يحضر اللجنة الحربية التى تألفت حديثاً وانعقدت فى دار رئيس الوزراء ، وأن هذا الأخير توجه إلى وزارة الحربية ، وبأشر أعمالاً فيها من غير أن يقابل اللورد كتشنر . وكلام التيمس فى شأنه يشف بجلاء أنه غير مرضى عنه ، وأنه كان فى الزمن الأخير بلا عمل فى وزارته . ويؤيد كل ذلك عدم تعيين ، ولا إيضاح ، المأمورية التى انتدب إليها مؤقتاً — كما تقول الرسميات .

والى الآن — يوم ٢١ نوفمبر — لم يكن مقرراً^(٦٨) معلوماً ، ولا ثبت بوجه قاطع أنه زار مصر ، بل الروايات مختلفة فى حضوره . والله أعلم !

٢٩ نوفمبر

يظهر أنه لم يعرج على مصر ، بل ذهب إلى أثينا وسلانيك مستصحباً معه مكسويل ومكماهون . ولم ينشر ذلك فى مصر إلا بعد وصول الأخيرين إلى هنا .

وقد عاد عظمة السلطان من فسحته يوم الجمعة ٢٦ نوفمبر ، وتحدث الناس كثيراً فى هذه العودة .

(٦٦) قراءة ترجيحية . وقد تقرأ : وغرقه أو أسره . ولكن السياق يستبعد ذلك .

(٦٧) فى الأصل : « انه » .

(٦٨) فى الأصل : « مقرر » .

[ص ١٣٨٢]

وقد ذهبت يوم السبت صباحا إلى عابدين . ثم حضر من بعدى يعقوب أرتين . وعقب ذلك طُلب هو إلى فوق . وقال لى سعيد : إن عظمة السلطان يود أن يجلس معك كثيرا ، ويؤجل هذه الجلسة إلى ميعاد يتعين من بعد .

فخرجت مستغربا ، وزاد استغرابى لما علمت أن أناسا من بعدى حضروا على غير موعد ، وقابلهم .

وقد تحدد لى ميعاد يوم الإثنين الساعة ١٠ - يعنى اليوم . ولكنى رأيت هذه المعاملة غريبة لا مبرر لها ! وللسلطين أحوال تغلق عن الأفهام ، ولا تدركها الأوهام !

كنت ذهبت العزبة يوم الخميس ٢٥ نوفمبر ، مع سرهنك باشا وظاهر اللوزى . وعاد الأول ، وبقينا نحن الأخيرين . وعدنا يوم الجمعة مساء .

فى ٢٩ نوفمبر

ذهبت أمس إلى (٦٩) دمنهور . ورأيت الحالة على غير تمام المراد . وتكلمت مع المستأجرين بأنى مستعد للتساهل معهم ، على شرط أن يجدوا طريقة مقبولة .

ولم يعجبنى الناظر ، لا فى هيئته ولا فى إدارته ، لأنه خواف ، وللكاتب نفوذ عليه ، ومعرفته أوسع منه ، وتصرفه أحسن . وفى ظنى أنه لا ينفع . كثرت اجتماعات الوزراء هذه الأيام ، والناس يتحدثون بها ، ولا يدرون سببها !

(٦٩) أضفنا : « إلى » .

وقد كان حضر عندى أول أمس عدلى باشا ، بعد أن مرّ بى قبله مرتين فى ليلتين متعاقبتين . وفهمت منه أن السنوسى أغار على الحدود المصرية^(٧٠) ، وأن السلطة العسكرية مشغولة بهذه المسألة .

وفكر فى انتهاز هذه الفرصة ، للعودة إلى فتح باب المخابرة مع رجال الإنكليز فى شأن إعطاء مصر نوعا من الاستقلال .

فقلت : إن هذا الفتح لا يصح أن [ص ١٣٨٣] يكون — على كل حال — من الوزراء ، لأنه ربما تأول بأنهم يساومون الإنكليز مساومة ، ويتتهزون فرصة ضيقهم^(٧١) ! فاستحسن ذلك .

قلت : ولكن المسألة لا يصح أن تحمل ، والواجب البحث فيما يطلب ، وعمن يطلب ؟ وانصرف على ذلك بعد محادثة طويلة .

(٧٠) كان السنوسى الكبير (السيد أحمد الشريف السنوسى) باتفاقه مع الأتراك ، قد أنفذ حملة على حدود مصر الغربية فى نوفمبر ١٩١٥ ، وانسحبت حاميتا السلوم وسيدى برانى ، ودخلهما السنوسيون ، واعتصم الإنجليز فى مرسى مطروح ، واتخذوها مقرا لقيادتهم . ودارت معارك عنيفة حولها فى أواخر سنة ١٩١٥ وأوائل سنة ١٩١٦ ، انتهت بارتداد السنوسيين ، واسترداد الإنجليز سيدى برانى بعد معركة « أجاجية » يوم ٢٦ فبراير ١٩١٦ . وفى مارس ١٩١٦ استرد الجيش المصرى الإنجليزى السلوم . وفى اكتوبر ونوفمبر ١٩١٦ تم استرداد الواحات الداخلة والبحرية والفرافرة ، كما تم استرداد واحة سيوة فى فبراير ١٩١٧ ، وبذلك انتهت حملة السنوسى .

(انظر : الرافعى : ثورة ١٩١٩ ج ١ ص ٢٩) .

(٧١) يقصد أن الإنجليز ربما تصوروا أن الحكومة المصرية تنتهز فرصة حملة السنوسى على مصر ، وضعف موقفهم لمساومتهم . وقد كانت هذه فكرة عدلى باشا بالفعل ، كما هو واضح مما أورده سعد زغلول ، ولكن سعد زغلول كان يرى أن المفاتحة تكون من الجانب الشعبى ، وهو ما استحسنته عدلى باشا ، ولكن : كيف ؟ .

٢٢٣٣

ولكن نفسى حدثتني أن أعود بعد العشاء ، فعدت في الساعة العاشرة ، ومكثت إلى الساعة ٤ ، فخسرت جميع المبلغ وفوقه سبعة جنيهات ! فلمت نفسى كثيرا ، وعزمت أن لا أعود . وعلى الله الإتكال .

في ٢٩ مايو

لا أزال أتردد بين الرغبة في اللعب ، والرغبة عنه ! يميل بي إليه الكسب ، ويزهدني فيه الخسارة . ولا أكاد أعدل عنه حتى أرغب فيه . وأبيت ليلة الخسارة ، وأصبح صباحها ناقماً على نفسى ميلها ، نادماً على ما فعلت ندماً شديداً ، وأشعر من نفسى شعوراً حقيقياً بالنفور من اللعب واللاعبين ومكان الاجتماع .

ولكن كلما اقترب ميعاد النادي ، كلما خف الندم ، إلى أن ينعكس الحال ، فأميل إلى النادي ، تدفعني شهوة قوية ، ويمعنى عقل ضعيف . ويتتهى الحال بأن تتغلب عليه ، وما أشعر إلا وأنا وسط اللاعبين !

ولقد سافرت في أثناء هذه المدة وعدت ، وما كنت أفكر اللعب في السفر ، ولكنى أتجراه في الحضر . وفي آخر مرة أكدت العزيمة ، عندما عدت ، عل عدم العودة إليه . وعولت على أن أتركه في البيت ولا أذهب إلى النادي إلا وقت العشاء ، [ص ١٣٩٣] ونفذت ذلك ، ولكنى بمجرد أن وصلت إليه ، ودعيت إلى اللعب ، لبيت ، وجلست أنتظر بعد الأكل إجتماع اللاعبين ، ومكثت إلى الساعة ٢ إثنين ونصف ! وقد خسرت ثم عوضت ما خسرت ، وكسبت فوقه أربعين جنيه . ولم أجد في نفسى اليوم ندامة على السهر . وأشعر أن عاطفة اللعب تقوت ، ولكنى أحاول إضعافها . ولا أدري إن كنت أصل إلى مرادى ؟ وعلى الله الإتكال !

إن عجزى عن الإقلاع عن هذا الميل الشرير ، مع كل ما أخذت نفسى به ، دليل على قلة تأثير الموعظة عند تحكم الشهوات . وما أعجبني

٢٨٥

أكثر من قول المنفلوطى فى النظرات : إن الفاضل هو الذى يغلب عقله
هواه ، فلا يأتى ما يشتهيه من المحرمات .

رأيت لطفى السيد يحضر الإحتفال بالمقتطف ، ويتغنى بشبات
أربابه ، وفضل أصحابه . ويقف فى مدرسة الأميركان ، يعدد أفضالها
على بنى الإنسان . ويخطب فى حضور السلطان بأنه يملك الناس !
ورأيت صديقه عبد العزيز بيك فهمى يخطب فى المنوفية أمام السلطان ،
بأن الأمة رقت أعلى درجات الكمال فى عهده ! ويغرق فى مدحه حتى يكاد
يجعله الأسمى^(٨٥) .

فى ٢٩ أيضا .

تغديت اليوم فى الكلوب ، ودخل على مستربوند ، فأكل معى على
مائدة واحدة . وأبدت له أسفى من فراقه ، ولت على حكومته
[ص ١٣٩٤] عدم حرصها على مثله من الذين خبروا البلاد ،
وعرفوا لغتها وعوائدها . فواعدنى على اللقاء^(٨٦) قبل رحيله .

وعند غسل الأيدى بعد الطعام ، سألتى عبده الخادم عما إذا كنت
مسافرا الريف اليوم ؟ فقلت : سأسافر ! ولم السؤال ؟ ألك ديون ؟
فضحك ، ثم اقترب هو وبشير^(٨٧) منى وقالوا مامعنا : يشق علينا أن
نراك تلعب مع اللاعبين ، فتضيع عليك الصحة والمال ، وما أنت
بححتاج إلى أن تسير مثل هؤلاء . إن طوب الأرض يعرفك ، ويتأسف
على هذه الحالة منك !

فأثرت هذه المقالة عندى تأثيرا شديداً ، وقلت : والله إن هؤلاء

(٨٥) قراءة تقريبية .

(٨٦) قراءة اجتهادية مستقاة من السياق ، وقد تقرأ : الزيارة .

(٨٧) قراءة تقريبية .

لأعقل منك^(٨٨) . ولئن لم ترعو^(٨٩) بعد هذا النصيح ، الصاعد من الأسفل إلى الأعلى ، لكنت أخسر الخاسرين ، ولحقت عليك اللعنة إلى يوم الدين !

في يوم أول يونيو

قالت حرمى : إنها رأت في المنام أخى كأنه شمعة ، لا أثر للحمرة الدم في وجهه . فقال لها : أنظري كيف امتص اللعب دمي ! إمنعى أخى منه ، ولا تركيه يصير إلى ما حدث لي^(٩٠) !

فتأثرت أيضا لذلك ، وقوى هذا عزمى على الترك .

وحلمت كأنى سائر فى طريق ، وقد ألفتى حملا ثقيلا ، وتركته ملقاً ، وعدت لأدرك قطارا مسافرا من المنيا ، فعدوت حتى أدكرت القطار ، ونزلت فى إحدى [ص ١٣٩٥] عرباته ، التى كانت على شكل غير مألوف . وتنهت - أثناء عدوى - إلى الحمل الملقى ، فقلت : إنى تعمدت تركه !

وفسرت ذلك بأنى سأنقذ من هذه الورطة .

ولكنى - مع ذلك - حضرت إلى مصر ، وما رأيتهم يلعبون حتى لعبت ، وخسرت ١٥٠ جنيه ! وندمت ، وعزمت على أن لا أعود .

وإلى الآن - ٤ يونيو - لم أجد من نفسى ميلا .

ذهبت إلى النادى نحو الغروب مع صدقى ، وقابلنى مدحت ، وقال : إن القوم يريدون أن يلعبوا فوق ! فقلت : ذلك شأنهم ، إنى الليلة غير حر .

(٨٨) هذه قمة مأساة سعد زغلول ! ولكنها توضح مكانته الشعبية .

(٨٩) فى الأصل : « ترغوى » .

(٩٠) فى الأصل : « إليه » .

٢٢٣٦

ثم أردت أن أغسل يدي استعداداً للعشاء ، فدفني مني عبده ،
وقال : لا تصنع لقلول مدحت ، واجلس مع عبد الرحيم هنيهة ،
ورؤح ، ولا تقعد معهم ! فقلت : الحق معك !

ورأيت الليلة مناما ، اختلط الأمر على في تفصيل وقائعه ، ولكن
أحس منه أني كنت في محفل حاشد ، كان فيه الدمراش ، وكان يقول :
إن السلطان يقول إلى فلان (على !) في لعبه^(٩١) . وأنى كنت خجلا جدا
من هذا الحديث .

كل هذا يلزم أن يصدن عن هذا السبيل .

[ص ١٣٩٦]

يوم الأربعاء ٦ يونيه سنة ٩١٦

نعت التلغرافات غرق اللورد كتشنر ، يوم الاثنين ٤ يونيو ، عندما
كان متوجها نحو روسية بمركب حربى ، صادف لغماً ، أو نسفه طوربيد
غواصة ألمانية في المياه الإنكليزية . وغرق معه أركان حربيه ، وسكرتيره ،
وغيرهم من حاشيته . وقد أحزن غرقه الحكومة الإنكليزية والأمة ، كما
اغتم عليه كثير من الناس الذين يعرفونه في البلاد الأخرى .

وقد كنت بعزبة مسجد وصيف في يوم الخميس ٧ يونيو ، ووردت
الجرائد والأهرام فيها من نسختين ، وفيه صورة الفقيد ، ونبذه من تاريخ
حياته . فقرأتها ، وما فهمت سبب طبع الصورة ، ولا إيراد التاريخ : ثم
نظرت في صحيفة أخرى خبر الغرق .

فما حزنت ، ولا سررت ، ولكن أخذنى شيء من الاستغراب !

(٩١) يقصد أن السلطان كان يتكلم عنه وعن لعبه .

٢٢٢٩

وكان فتح الله باشا بركات حاضرا ، فانصرف على غير عودة .

في يوم ٣٠ ديسمبر

حضرت اليوم من مسجد وصيف في الإكسبريس الأول ، بعد أن بت في العزبة ليلتين ، وذلك لأحضر جلسة الجامعة . فوجدتها تأخرت إلى يوم الخميس القادم . وتقرر أن تجتمع الجامعة في الخميس الأول من كل شهر - كما بُلّغت ذلك بالتليفون .

ورأيت الناس يشكون من كون مديرية الغربية كلفت العمدة أن يقبضوا على الناس ، ويسفروهم إلى القناة .

وتوجهت إلى رشدي ، وأخبرته بذلك ، فوعدني أن ينظر في المسئلة بما يمنع الشكوى . وأخبرت عدلي في الكلوب بها .

ووعده الهلباوي أن يحضر عندي ، في العزبة ، يوم الجمعة القادم ٧ يناير سنة ٩١٦ ، على شرط أن يسبقه ، أو يلحقه ، أو يصحبه أحد من الإخوان . وتضرر صدقي - كعادته - ولا أدري السبب في هذا التضرر !

في ٣١ ديسمبر

تلقيت أمس كتابا بأن كبير الأمناء يدعو إلى المثل بين يدي عظمة السلطان [ص ١٣٨٩] غدا أول يناير سنة ٩١٦ . وكنت على عزم التوجه إلى عابدين اليوم ، فعدلت عنه إلى غد .

٢٨١

٢٢٣٠

حضرت أمس جنازة يعقوب بيك صبرى ، وجاملت بالزيارة في المساء . ولم يحدث اليوم ما يستحق الإثبات ، غير أنى انتظرت وصول الحرم في الساعة ١ ، فلم تحضر . ولعل الإكسبريس الثانى فاتها ، ولعلها تأتى مع ما بعده . وأخرت الغدا حتى يتكشف الأمر ، الذى أرجو أن يكون خيرا .

سحبت اليوم من البنك الأهلى مبلغ ١٢٠ جنيه بحواله على ورق عادى ، لأنى تركت فى العزبة دفتر التحاويل .

نبهت على سعيد أن يضع ميزانية شهرية للمنزل ، ويعرضها على ، وأن يلاحظ المصرف فى المنزل .

أرى الناس فى حيرة ، لا يدرون من أمرهم شيئا ، ولا يملكون لأنفسهم (. . .) (٨٣) .

فى أول يناير سنة ١٩١٦

قابلت عظمته ، وطالت الجلسة ساعة . ودار الحديث فيها على موضوعات شتى — كالعادة — وفهمت منه أنه تقرر منع تصدير البيض ، وأن الإباحة كانت لأجل عيد الميلاد . وأن مدرسة القضاء ستكون تابعة للحقانية . وأنه غير راضٍ تمام الرضا عن رشدى ، وأنه تقرر قبول السبعة عشر تلميذا ، المطرودين من مدرسة الحقوق ، فى الإمتحان ، ما عدا إثنين . وقال ذلك عندما رجوته فى شأنهم . وأنه أمر بالقبض على تلميذين من مدرسة الطب ، لم يقابلاه فى الطريق بالتعظيم اللائق . وإنه شديد الغضب على المفتش الذى رفته من إيتاى البارود . وبعد ذلك انصرفت .

(٨٣) لم يكمل سعد زغلول العبارة .

[ص ١٣٩٠]

في ٣ يناير سنة ١٩١٦

ذهبت أمس إلى نادى محمد على ، ووجدت نفسى متشوقة إلى لعب لورق ، فلعبت مع البرنس فؤاد ، وقطاوى ، وليفى ، ومحمود صديق بارتيتة صغيرة ، وخسرت ٣٧٥ جنيه ! فندمت على ما فعلت ، وعزمت أن لا أعود أبداً .

وشعرت من نفس اليوم آخر النهار ، الميل إلى الذهاب إلى النادي ، فزجرتها عنه .

حضرت امرأة الباجورى ، وعرضتُ عليها أن تأخذ الباقي وهو ٢٠٠ جنيه تقريباً ، وأنه الذى^(٨٤) يزرع الأطيان ، ولكن لا دخل لى في ذلك .

في يوم ٣١ مارث سنة ٩١٦

تلك الندامة لم تفد ، ولم تنفع ! ويظهر أن هذا الميل كان بداية المرض ، فإن لم أقدر بعد ذلك أن أمنع نفسى من التردد على النادي ، ومن اللعب . وبعد أن كان بقليل أصبح بكثير من النقود ! وخسرت فيه مبلغاً طائلاً لغاية ليلة ٣١ مارث .

وما كنت أصغى لنصائح زوجتى ، ولا أرق لتألمها من حالتى ، ولا أرفعوى من نفسى . وما كنت أجدر ، عندما أفتش عن السبب الدافع لى ، إلا أحب المال ، لا الميل إلى اللهو ، ولا محبة الإجتماع بإخوان ، لأن اللاعبين لم يكونوا من إخوانى ، ولا بمن تميل نفسى إلى معاشرتهم والأنس .

(٨٤) قراءة تقريبية .

وقد لمت نفسي كثيراً ، وزجرتها طويلاً ، وجددت العزيمة على الإقلاع عن هذه الخطئة الذميمة . ورأيت أن عقوبة الله عادلة ، وأن أحسن ما يجازى الطامع [ص ١٣٩١] أن يذهب منه مثل ما طمع فيه ، أو أزيد . إن هذه حكمة بالغة لمن تدبر . وقد تدبرتها ، وتفكرت فيها ، وعزمت على أن أعصم نفسي فلا أقع فيها . ولعنة الله على من يخلف وعده ، وينقض عهده . وسلام على الموفين بعهدهم الراجعين إلى ربهم ، القانعين بالقليل .

كتبت هذا في الساعة العاشرة من صبيحة اليوم . ولكن بعد أن تغديت ، شعرت بخاطر مريب يستميلني إلى اللعب ، على أكسب شيئاً يعوض ما فات ! فطردت هذا الخاطر ، ونمت . فعاودني بشدة عند يقظتي في الساعة ٤ ، ورأيت فؤادى يخفق ، وأحسست بضيق في الصدر ، ناتج - فيما أظن - عن حرب بين ما يدفعني إل اللعب ، وما يمنعي عنه . ويصحب هذا الضيق حرارة .

فكتبت هذا بعدما قرأت ، ولطفت القراءة بعض الشيء من تلك الحرارة ، وشعرت بتغلب العقل على الهوى . ولكني سأتوجه إلى النادي لمقابلة عبد الرحيم باشا ، وأخشى جداً أن ينعكس الحال ! ولكن على الله الإتكال !

في يوم ٣ أبريل

ذهبت اليوم إلى النادي ، في نحو الساعة سبعة ونصف مساء ، ولعبت لعباً صغيراً ، خسرت فيه ٢٤ جنيه ! فضقت جداً من عودتي ، [ص ١٣٩٢] ولعنت نفسي المقامرة ، وحملت المبلغ في اليوم التالي ، وذهبت إلى النادي ، ورأيتهم يلعبون اللعب الكبير ، فقلت في نفسي : جرب ! فجربت ، ونجحت نجاحاً عظيماً ، وكسبت مبلغ ١٨٣ جنيه ، وعدت في الساعة التاسعة جزلاً .

ورأيت أن الإنكليز ، وإن أكبروا الإغراق ، من حيث كونه فعل عدوهم ، لا يتأثرون بموت كتشنر ، لأنه لم يكن - في آخر الأمر - مهما عند عقلائهم ، ورأوا له غلطات كثيرة حتى أدت الحال إلى تجريده من كثير من الأعمال في نظارة الحربية .

ويلوح لى أن الأمة المصرية لم تحزن عليه ، إن لم تكن فرحت بغرقه ! شأنها مع كل حادثة تغضب الإنكليز ، وتسرع أعداءهم . نعم إن البعض أظهروا الحزن والأسى ، ولكن هذا قليل ، وفيه شيء من النفاق - على الأقل بالنسبة للمتخمين^(٩١) منهم . [ص ١٣٩٧] ويؤكد ذلك ما صدر من الشيخ الدمرداش ، حيث أرسل إلى مظلوم باشا تلغرافا في اسكندرية ، بالأصالة عن نفسه ، والنيابة عن لفيف من أعضاء الجمعية التشريعية ، يدعو فيه (. . .)^(٩٢) لإرسال تلغراف ، بالنيابة عن الجمعية ، بالتعزية . ونشر هذا الطلب في الجرائد !!

ولقد ذهبت مع شعورى في هذه الحادثة ، كما فى غيرها ، فلم أظهر لا فرحا ولا أسفا ! والواقع أن العقل يقضى بأن يكون الإنسان بحيث لا يحزن لفوات مرغوب ، ولا يفرح لنوال مطلوب . وعلى الأخص لا ينبغي له أن يتأثر بالحوادث التى كل انسان محكوم عليه بأن يلاقىها إن عاجلا وإن آجلا .

أعلن رسميا أنه يحتفل بالصلاة على كتشنر فى قشلاق قصر النيل ، يوم الثلاث ١٣ يونيو ، الساعة ستة مساء . وأن كل من أراد ، فله أن يطلب تذكرة دخول : إن كان موظفا ، فمن الوزارة التابع لها ، وإن لا فمن المحافظة . وأن الصلاة مباحة حتى لسكان الأقاليم .

(٩١) قراءة اجتهادية .

(٩٢) الكلمة غير مقروءة .

ولكن المديرين نبهوا على الأعيان بالذهاب ، وسلموهم التذاكر .
وكذلك أرسلت محافظة مصر لكثير من الأعيان والوجوه تذاكر .
وكان الحر شديدا ، ونظام استقبال المصلين مختلا ، والمحل متربا ،
والعفار نائرا . وانتشر ، وقت الصلاة ، على الناس نوع من الهاموش ،
ضايقهم مع الحر الشديد . ووقف المصلون ساعة على أقدامهم ،
[١٣٩٨] وكانوا من كل الطبقات .

وحضر من العلماء الشيخ بخيت ، ثم الشيخ البكرى ، والشيخ
الدمرداش ، ووقفوا مع اثنين من العلماء خلف القس . وكان لشهودهم
هذه الصلاة ، ووقوفهم فيها على تلك الصورة ، وقع سيء في نفوس
أغلب الناس . وكان بعض المسيحيين يستلقت نظرى ونظر غيرى
اليهم !

ويخيل لى أن هذا الإحتفال كان أفخم وأعم وأشمل من الإحتفال
للصلاة على الملك إدوارد السابع ! وأنشأ الإنكليز صيغة يتأسون بها عن
فقدته ، فقالوا : إنه كان رجلا كبيرا قد أتم عمله ثم ذهب إلى جوار ربه !
فى ٢٠ يونيو

حضرت اليوم إلى مصر فى قطار الصباح . وبينما أنا سائر على شريط
السكة الحديد ، ذاهبا من محطة الدلتا إلى محطة بنها ، سقطت (٩٣)
ولا أدري كيف وقعت ، وقمت لا أقدر على المشى إلا بصعوبة على رجلى
اليمنى . والحمد لله لم يصب العظم بشيء ، ولكن عضلات الرمانة
تأثرت جدا ، وآلمتنى ، ولا تزال إلى الآن تؤلمنى .

أخذ الناس ينسون كتشنر ، ويتركون التوسل بالتمدح به لقضاء

(٩٣) فى الأصل : « قد سقطت » وقد حذفنا « قد » لزيادتها .

حوادثهم . وقد نقل إلى ثقة أن السلطان فرح بموته ، لأنه كان ينازعه
شارات الملك ، ويقف حجر عثرة في سبيله .

[ص ١٣٩٩]

وقد اقترح بعض المنافقين إقامة تمثال له ! وحَبَّذَ الاقتراح قليني
باشا ، وقبطى آخر . وإقترح اسكيس^(٩٤) رئيس وزارة الإنكليز إقامة
تذكّار له ، لأنه عمل مع كرومر على تحرير مصر ! وخدم دولته خدمات
جليلة .

قرأت في بعض جرائد الأسبوع الماضى ، أن باشكاتب مديرية المنيا
نقل لمثل وظيفته في مديرية جرجا . وهو قبطى . فاحتفل في المحطة به
خلق كثير ، وفي مقدمتهم المدير ، ووكيله ، والحكمدار ، والقاضى
الشرعى ، والأهلى ، ووكيل النيابة ، وكثير من الموظفين والأعيان .

اعتزل «بوند» خدمة الحكومة المصرية ، فاحتفل به قضاة
الإستئناف ، والمحامون ، وقدموا له هدايا ثمينة ، وامتدحوه في كتب
رفعوها إليه امتداحا لم يبدوه لغيره ! ولم يتنازل - مع ذلك - لزيارتهم ، بل
أرسل سكرتيه إلى كل منهم ورقة زيارة^(٩٥) وشيعة أغلبهم - مع ذلك
للمحطة .

واعتزل كذلك ميكليث ، المستشار بالحقانية ، فخصه قضاة
الإستئناف المختلطة بكتاب شكر ، وأدب له ناظر الحقانية في إسكندرية
مأدبة دعى إليها الوزراء وبعض موظفى الحقانية ورجال القضاء . وأثنى

(٩٤) يقصد Asquith, Herbert Henery, 1st Earl of Oxford and
asquith. وكان رئيس وزراء بريطانيا من ١٩٠٨ - ١٩١٦ .
(٩٥) أى بطاقة .

عليه في خطبة وداعه ثناء جميلاً . فشكره على ذلك ، وأقام له وكيل الحقانية حفلة شاي ، دعى إليها بعض رجال القضاء . ولم يشترك المحامون في شيء له .

[ص ١٤٠٠]

وقد رأيته صدفة يوم توديع مكماهون إلى إسكندرية ، وأبدت له أسفى . ولكنى لم أره بعد ذلك ، وحاولت أن أراه ، فلم تسمح الظروف إلا يوم ٢٧ الجارى ، حيث قَدِمْتُ مصرَ خصيصاً لهذه الغاية ، فذهبت إليه مع شكرى باشا حاملاً له صورتي ، وقد كان طلبها قبل اعتزالي ، وتقبلها شاكراً . وبعد تبادل العبارات المألوفة في هذه الحالة ، انصرفت . وودعته في المحطة ، وكان بها خلق كثير نوعاً ، من الموظفين الأهلين . وكان ذلك أمس يوم ٢٩ يونيو .

أخبرني عاطف أن عظمة السلطان قال في حديث له مع أخيه : إن وقتي قد جاء ! وأضاف عاطف : إنه يريد أن يُكون حزباً من الأمة ، فإنه قد تقبل المراقب (٩٥م) وشركاءه بالبشاشة والهشاشة ، وقال لهم : أنتم أولادى ، وأنا أبوكم ! ولكنى لم أفهم جيداً كيف أنه يريد تأليف حزب ؛ وكيف أن هذا الكلام يدل على ذلك ؟

وأرى أن ذلك إن كان صحيحاً ، لا خير فيه . لأن كل مقاومة داخلية للحماية في مصر لا يترتب عليها إلا أسوأ النتائج . فإن كان المراد بتأليف الحزب أن يلتفت الناس حوله ، ويؤمنوا به وبما ينزل من الحكومة ، فذلك لا حاجة إليه ، لأنى أحس بأن روح المعارضة قد انطفأت الآن . والله أعلم !

[ص ١٤٠١]

ألفت عيشة العزلة ، ولا أبتغى عنها حولا . وصارت تؤذيني الاجتماعات ، لأنى قل ما أصادف فيها كلمة أرتاح إليها ، أو عبارة خالية من الدلالة على ضعف أخلاقنا ، أو رجلاً تركن النفس إلى قوله أو تعند بعمله .

ولقد كثر تبجح الكثير منا بدمنا ، والظعن فينا ، وتشهير معارضينا^(٩٦) ، مجارة للطامعين فينا ، ونفاقاً لهم ، وتقرباً منهم ، لا لغرض إصلاح ما فسد من أخلاقنا ، وتنظيم ما اختل من أمورنا . وأغلب ما يقولونه فينا حق ، ولكن يراد به الباطل ! فاللهم احفظنا من شرهم ، واعصمنا من خطئهم^(٩٧) وباعد بيننا وبين أوساطهم آمين .

في ٨ يوليو

توجهت إلى^(٩٨) الإسكندرية في يوم ٣١ يونيو ، لتهنئة عظمة السلطان بحلول شهر رمضان . ومكثت بها لغاية يوم الثلاث ٤ منه . وترددت على نادى محمد على كل ليلة ، وكانت النتيجة حسنة أحمد الله عليها ، وأرجو أن يوفقنى للإحتفاظ بها^(٩٩) .

وقد قابلنى عظمته يوم الجمعة بغاية الهشاشة ، وأشار - فى عرض كلامه - إلى وجوب النصر . ورأيت - كما ظننت - غير متأثر لموت كتشنر ، وغير راض عن الداعين إلى إحياء ذكره . وسمعت منه أن مديرا

(٩٦) يقصد : مايقوم به المعارضون من التشهير .

(٩٧) فى الأصل : «خطأهم» .

(٩٨) أضفنا « إلى » .

(٩٩) يقصد أنه لم يلعب القمار .

إمتدح له سعيد ! - وأخبرني عدلى أنه محمود نصرت - وزين له تغيير
رشدى به ! فسفها قول ذلك الدنس .

[ص ١٤٠٢]

في يوم ٢٨ يوليو

لم أحتفظ بالنتيجة الحسنة التي وصلت إليها ، لأنى ذهبت إلى
إسكندرية يوم الأحد ٩ منه ، ومكثت بها إلى يوم السبت ١٥ منه .
فأضعت كل ما كسبت ، وفوقه مبلغاً عظيماً !

وبعد أن عدت إلى العزبة ، ذهبت إلى مصر في يوم الثلاثاء ١٨ منه ،
وزادت الخسارة . فقفلت راجعاً وندمت كل الندم .

وسأعود غدا حاملاً مبلغ الخسارة إلى ذويه ، وكلى حسرة . وأدعو
الله أن يوفقنى إلى ما فيه خيرى وخلصى .

حضر عندى محمد حتاتة في يوم الأحد ٢٣ منه ، وأخبرنى أن عاطف
سمع من السلطان كلاماً ، ويريد أن يلقيه إليك . فوقع في نفسى فوراً أن
هذا الكلام يختص باللعب . فقلت لمحمد بيك : إن كان في هذا الكلام
ما يهم ، فلا بأس أن يمر بى عاطف .

فحضر يوم الإثنين مساء ، وقال لى : إن عظمة السلطان يقول إن
فلاناً^(١٠٠) كسب مبلغاً من مصر ، وأضاعه في إسكندرية على بعض
الأروام . وإن هذا معطل لما أدبره له مع عدلى ورشدى . فقال له : إذا
رأيت أن تدعوه لتكلمه في هذا الشأن كان خيراً ! قال : إني سأحدثه في
ذلك عند حضوره في العيد .

(١٠٠) يقصد : « سعد زغلول » .

[ص ١٤٠٣]

فقلت : إن له وجهها في ذلك^(١٠١) ، ولكن ما غرضه من إخبارك ، بعد أن أخذ عليك الأيمان ، بأن لا تبوح لأحد بما قال ؟ قال : لا أدري ! وبعد أن مكث ليلتين عندنا ، ذهب إلى ناحيته . وطلبت منه أن يسلفني مبلغ ثمانمائة جنيه ! فأجاب : بكل إرتياح . وسرنى منه هذا الإقبال ، وحى كل ما أوجدته هفواته السابقة من قلبى ، وكتب تحويلا بمبلغ ٣٠٠ جنيه ، ثم إستكتب أخاه آخر^(١٠٢) بمبلغ ٥٠٠ جنيه . وأخذ معه رسولا من عندى ، تسلم الأخير وعاد به ، ويتضمن مبلغ الإثنين اليوم .

وافتكرت أن أقترض من البنك العقارى مبلغ ٢٠٠٠ جنيه ، لمدة خمسين سنة ، يَقْرُبُ^(١٠٣) القسط كل سنة من مائة و ٢٨ - ١٢٨ جنيه - وبناء على ذلك يكون حالى حسنا جدا . فعرضت هذه الفكرة على البنك ، فقال من كلمته ممن يتولى أموره - ولا أعرف اسمه لأنى لم أجد مسيو مرلى الذى أعرفه - : سأكلم موسيو مرلى ، وأكتب لك غدا ! قلت : وإن لم يقبل ذلك فإنى مستعد لدفع القسط عما يقبله^(١٠٤) ، ووضع^(١٠٥) هذا جوابا على خطاب البنك . فقبل ذلك ، وانصرفت .

(١٠١) أى : له حق .

(١٠٢) قراءة تقريبية .

(١٠٣) قراءة تقريبية .

(١٠٤) قراءة تقريبية .

(١٠٥) قراءة تقريبية . والفقرة كلها مكتوبة بخط مضطرب جدا بسبب اضطراب سعد زغلول وحالته النفسية .

[ص ١٤٠٤]

ومما دار بخلدى أن أقصد فيه عظمته^(١٠٦) ، إذا فاتحنى فيما فاتح عاطف به ، بأن أقول له : إن الضرورة هى التى ألجأتنى إلى هذه الرذيلة ، فإذا شئت إنقاذى منها ، تفضلت بتسليفى ذلك المبلغ ، ولعنة الله على من عدت إلى مائدة اللعب . فإن تعطف وأحظى أسرق بهذا الإحسان ، وفيته حقه فى أقرب زمان .

فى يوم أول أوغسطس سنة ٩١٦

فى ليلة ٣٠ رمضان ، وأنا على سرير النوم اتفكر فى حالتى المالية ، وعسرهما ، خطر ببالى أن أعمل شيئا أكسب منه مايسرها . وكنت علمت أن مدة حسن صبرى فى الأوقاف قاربت الإنتهاء ، وأنه بعد أن أخذت مشكلة استعفائه تتردد بين الإيجاب والسلب ، تقرر عدم التجديد . فقلت : ما الذى يكون ، إذا عرضت نفسى لها ، بشرط أن تعلق مكانتها .

وفى يوم العيد ، ركبت مع رشدى باشا للتعييد . وجرى ذكر صبرى ، فقلت له : هل ترى من المناسب لى أن أكون فى هذا المركز بمكافأة^(١٠٧) أعلى ؟ قال : إن ذلك خيرا للأوقاف ، ولكننا ندخرك لمركز سياسى ، أو قضائى عند تنفيذ نظام القضاء الجديد . ثم قال : ولكن ذلك لا يمنع من هذا ، وسأفعل ذلك . قلت تفكر فى الأمر جيداً بصفة صديق لى ، من جهة ، ورئيس للحكومة من جهة أخرى . قال : كذلك .

(١٠٦) أى : يلتبس من عظمته .

(١٠٧) فى الأصل : « بمكافئة » .

وما أخبرت بعد ذلك بالأمر أحداً ! والمكافأة (١٠٨) إذا كانت حوالى ألفى جنيه فى السنة ، فلا بأس بالوظيفة ، لأنها عمل علمى ولا رئاسة فيه ، ومن الصناعة التى كنت استعملها للإجابة برأى له ثقة (١٠٩) بالقضاء والمحامين .

ولا أجد فى نفسى - مع ذلك - ميلا شديدا ، ولكنى أشعر بأنها ، إن تمت ، فلا بأس بها ، وإلا فحالتى ، بعد إنتهاء السلفة التى شرعت فيها ، حالة يُسر - خصوصا إذا حزمت رأى ، وتركت القرب من مواقع اللعب . وإنى فاعل ذلك بمشيئة الله .

[ص ١٤٠٥]

أخبرنى مدحت بأن السلطان إستتابه عن اللعب ، فتاب . وقال لى : إنه لا يهمنى غيرك وأخى ، فإن أقلت عن هذه العادة أصبت خيرا كثيرا .

وقد ذكر لى عدلى أمس ، ما يفيد أن فى النية تعيينه فى إحدى وظائف المعية . وذكر لى هو أن فى نية عظمتته تزوجه من ابنة كاظم (١٠٩) ، وإنه يشعر بأن ليس فى ذلك خير له .

حظيت بمقابلة عظمة السلطان يوم الوقفة . وما لبث حتى حضر رشدى ، فجلس معنا نحو ثلث ساعة ، جرى فيها كلام عمومى . ثم قال لى عظمتته : إنى أود أن أراك بعد باكر فى الساعة ١١ .

فعدت إلى مصر لحضور جنازة بهية خانم ، كريمة فخرى باشا ، ثم

(١٠٨) فى الأصل : « المكافئة » .

(١٠٩) قراءة تقريبية .

(١٠٩ م) قراءة ترجيحية .

رجعت إلى الإسكندرية في الميعاد .

وتغذيت على المائدة السلطانية ، وجلست بعد الغدا نحو ساعة ولم يأت ذكر اللعب ، لا تلويحا ولا تصريحاً . وتحدث في موضوعات شتى : أولها ، وأهمها ، حكاية بنت أخيه فؤاد مع حفيد فخرى ، حيث ترغب الزوج به ، وتقول : إنها لا تقبل سواه ، وهو قدم عريضة بالخطبة ، فرفضت ، وكلف أخوه بأن يقول له أن يعدل عن ذلك . والموضوعات الباقية لا جديد فيها ، ولكنها حبارات شتى يجمعها العجز عن فعل ما فيه خير عام !

أحمد الله تعالى على أني أشعر بشفاء من مرض اللعب ، وقناعة بما في اليد . والله يوفقني إلى ما يرضاه ، ويبعد عني وساوس الهوى ، ويجنبني مواقع الردى !

في يوم ١٤ أغسطس

سافرت أمس صباحاً إلى إسكندرية ، وقابلت رشدي توأ ، فالححت عليه في مسألة تعيين حثانة بيك عمدة . فأجاب : نعم سأفعل ذلك . ثم قلت : إني ذاهب إلى السفر . قال : هل رأيت عدلي ؟ قلت : سأراه الآن . قال : كذلك .

فرايت عدلي ، وكنت كتبت إليه أرجوه في ابن صدقي - على - الذي سقط في إمتحان اللغة العربية شفهيًا ، بعد أن نجح نجاحاً عظيماً في الكتابي . فأبدي أسفه على عدم إمكانه فعل شيء .

ثم تكلمت معه في مسألة مفتش معارف قنا ، ومسألة الصاوي ، ووالى ، فوعد خيراً .

ثم قال ، بعد أن ذكرت له مقابلة رشدي ، إني أجد في نفسي اشمئزازاً [ص ١٤٠٦] من وظيفة صبري ، ولا أرضاها لك بصفة

صديق .

قلت : إني عرضتها على رشدى بصفة صديق لأخذ رأيه ، فاستحسن ! ولم يستميلنى إليها إلا لأنها وظيفة فنية ولا عيب فى الإشتغال بها لأنه كان يمكن أن أكون محامياً للأفراد - هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن المكافأة^(١١٠) إذا عظمت ساعدت نوعاً على الحال !

قال : ولكنك لم تفعل^(١١١) إلى الآن ! وأجذك أكبر من ذلك ! قلت : كذلك ، فقد تخلّيت عنها !

وعدت فى « المفتخر »^(١١٢) إلى مصر ، مارا بعزبة دمنهور ، حيث لبثت فيها ثلاث ساعات ، صحبتني فيها خليفة محمود ، ولم يحدث فى نفسى أثراً حسناً منه ، بل استثقلته رغباً عن إجهاده فى ملاطفتى ، وعرض خدماته^(١١٣) على . ولم أجد الكاتب الملاحظ ، ولا المخزنجى .

ووجدت أن الدودة قد أضرت بالقطن كثيراً ، وهى أنواع شتى : دودة الورق ، واللوز وغيرهما . ووجدت أنفارا^(١١٤) من الأطفال مشغولين بجمع دود الورق ، فلم أستحسن ذلك ، ولكنى لم أنبه تنبيهها صريحاً بإبطال النقاوة . وعدت غير مسرور من العمل والعمال ، والزراع والزراع .

ولكن يسرنى جداً أن أشعر من نفسى نفورا من اللعب واللاعبيين . وأحمد الله على ذلك كثيراً ، وأدعوه أن يديم على هذا الشعور ، وأن يقينى

(١١٠) فى الأصل : « المكافأة » .

(١١١) أى : لم تعمل محامياً .

(١١٢) يقصد القطار السريع .

(١١٣) فى الأصل : « خدماته » .

(١١٤) فى الأصل : « أنفار » .

شر هزال النفس ، لأنه أصل كل الشرور ، وطمعها ، لأن الطمع مصرع الأبطال .

قرأت أول أمس في الجرائد أن عبد العزيز بيك فهمى قابل السلطان . فسبق إلى خاطرى أن لتلك المقابلة علاقة بمسئلة صبرى ، وكاد يتأكد هذا الخاطر بعدمقابلتى لعدلى ، ومكاشفتى بهذا الإشمئزاز . وأخذت من ذلك أنه ربما حصل كلام مع السلطان فى هذه المسئلة ، ولم تتفق الآراء على أمرى فيها ، وتكفل عدلى بإرجاعى عنها بهذا الشكل اللطيف .

وسواء كان ذلك حقيقيا ، أو غير حقيقى ، فإنى — كما قلت أولا — غير مهتم بها كثيرا ، فلا تأثير لعدم تمامها ، [ص ١٤٠٧] ولكن الأهمية تكون بسبب عدم إتمامه ! فإن كان كما قال عدلى ، فهو موجب للسرور ، وإن كان لمعارضة من ولاية الأمور ، فإنه يحملنى على زيادة الرضا بما أنا فيه ، والسرور من عزلتى عن الناس ، وبعدى عن^(١١٥) مواطن الذلة والإمتهان .

فى ١٨ أوغسطس

عدت من العزبة أول أمس لحضور جنازة والده السلطان . وحضر لهذه الغاية خلق كثير من المدن والأقاليم ، وأغلبهم مأمور بالحضور ! ولم يمش فى الجنازة عليها السلطان ولا مكماهون .

وكان المشهد غايةً فى عدم الإنتظام ، وسار أغلب الأمراء ، وجميع الوزراء ، وعدد كثير من الناس خلف النعش من محطة مصر إلى مدفن العائلة بجوار الإمام الشافعى . ولم يكن المشيعون ، ولا المتفرجون ، إلا جمهوراً هائصاً ، كالجماهير التى تجتمع فى الزفات الخالية من كل ذوق

(١١٥) أضفنا : « عن » .

٢٢٤٩

ونظام . ولا أثر للحزن في قلوب الناس ، ولا في وجوههم ، ولا أدري إلى أى شيء ينسب هذا ؟

ثم سافرت أمس إلى الأسكندرية لقيد إسمى في دفتر العزاء . ولما دخلت في قاعة الإستقبال ، وجدت سعيد ذو الفقار أمام مكتبه ، وعلى يمينه صادق رمضان ، وعلى يمينه طلعت باشا ، وعلى يمينه جميل ثابت ، وعلى يمينه عبد الرحيم باشا صبرى ، وعلى يمينه شحاته باشا ياور السلطان . فقاموا وسلموا إلا طلعت ! وكان خلفى محمد يوسف ، [ص ١٤٠٨] فلما اقترب منه ، قام وسلم عليه !

فلم أحفل بهذا ، وجعلت أتكلم تارةً مع عبد الرحيم ، وأخرى مع سعيد ذو الفقار . وانصرفت مع محمد يوسف ، وقلت له : أريد أن أصنع نكتة في طلعت^(١١٦) بهذه المناسبة ، بأن أبلغ ما حصل منه لرؤسائه ! فاستحسن ذلك .

ولما ذكرت هذه الواقعة لصدقى ، أخذ يدافع عن طلعت ، مبرراً لعمله ، واحتد في الدفاع ! فتأثرت ، ولكنى كظمت الغيظ ، ثم صدقته استخفافاً بشأن الإثنين ، وإقتناعاً بعدم الفائدة من الإستمرار فيه ، وعدلت عما كنت نويت عليه .

في يوم ٢٢ أغسطس

عدت إلى مسجد وصيف يوم السبت ١٩ أغسطس^(١١٧) ، ومكثت بها إلى اليوم . وكنت جالساً أقرأ الجرائد ، وإذا بالحاج أحمد عثمان — تابعى — قد دخل على ، ويده البوستة . فدهشت لقدومه على غير إنتظار ! ثم ناولنى خطاباً من حرمى يُعلمنى بأنها مريضة مرضاً خفيفاً

(١١٦) أى : يعمل مقلبا .

(١١٧) في الأصل : « أغسطس » .

ويطلب منى أن لا أقلق . وأخبرنى أحمد بأن المرض إعتراها أمس ،
وفتشوا على طبيب فلم يجدوا . وكان بها حرارة صاعدة نوعاً .

فعدت فى القطار الذى يصل إلى مصر الساعة ٥ ، ووجدتها نائمة
على السرير ، ولكن حالتها حسنة ، وقد انخفضت الحرارة نوعاً بعد أن
بلغت درجة الأربعين . وفهمت من الطبيب أنها نوبة برد وتزول .
وامتدحت صدقى وزوجته لأنها إعتنيا بها إعتناء شديداً .

[ص ١٤٠٩]

وقد هاجت هذه الحادثة فى كثير من الأوهام ، وبعثت فى وهمى كثيراً
من الخيالات لا أقدر الآن على تصويرها .

مع كونى فى العزبة فريداً تقريباً ، فإن الإقامة بها أنس إلى قلبى من
المكان الأهل بالمعارف والأقربين !

فى ٢٤ أغسطس سنة ٩١٦

ألحت علىّ - كتابة - بنت صديق لى توفى من زمان ، أن أراها لتبث
شكواها . فلبيت نداها وذهبت إليها . فرأيت فتاة فى العشرين من
العمر ، سمينة ، ذات عيون سوداء واسعة ، ورموش طوال ، وقد عرت
صدرها ولبست شبشب فى رجلها ، وجلست بجانبى من غير حياء
ولا احتشام ! ومكثت لديها هنيهة ثم انصرفت .

فألحت ثانية ، وثالثة ! فذهبت إليها اليوم ، وما كانت تنتظر
قدومى . فرأيتها وقد صبغت خدودها بالأحمر ، وكذلك شفتيها ، وإكتحلت
بالسواد ، ولبست شيئاً (١١٨) من الحلى يتدلى على خديها كالذوائب .

(١١٨) فى الأصل : شىء .

فقرفت من رؤيتها ، وحزنت حزناً شديداً !

وجاءت أختها الأصغر منها ، فرأيتها أقل منها تبهرجاً . وقد كنت قلت لها : أظنك تريدان الخروج ؟ قالت لا ، ولكن خاطباً من طنطا ، في الجمعية التشريعية ، أرسل يقول : إذا كانت تقبل أن أتزوج بها فإنى حاضر . فقلت : ما إسمه ؟ قالت : لم يقل ، وأبى إظهاره إلا بعد القبول ! قلت : هذا شيء غير معقول ! كيف يُقبل في الزواج من هو مجهول الاسم اللذان ولا يعرف بحال من الأحوال ؟ قالت : هكذا أراد . وقد تهيأت للقاء أولئك القادمين من عنده .

[ص ١٤١٠]

لا أدري ، فإن الدهشة من حالتها حالت بينى وبين تفهم مقالتها . ثم قالت : وإنى حيرى ، أسير على غير هدى ، ووالدتي تريد الانفصال منا^(١١٩) ، وتبحث عن بيت ، فهل تعرف لنا من منزل ؟ قلت : هذا ليس شغلي ! قالت : وهل لا تريد أن تضمن والدتي مبلغ خمسين جنيهاً ؟ قلت : لا يمكننى . وكانت أجوبتى جافة ، خالية من اللين . وبعد ذلك حضرت أختها . فسألتهما عما إذا كانت دخلتا المدارس ؟ قالت : إنها كانت في la Mère de Dieu^(١٢٠) من زمان . ثم خرجت .

وانصرفت متأسفاً على هذه العائلة ، وأنا أردد بالفرنساوية : هذا قرف ! هذا يقرفنى ! وقد استعذت بالله من الزمان وشره ، ومن تقلبات الأحوال .

(١١٩) في الأصل : « منه » ، ولكن السياق يشير إلى « منا » .

(١٢٠) كتب سعد كلمة Mère حسب النطق ، أى Mer .

في يوم ٢٤ أغسطس (١٢١) الخميس

كتب إلى البنك العقاري يقول : إنه يقبل أن يسلفني مبلغ ألف وخمسمائة جنيه ، ليكون - بإضافته إلى مبلغ الدين القديم - دينا مجموعه ٨٥٠٠ جنيه ، بفائدة سبعة ونصف (١٢١) في المائة . وقد فهمت من ذلك أن هذه الفائدة عن مبلغ الألف وخمسمائة ، ولكن أتى منه بعد ذلك ما يفيد أن هذه الفائدة هي عن عموم هذا المبلغ ! فدهشت لذلك وتعجبت : كيف يمكن أن تعلق فائدة الدين القديم بمناسبة دين جديد ؟ وتوجهت اليوم إلى البنك ، فقابلت موسيو جانيه (١٢٢) ، فأكد لي ما فهمت ! ورأيت موسيو مرلي ، فأيد جانيه ! فأبدت تعجبي ، وإستندت على الخطاب الأول . فقال : إنه لا يفيد إلا ما قلت ! وقرأه ممتعضا شبه غضبان (١٢٣) . قلت : إني لا أقبل أن يرقى إلى هذا . فجادلني (١٢٤) ويؤول ما كتب بما يفيد ايهامه (١٢٥) ثم (١٢٦) قلت : عفوا ! إني فهمت من عبارة الدين الجديد هو مبلغ ١٥٠٠ جنيه ، لذلك وبعد أن فهمت قصدك ، لا يمكنني أن أقبل به ! وقال : إذا أردت أن نعطيك سبعة في المائة قبلت عن مبلغ ١٥٠٠ جنيه . قلت هذا أرجح ، [ص ١٤١١] ومع ذلك فإني أقصد دفع معظم القسط المستحق ، وأنتظر لنهاية السنة ، فلربما لا أحتاج إلى هذه السلفة . فقال : وهو كذلك ! ودفعت إليه مبلغ ٣٨٠ جنيه ثلاثمائة وثمانين جنيه ، قدمتها إلى الصراف ،

(١٢١) قراءة اجتهادية ، لأن الكلمة مطموسة بالخبر .

(١٢٢) هكذا تقرأ .

(١٢٣) قراءة تقريبية .

(١٢٤) قراءة تقريبية .

(١٢٥) قراءة تقريبية .

(١٢٦) أضفنا : (ثم) .

٢٢٥٣

وواعد أن يرسل الوصل اليوم . وانصرفت على سلام وأمان ، ولكنى تأثرت من هذه المعاملة منهم .

فى يوم ٢٥ أغسطس سنة ٩١٦

ذهبت إلى دمنهور ، فوجدت الدودة قد فتكت بالقطن فتكا ذريعا ، إذ أتت على الورق ومعظمه . ورأيت بعض الأشجار مجردة عن الورق واللوز ، وبعضها ورقها مثقوبا ثقوبا واسعة ، ولوزها مفسودا ! منظر يحزن ! والله ولى التعويض !

ورأيتهم يهدمون مباني العزبة القديمة ويمهدون ما انهدم (. . .) (١٢٧) وقد رأيت أن أبني المحل (١٢٨) الذى أستريح فيه ، فى جهة الجرن البحرية . والدوار وحوش المواشى فى مكانها القديم . ولم تعجبني زراعة الأذرة .

وقد عدت فى المفتخر ، وريثما استرحت نزلت ، وكتبت هذا .

فى ٧ سبتمبر سنة ٩١٦

كنت اليوم بدمنهور ، وقل تأثرى من أثر الدودة نوعاً . ورأيت البيت يرتفع ، والغلال تبشر بحسن الختام . وقد نسيت فى القطار علبة فيها عدة الأسنان ، وعدة الحلاقة ، فأرسلت الحاج فى البحث عنها، ولكن هيهات أن يجدهما ، لعدم تعود عمال مصلحة السكة الحديد والركاب على حفظ الفاقد ورده إلى أربابه عندما يبحثون عنه !

(١٢٧) كلمة غير مقروءة .

(١٢٨) يقصد بكلمة : « المحل » ، المكان .

[ص ١٤١٢]

وقد وافقت على بيع التبن بسعر خمسين قرشا للحمل ، تنفيذًا لما وعدت به الراغبين .

في يوم ٦ أكتوبر سنة ١٩١٦

قدِمنا أمس الساعة ١١ صباحاً من مسجد وصيف ، بعد أن أقمنا بها من ٧ أبريل سنة ١٩١٦ . وكان حرمي مسروراً غاية السرور من هذه الإقامة ، وكذلك الخدم . وحسُن العودة لدينا أن الرطوبة في الريف ابتدأت تعم^(١٢٩) وتضايق ، خصوصاً أرباب الأمراض الصدرية والروماتيزمية .

كل الناس على اتفاق — حتى وزارة الزراعة — بأن محصول القطن في هذا العام رديء . وقد نشر المقطم اليوم فصلاً بهذا المعنى ، ولم يستغرب فيه أن تبلغ الأسعار هذا العام إلى ما بلغتته زمن الحرب الأمريكية . وقد أورد في هذا الفصل ما قلته وكررته مراراً ، من أن القطن لم ترتفع أسعاره بنسبة لإرتفاع لوازم الإنسان .

والذي على الآن أن أستهمل أرباب المطلوبات مقداراً من الزمان ، حتى يتسنى لي أن أبيع محصولي بعد ارتفاع الأسعار .

وصلني أمس تذكرة الدعوة إلى الإحتفال بتكريم « جراهم » يوم الأربعاء الساعة ٤ من يوم ١١ أكتوبر الحالى . وهى بامضاء مظلوم باشا .

[ص ١٤١٣]

في يوم ٨ أكتوبر

لم يحدث أمس شيء هام غير أنى زرت فيه رشدى باشا ، ووجدت

(١٢٩) قراءة تقريبية .

٢٢٥٥

أحمد عبد اللطيف عنده . وجرى ذكر الحل الذى عملته الحكومة لمسئلة البورصة^(١٣٠) ، فقلت : إن الناس كانوا على اتفاق بأن قرار البورصة كان بإيعاز ! وإستندوا على منع الحكومة الاجتماع الذى كان شرع فيه عمر طوسون ، وأن هذا الحل لم يشتمل على شىء يمنع وقوع مثل ذلك الضرر فى المستقبل ، وقد أيد حق السماسرة ، أو أعطى لهم حقاً .

فقال : إن هذا الحل من بنات أفكارى ، وأنا الذى قررته ! قلت : إن الجرائد نسبته للمستشار المالى ! قال : إن ذلك غير صحيح ، وإنى أنا الذى افكرته ، وأبديته على طريقة ترتب عليها أن قطعت بأصابعى متكأ الكنية !

وأكد بأن المستشار المالى كان مُعيناً له فى هذه المسألة ، حتى إنه قال له : إنه مستعد لأن يعطى لغاية مائة ألف جنيه ! وأن الذى دعاهم إلى هذا الحل ، أن السماسرة توقفوا عن العمل ، وأنه خشى على بورصة إسكندرية — إذا أقفلت — من أن تسيء إلى^(١٣١) سمعة مصر المالية . فقلت : مادمت تؤكد ذلك ، فإننا مضطرون لتصديقك !

انصرفنا من لدنه ، وصحبني عبد اللطيف إلى المنزل ، ومكث زماناً طويلاً ، حضر فيه صدقي باشا ، وصدّ بيك^(١٣١م) وعبد الرحيم باشا

(١٣٠) كانت لجنة بورصة الاسكندرية قد أصدرت فى سبتمبر ١٩١٦ قرارا بتخفيض أسعار القطن ، مما أدى إلى استياء واحتجاج لم تملك معه الحكومة إلا الدخول مشترية لجزء من المحصول بسعر أعلى مما حددته لجنة البورصة . ويكتب سعد كلمة البورصة على شكل « البورصة » .

(١٣١) أضفنا : « إلى » .

(١٣١م) أى محمود صدقي باشا ، عدیل سعد زغلول ، وشقيقه محمد صدقي بك . والأخير هو ما يشير اليه سعد فى المذكرات باسم « صدقي » . ولا يجب أن يذهب الظن إلى أنه اسماعيل صدقي باشا ، فلم يكن هذا الأخير صديقاً مقرباً لسعد باشا .

٣٠٧

صبرى . وفهمت من الأخير أن قطن المنوفية سيكون بمقدار ثلاثة قناطير ونصف إلى ثلاثة قناطير وثلاثة إربيع ، وإنه رضى عن ابنه ، إطاعة لأمر سام ! وكان يقول ذلك وعيناه مغرورقتان بالدموع !

هذا يوم عيد الأضحى ، وقد أصبحت ولم أشعر بأنه إمتاز عن غيره من بقية الأيام ، حتى إنى ، مع كوني إستيقظت باكرا ، لم أسمع صوتاً للمدافع ، وإنما كنت أسمع من وقت لآخر كلمة : جزار ! وقد قيل لى على المائدة أن هناك لحما لم ينضج ، ومع ذلك أكلت فولاً وقشدة ، وشربت لبناً .

[ص ١٤١٤]

وما رأيت على خدمى علامة للعيد ، ولا سمعت حركة غير معتادة لذهاب الناس وإياهم . فجلست بعد الإفطار ، وكتبت هذه السطور . وافتكرت أن هذا الفتور من أعراض ذلك الإنحلال ، الذى انبث فى الأمة إنبثاث السم فى الأجسام !

رأيت ، بعد طول التفكير والتأمل ، أن الأمة التى ضاع إستقلالها ، ولم تندمج فى غيرها ، لا يمكن أن ينجح شئ فيها . فلا يزرع فيها فكر صالح ، ولا تتربى فى أفرادها فضيلة ، ولا يجمع بينهم شعور عام ، ولا يوجد بينهم أنس ، ولا يجدون عند لقاء بعضهم ببعض إرتياح . وتكون حياة كل فرد منهم قاصرة على نفسه ، فلا يفتكر فى غيره ، ولا يشعر إلا بما يتصل بشخصه من لذة أو ألم ، ويكون همه أن يتقى شر الحاكم عليه أو أن يكتسب رضاه . وكل مظهر من المظاهر القومية منعدم فيهم ، فلا يكون لهم أعياد ، ولا مواسم للإجتاع ، ولا تتحد فيهم عادة فى ميتم أو فرح ، ولا يكون لهم شعر ولا غناء ، ولا تتربى فيهم ملكة الخطابة ، أو حسن الإستماع ، أو العناية بالأشياء الجميلة — وبالجملة ،

٢٢٥٧

يفقدون خصائص الإنسان ومزايه ، ويكونون آلات في يد الغير يصرفهم بإرادته ، ويوجههم إلى غايته .

زارني اليوم السير جراهم وكتب على تذكرته علامة التهنئة بالعيد والوداع^(١٣٢) .

[ص ١٤١٥]

ولقد تكلمت مع بعض الإخوان ، بأن الإنسان الذي لا يعتقد بحياة بعد هذه الحياة ، يلزم أن يكون أحد رجلين : إما أن يكون حامل الذكر ، لا يعنى بشيء من أمور الوجود ، ولا من شئون الغير ، ولا يتأثر لتغير الأحوال العامة ولا الخاصة ، إلا ما كان ألماً جسمانياً – وإما أن يكون مجازفاً ، مخاطراً ، يشغل نفسه بنفع الغير وخدمته ، لا يبالى في هذا السبيل مات أو عاش ، فاز أو خاب !

وجدت كل من رأيت متفقاً معى في عدم الشعور بالعيد ، وانتقاد عظمة السلطان في كونه اختار أن يقضى أيامه في أراضيه ، بعيداً عن غوغاء الملك وضوضائه . ومع ذلك فإنه أعد ما يلزم لاستقبال الوزراء والأمراء والعلماء في خلوته . فإن هؤلاء ذهبوا إليه فيها ، ولا يذهبون إلا مدعويين ! ورأيت جريدة الأهرام تحت الناس على هذه الزيارة ، وعلى إرسال تلغرافات التهاني على طريق الاخبار بما يفعلون والرواية لما يعملون .

في يوم ٩ أكتوبر

نمت أمس نوماً غير مستريح ، واستيقظت في الساعة الثامنة . ولم يحدث ما يستحق الذكر ، غير أنى قرأت^(١٣٣) أن الوزراء لم يذهبوا إلى

(١٣٢) كتب سعد زغلول هذه العبارة بين قوسين .

(١٣٣) قراءة تقريبية .

٢٢٥٨

عظمة السلطان في (...) (١٣٤) كما قيل من قبل .

يوم ١٠ منه

لم يحصل شيء يستحق الذكر .

[ص ١٤١٦]

يوم ١١ أكتوبر سنة ١٩١٦

هذا اليوم يحتفل فيه بوداع السير جراهام مستشار الداخلية ، تحت رئاسة مظلوم باشا . وقد ترددت كثيرا في الذهاب ، ولكني رأيت - بعد طول التردد - أن أذهب ، دفعا للقليل والقال ، وإلجأاً لأسئلة اللثام . أشعر بأن رومانيا قريبة السقوط في يد الألمان ، إن لم تكن سقطت في هذه الأيام !

زارني أمس علوى باشا (١٣٥) ، واستشارني فيما إذا ما كان يحسن إنشاء قسم لتدريس الحقوق بالجامعة ، للطلبة اللذين يريدون أن يدرسوا في الخارج ، ويقبلوا في إمتحان مدرسة الحقوق السلطانية ؟

فقلت : لا بأس في ذلك . ولكن اشتغال الجامعة بتدريس الحقوق في زمن الأحكام العرفية غريب ! ولا أظن أن الحكومة توافق على ذلك ، ولا أظنها أيضا تسمح لأساتذتها بإلقاء دروس في الجامعة !

وزارني اليوم لطفى السيد ، ورأيت لا يختلف في الفكر عني ، في موضوع الإحتفالات لتكريم الراحلين من الموظفين الإنكليز - بمعنى أنها لا ترفع من خفض ، ولا تغني من جوع ، ولا في أن الحياة بدون الإستقلال ذل للنفوس !

(١٣٤) اسم غير مقروء .

(١٣٥) محمد علوى باشا .

إتففت اليوم مع شكرى باشا ، على أن أصبح به إلى مكان الإحتفال بتكريم « جراهام » ، فى الساعة ٤ . ولما مرّ بي ، قلت له : إنى أرى أنه لا معنى للذهابى ، لأنى غير مستحسن لهذا الإحتفال ، وأعد القائمين به غير عاملين بشعورهم^(١٣٦) ، بل جارين على مقتضى مصالحهم ! وما من ملزم لى بالإشتراك فى أمر أحسبه نكيراً ، وأعده إذا^(١٣٧) ، خصوصاً وأنى وأنى مريض برجلى ، وكل من زارنى فى العيد يقال له هذا العذر .

فقال : إن ما تقوله [ص ١٤١٧] وجيه . وذهب .

وفى الواقع أنه وجيه ! وإذا أنا ذهبت ، فلا أكون إلا واحداً من المنافقين ، بل من أذناهم ، ولا يحق لى أن أتاجر بالعنوان^(١٣٨) الذى منحتة لى الأمة ، لأن اللذين أنابون عنهم لم ينيبوني^(١٣٩) لأن أكون عبداً للسلطة ، أوجه وجهى حيث ما توجهت ، وأحبد كل ما يصدر منها . ولست فى المركز الذى أنا فيه لأن أخالف ما فى ضميرى . ولذلك لم أذهب .

وذهب شكرى باشا ، ثم عاد ، وأخبرنى بأن الحفلة كانت بسيطة ، وإن كان الحاضرون كثيراً ! وأن الدمرداش كان يضايق مظلوم ، واتخذ صفة مهراز^(١٤٠) ثقيل ! ثم حضر من بعده صدقى بيك ، ثم على باشا شعراوى ، ولطفى بيك السيد ، ثم الهلباوى . ثم حضر محمد باشا سعيد ، فانقبض لما رأى هذا الجمع ، ولكنى اجتهدت فى إزاحة ما حدث من شعور الدهشة والنفور . ومكثنا نتكلم فى موضوع القطن وتقدير

(١٣٦) أى : لا يدفعهم إلى ذلك شعور صادق .

(١٣٧) إذا ، يعنى أمراً فظيعاً .

(١٣٨) أى : باللقب - لقب نائب .

(١٣٩) فى الأصل : « ينيبون » .

(١٤٠) قراءة تقريبية .

٢٢٦٠

أسعاره وحاجاته^(١٤١) زماناً طويلاً . ثم انصرفوا ، ومكث عطوفته ، وقال : إنهم إتهموه بأنه أغرى الأمير عمر على أن يجمع القوم في نازلة البورصة ، مع كونه كان أشار عليه بخلاف ذلك . واستشهد به .

وفهمت منه أن السلطان بلغه أن الإنكليز يوجهون له التهمة المذكورة ، فتبرأ منها على هذا النحو ! ثم انصرف .

ثم حضر عدلى ، وعبد الرحيم باشا صبرى ، بعد العشاء ، ومكثنا للساعة نصف بعد نصف الليل . وربما أكتب شيئاً عن هذه الجلسة بعد .

وفاتنى أن أذكر أنه لم تُقل خطب في حفلة التكريم ، واختلف الناس فيمن كان السبب في ذلك السكوت ، لأن الخطب كانت كتبت ، وأعدت ، وتبدلت فعلاً - كما يؤكد العارفون ، ثم عدل « جراهم » عنها ، فمنهم من يقول لأن سسل لم يرضها ، ومنهم من قال : رشدى !

والله أعلم ، وستنكشف الحقيقة^(١٤٢) !

(١٤١) قراءة تقريبية .

(١٤٢) قراءة اجتهادية .

وتوجد بعد هذه الصفحة ٤ صفحات مكتوبة بالألمانية كتابة متفرقة وبها معان كلمات ألمانية بالفرنسية . وهى صفحات أسقطتها فريدة كابس من الترقيم .

٢٢٦١

ثبت بمصادر ومراجع الدراسة والتحقيق

ابراهيم مصطفى الوليلي : مفاخر الأجيال في سير أعظم الرجال ،
الطبعة الثانية (القاهرة ١٩٣٤) .

أحمد شفيق باشا : مذكراتي في نصف قرن ، الجزء الثاني ، القسم الأول
والقسم الثاني (مطبعة مصر ١٩٣٦)

أحمد شفيق باشا : مذكراتي في نصف قرن ، الجزء الثالث ، عباس
والحرب العظمى من سنة ١٩١٥ إلى ١٩٢٣ (القاهرة ،
دار مجلتي للطبع والنشر) .

أحمد شفيق باشا : حوليات مصر السياسية ، تمهيد ، الجزء الأول
(القاهرة ، مطبعة شفيق باشا ١٩٢٦) .

الياس زخورة : السوريون في مصر ، الجزء الأول (القاهرة : ١٩٢٧) .

- الياس زخورة : مرآة العصر في تاريخ ورسوم أكابر الرجال بمصر ، ٣ أجزاء (المطبعة العمومية بمصر ١٨٩٧)
- طلعت اسماعيل رمضان : الادارة المصرية في فترة السيطرة البريطانية ١٨٨٢ - ١٩٢٢ (دار المعارف ١٩٨٣)
- عبد الرحمن الرافعي : ثورة ١٩١٩ ، تاريخ مصر القومي من سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩٢١ ، الجزء الأول (مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٦) .
- عبد الرحمن الرافعي : محمد فريد ، رمز الاخلاص والتضحية (القاهرة ، البابى الحلبي ١٩٤١)
- عبد العظيم رمضان ، الدكتور : تطور الحركة الوطنية في مصر ١٩١٨ - ١٩٣٦ ، (القاهرة ، هيئة الكتاب ١٩٦٨)
- عبد العظيم رمضان ، الدكتور : تطور الحركة الوطنية في مصر ١٩٣٧ - ١٩٥٨ مجلدان (بيروت ، ١٩٧٣)
- عبد العظيم رمضان ، الدكتور : الجيش المصرى في السياسة ١٨٨٢ - ١٩٣٦ (هيئة الكتاب ١٩٧٧)
- عبد العظيم رمضان ، الدكتور : مذكرات سعد زغلول ، الجزء الأول ، والثاني ، والثالث ، والرابع (الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧ و ١٩٨٨ و ١٩٨٩ و ١٩٩١)
- عبد المنعم الجميلى : الجامعة المصرية القديمة ، قيامها ودورها في المجتمع ١٩٠٨ - ١٩٢٥ .
- عبد الوهاب بكر ، الدكتور : البوليس المصرى ١٨٠٥ - ١٩٢٢ ، الجزء الثانى ، رسالة ماجستير غير مطبوعة (١٩٧٧)

٢٢٦٣

فؤاد كرم : النظارات والوزارات المصرية (مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر ، مطبعة دار الكتب ١٩٦٩)

محسن محمد : سعد زغلول ، مولد ثورة (القاهرة : مكتبة غريب ١٩٨٣)

محمد ابراهيم الجزيري : آثار الزعيم سعد زغلول ، عهد وزارة الشعب ، الجزء الأول (دار الكتب المصرية ١٩٢٧)

محمد أنيس ، الدكتور : صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل ، الطبعة الثانية (تاريخ المصريين ١٩٨٧)

محمد فريد : أوراق محمد فريد ، المجلد الأول ، مذكراتي بعد الهجرة ١٩٠٤ - ١٩١٩ (هيئة الكتاب ، مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر ١٩٧٨)

الموسوعة العربية الميسرة ، جزآن (بيروت دار نهضة لبنان)

المنجد في اللغة والاعلام (بيروت دار الشرق ١٩٨٦)

مراجع أجنبية

Chirol, Sir Valentine, The Egyptian Problem, (London, Macmillan 1920)

Lloyd, Lord G, Egypt Since Cromer, Vol. I (London, Macmillan 1933)

Weeler, Harold, The Story of Lord Kitchner (Edinburgh 1924)

The University Encyclopedia (London 1985)

٢٢٦٥

الكشافات *

- ١ - كشاف الأعلام
- ٢ - كشاف الهيئات
- ٣ - كشاف البلاد والأماكن
- ٤ - كشاف الحوادث
- ٥ - كشاف الدوريات

* قام بإعداد هذه الكشافات الاستاذ سامى عزيز فرج بمساعدة السيدتان إيزيس
راغب وإستر غالى ..

٢٢٦٦

الكشافات

كشاف الأعلام

— ١ —

- أحمد حلمى : ٢٧٠ ، ٢٧٩ .
- أحمد حمودة « يوزباشى » : ٢١٤ .
- أحمد خيرى : ٢٤٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ .
- أحمد رافت : ٢٥٠ .
- أحمد رمضان زيان : ٢١٤ .
- أحمد زكى : ٢٤٧ .
- أحمد سابق : ٢٥٥ .
- أحمد شفيق : ٩٠ ، ٢١٨ ، ٢٦٤ .
- أحمد عبد اللطيف « المحامى » : ٦٩ ، ٧١ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٩١ ، ٢٠٢ ، ٢١٨ ، ٢٢١ .
- أحمد عثمان « الحاج » : ٣٠١ .
- أحمد على : ١٣٨ .
- أحمد فتحى زغلول : ٢٩ ، ٣٤ ، ١٢٥ ، ١٥١ .
- أحمد فؤاد « البرنس » : ٦٤ ، ١٠٩ ، ١٤٨ ، ١٥٤ ، ١٦٥ ، ١٧٠ ، ١٨٥ ، ٢٧١ ، ٢٨٣ .
- أحمد لطفى « المحامى » : ١٥٣ ، ٢١٤ ، ٢٢٣ .
- أحمد لطفى السيد : ١١٠ ، ١٢٩ ، ١٦٧ ، ١٧٢ ، ٢١٧ ، ٢٢٨ ، ٢٤٨ ، ٢٥٠ ، ٢٥٧ ، ٢٦٢ ، ٢٨٦ ، ٣١٠ ، ٣١١ .

- إبراهيم الهلباوى : ١٤٩ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٧ ، ٢٨١ ، ٣١١ .
- إبراهيم الوردانى : ٦٩ ، ١٠١ .
- إبراهيم حلمى : ٩٠ .
- إبراهيم راتب : ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ .
- إبراهيم رفعت : ٢٤٧ .
- إبراهيم رياض : ٢١٤ .
- إبراهيم سعيد : ١٨٣ ، ٢٢٦ ، ٢٦٨ .
- إبراهيم صالح : ١٧٩ ، ١٩٢ .
- إبراهيم فتحى : ١٢٤ ، ١٣٢ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٩١ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٣ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٣٠ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٤٤ ، ٢٥٧ .
- إبراهيم جرونى « الشيخ » : ٢١٤ .
- إبراهيم نجيب : ٢٦٩ .
- أحمد الشريف السنوسى : ٢٧٦ .
- أحمد حشمت : ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٥ ، ١٤٨ ، ٢٧٠ .

٣١٨

- الجزيري : ١٦٢ .
 - الدمرداش ← انظر عبد الرحيم الدمرداش
 - الرافعي ← انظر عبد الرحمن الرافعي .
 - السلطان ← انظر حسين كامل .
 - السنوسي ← أحمد الشريف السنوسي .
 - الصاوي : ٢٩٨ .
 - الفريد عيد «دكتور» : ٢٢٦ .
 - المكباتي ← انظر عبد اللطيف المكباتي .
 - المنفلوطي ← انظر مصطفى لطفى المنفلوطي .
 - المنيأوي : ٢٥٩ .
 - النيراوي : ١٩٨ .
 - الهلباوي ← انظر إبراهيم الهلباوي .
 - الورداني ← إبراهيم الورداني .
 - إمام واكد : ١٥٧ .
 - أميرة خواسك : ١٤ .
 - أمين الرافعي : ١٦٠ ، ١٩١ ، ١٩٩ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢٣٨ .
 - أمين زغلول : ٢١٥ — ٢١٧ .
 - أمين يحيى : ٢٠٠ .
 - أنطونيو ، تالاريس : ١٥٧ .
 - إيزيس راغب : ٤ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ .
- ب -
- بخيت « الشيخ » : ٢٩٠ .
 - يرتلان ، هاباس : ٤٧ .
 - برنيوت ، ولیم « سير » : ١٠٣ ، ١٠٥ .
 - بشير « الخادم » : ٢٨٦ .
 - بطرس غالى : ٦٩ ، ١٢٨ ، ١٥٧ .
 - بهجت : ٢٨٠ .
 - بهية « هانم » : ٢٩٧ .
 - بورنيت « مسيو » : ١٤٧ .
 - بوند « مستر » : ٢٨٦ ، ٢٩١ .

- أحمد لطفى عمر : ١٤٩ .
- أحمد مصطفى درويش سيد أحمد : ٢٥٤ .
- أحمد مظلوم : ٦٣ ، ٨٦ ، ٩٧ ، ١٦٥ ، ١٧١ ، ١٨٣ ، ٢٦٠ ، ٢٨٩ ، ٣٠٦ ، ٣١١ .
- أحمد نبيه قبودان « يوزباشى » : ٢١٤ .
- أحمد رفيق : ٢١٤ .
- إدوارد السابع « الملك » : ٢٩٠ .
- أرشيبالد ← انظر دى ارشيبالد .
- أسامة البدوى : ٤ .
- استر غالى : ٤ ، ١١ ، ١٢٣ ، ١٢٠ ، ١٠٨ ، ١٠١ ، ١٢٣ ، ١٢٨ — ١٣١ ، ١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ٢٢١ ، ٢٧٠ .
- اسكيت ، هيريرت هنرى : ٢٩١ .
- أساء : ١٥٨ .
- إسماعيل « خطيب سميحه » : ٢٦٥ .
- إسماعيل أباطه : ٧٠ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٧ ، ٢٤٦ .
- إسماعيل حافظ : ٢١٤ .
- إسماعيل حسين : ٢١٤ .
- إسماعيل حمدى « تلميذ » : ١٩٧ ، ٢٣٨ .
- إسماعيل سرهنك : ٢٠ ، ٢٠١ ، ٢٧٧ .
- إسماعيل سرى : ١٣٨ ، ٢٥٩ .
- إسماعيل شيرين : ٢٦٣ .
- إسماعيل صدقى : ٦٤ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ١٢٣ ، ١٢٧ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٨ ، ١٣٩ .
- ١٤١ — ١٤٣ ، ٣٠٧ .
- الأمير العطار : ٢١٤ .
- الباجورى : ٢٠٣ ، ٢٣٨ ، ٢٨٣ .
- البكرى الصرقى « الشيخ » : ٢٩٠ .
- البندارى « المحامى » : ١٩٩ ، ٢٠٢ ، ٢١٣ .
- الجبرقى ← انظر عبد الرحمن الجبرقى .

● حسن جلال : ١١٠ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ٢٤٩ .

● حسن خيرى : ٢٣٦ .
● حسن شريف : ٢٢٧ .
● حسن صبرى : ١٠٠ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١١٧ ، ٢٩٠ ، ٢٩٢ ، ٢٦٤ .
● حسن عبد الرزاق : ١١٥ ، ١١٩ ، ٢٤٨ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ .

● حسن كامل : ١٧٠ .
● حسنى شعير : ١٥٧ .
● حسين رشدى : ٧ ، ٢١ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٧٢ ، ٧٥ ، ٨١ ، ٨٨ ، ٩٢ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٤٨ ، ١٥٣ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٧٢ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٩ ، ١٩٣ ، ١٩٧ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢١٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٢٤٣ ، ٢٤٨ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٤ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٢٨١ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠٦ ، ٣١٢ .

● حسين شرين : ٢٦٣ .
● حسين فخرى : ٢٩٧ ، ٢٩٨ .
● حسين فهمى بهجت : ١٩٧ ، ٢١٣ .

● حسين كامل « السلطان » : ٧ ، ٨ ، ١٠ ، ٦١ — ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٩٤ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٣ ، ١٦٠ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٧٠ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ١٨٧ ، ١٩٠ — ١٩٥ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٣ ، ٢١٩ ، ٢١٧ ، ٢٢١ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٣ — ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٤٣ ، ٢٤٥ — ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢ .

— ث —

● توفيق رفعت : ٢٢٦ .
● توفيق « السيدة » : ٢٦٥ .
● تيمور « بك » : ٢١٥ .

— ث —

● ثروت « باشا » ← عبد الخالق ثروت .

— ج —

● جاد شوقى : ١٧٦ .
● جاقيه « مسيو » : ٣٠٤ .
● جال بابا : ٤٢ .
● جاويز ← عبد العزيز جاريز .
● جراهم ، رونالد : ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ، ٢١٧ ، ٢٣٤ ، ٢٧٩ ، ٣٠٦ ، ٣٠٩ — ٣١١ .

● جعفر والى : ١٨٣ ، ٢٢٨ .
● جلسن : ٢٧٧ .
● جميل ثابت : ٣٠١ .
● جورست ، الدون : ٢٠ ، ٣١ ، ١٤٤ .
● جيمس هينز ← هينز ، جيمس .

— ج —

● حافظ حسن : ٢١٩ ، ٢٢٠ .
● حافظ رمضان : ٢٤٦ .
● حافظ عفيفى : ١٩٨ .
● حافظ عوض : ١٧٧ .
● حافظ محمود قبودانه « يوزباشى » : ٢١٤ .
● حامد العللايلى : ٢١٤ .
● حتاته « بيك » ← محمد حتاته .
● حسن أنيس : ١٥٧ .

٢٢٦٩

-ز-

- زايد جلال : ١٤٩ .
- زكى «باشا» ← أحمد زكى .
- زكى كرجى : ٢٠٣٠ .

-س-

- ساتو : ١٧٦ .
- سامى عزيز : ٤ ، ١١ ، ١٤ .
- ستاك ، لى «السير» : ٢٤٩ .
- سرهنك ← إسماعيل سرهنك .
- سرى «باشا» ← إسماعيل سرى .
- سعد زغلول : ١ ، ٢ ، ٥ ، ٧ — ١١ ، ١٤ ، ١٧ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦١ — ٦٤ ، ٧٥ ، ١١٤ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٨ ، ١٣٦ ، ١٣٨ — ١٤١ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٧٦ — ١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٠١ ، ٢٠٦ ، ٢٠٩ ، ٢١٤ ، ٢١٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٧ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٥٧ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣ ، ٢٧٦ ، ٢٨٢ ، ٢٨٧ ، ٢٩٤ .

- سعيد «باشا» ← محمد سعيد .
- سعيد ذو الفقار : ٦٩ ، ١٢٠ ، ١٣٥ ، ١٨٥ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٨ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٩٥ .
- سلامة الخولى : ٢١٤ .
- سليم البشرى : ٨٩ .
- سميحة «الأميرة» : ٢٦٥ .
- سمير سرحان «الدكتور» : ١٤ .
- سميرة عرابى : ١٤ .
- سنية «هانم» : ١٢٧ .

سعد زغلول ج ٥ - ٣٢١

- ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ — ٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٢٨١ ، ٢٨٦ ، ٢٨٨ ، ٢٩١ ، ٢٩٤ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ .

- حسين محرم : ١٢٣ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٠ — ١٥٤ ، ١٦٧ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٧ ، ٢٧٠ .

- حسين واصف : ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٩ ، ١٨٣ .
- حلمى «باشا» ← أحمد حلمى .
- حمد الباسل : ١٩١ .

—ح—

- خليفة محمود : ٢٩٩ .
- خليل چاهين : ٢٤٦ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ .
- خيرى «باشا» ← أحمد خيرى .

—د—

- دانلوب ، دوجلاس : ٦١ ، ٢٤٧ .

—ر—

- راتب «باشا» ← إبراهيم راتب .
- راغب «حاجب» : ٢٢٩ .
- رتيبة : ١٥٦ ، ٢٧٨ .
- رستم «مستر» : ١٠١ .
- رشدى «باشا» ← حسين رشدى .
- رشوان : ٢٢٨ .
- رشيد رضا «الشيخ» : ٦٥ .
- رمزى ميخائيل : ١١ .
- روکاسيرا : ١١١ .
- رياض «التلميذ» : ٢٣٨ .

- طلعت حرب : ١١٥ ، ٢٢٤ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٣٠١ .

-ع-

- عاطف ← محمد عاطف بركات .
- عاطف صدقي : ٢٢٤ ، ٢٢٨ .
- عباس الدرملی : ٦٨ ، ٩٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ .
- عباس حلمی « الخديوى » : ٧ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٧ ، ١٤٢ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٧٨ ، ١٨٧ .
- عباس خلیل : ٢٣٥ ، ٢٦٢ ، ٢٥٣ ، ٢١٤ ، ١٩٦ ، ٢٦٤ .
- عبد الباقي العمرى : ٧٧ .
- عبد الحليم : ٢٨٠ .
- عبد الحليم متولى : « الدكتور » : ٢١٤ .
- عبد الخالق ثروت : ١٠٠ ، ١١٠ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٨٣ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٢١ ، ٢٤٤ ، ٢٥٠ ، ٢٥٥ ، ٢٧٥ .
- عبد الرحمن الجبرقى : ٢٦٧ .
- عبد الرحمن الرافعى : ١٦٢ ، ٢١٣ ، ٢٥٥ ، ٢٧٦ .
- عبد الرحيم أحمد : ١١٢ ، ١٤٣ .
- عبد الرحيم الدمرداش « الشيخ » : ١٤٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٤٨ ، ٢٥٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ .
- عبد الرحيم صبرى : ٢١٠ ، ٢٦٥ ، ٢٨٤ ، ٢٨٨ ، ٣٠٧ ، ٣١٢ ، ٣١١ .
- عبد العزيز جاويش : ٣٧ ، ٤٤ ، ٢٣٨ ، ٢٥٠ .
- عبد العزيز فهمى : ٢٢١ ، ٢٥٠ ، ٢٦٨ ، ٢٨٦ ، ٣٠٠ .
- عبد العظيم رمضان « دكتور » : ٢ ، ١٤ .
- عبد الغفار متولى « دكتور » : ٢١٤ .

- سيسل ، إدوارد : ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٥ ، ١٣٨ ، ١٩٢ ، ٢٧١ ، ٢٧٩ ، ٣١٢ .
- سيف الدين : ٦٤ .

-ش-

- شاويش ← عبد العزيز جاريش .
- شحاته « باشا » : ٢٩٥ .
- شفيق منصور : ٢١٤ ، ٢٤٩ .
- شكرى « باشا » ← انظر عمود شكرى .
- شوقى : ١٦٦ .
- شيقى ، آرثر : ١٥٧ .

-ص-

- صادق « المزين » : ١٧٩ .
- صادق رفعت : ٢٢٦ .
- صادق رمضان : ٣٠١ .
- صالح « دكتور » : ٢٠٣ .
- صالح « الشيخ » : ٢٠٨ .
- صالح حقى : ٢٢٢ .
- صالح صقر : ٢٣٨ ، ٢٥٤ .
- صالح عبد اللطيف بدوى : ٢٠٣ ، ٢١٨ .
- صالح لطفى عبد اللطيف : ٢٣٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٩ .
- صدقى « باشا » : ← انظر محمود صدقى .
- صدقى « بك » ← محمد صدقى .
- صفية زغلول : ٢١٠ .

-ط-

- طاهر اللوزى : ٢٧٥ .
- طرتيزن « باشا » : ٦٨ .
- طرخان « بيك » : ٢٤٨ .
- طلبة سعودى : ١٤٩ .

٢٢٧١

- على رفاعي : ٢٥٢ .
- على شعراوي : ٩٩ ، ١٦٧ ، ١٨٣ ، ١٨٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٢٣ ، ٢٦٠ ، ٢٦٩ ، ٣١١ .
- على صادق : ٢٥٥ .
- على صالح عبد اللطيف : ٢٤٢ .
- على صدقي : ٢٩٨ .
- على صديق : ١٤٣ .
- على عمر : ٢٥١ .
- على فهمي خليل : ٢١٤ ، ٢١٨ .
- على ليبب «دكتور» : ١٩١ .
- على نجاتي : ٢٢٧ .
- عمر طوسون «الأمير» : ١٦٥ ، ٣٠٧ ، ٣١٢ .

— غ —

- غورست ← جورست ، الدون .

— ف —

- فاطمة إسماعيل «الأميرة» : ٢٧١ .
- فتح الله بركات : ١٨٥ ، ٢٠٥ ، ٢٣٧ ، ٢٨١ .
- فتحى ← أحمد فتحى زغلول .
- فخري ← حسين فخري .
- فرنوموش «الحكيم» : ٢٢٤ .
- فريد ← محمد فريد .
- فريزر «الجنرال» : ٢١٨ .
- فلوري ، موريس دي : ٤٤ ، ١٦٢ .
- فؤاد : ١٢٣ ، ٢٩٨ .
- فيليبيلدوس ، جورج : ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ٢٣٣ ، ٢٥٠ .

— ق —

- قاسم أمين : ٢٤٧ .
- قطاوي : ٢٨٣ .

٣٢٣

- عبد الغنى شاكور : ٢٤٧ ، ٢٤٩ .
- عبد الفتاح يوسف «الدكتور» : ٢١٤ ، ٢٥٥ .
- عبد الكريم سلمان «الشيخ» : ٢٠٥ ، ٢٦٧ .
- عبد اللطيف الصوفاني : ٧٠ ، ٢١٤ .
- عبد اللطيف المكباتي : ١٢٤ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٨٩ — ١٩٢ ، ١٩٩ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢٢٢ ، ٢٣٦ ، ٢٤١ ، ٢٤٦ .
- عبد الله الطوير : ٩٥ .
- عبد الله حسن : ١٧٥ .
- عبد الله حسين : ٢٥٥ .
- عبد الله طلعت : ٢١٤ ، ٢١٧ .
- عبد الله وهبي : ٢٥٣ ، ٢٥٧ ، ٢٦٨ .
- عبد المقصود متولى : ٢١٤ .
- عبد المنعم الجميعة «الدكتور» : ٢٧٢ .
- عبد الوهاب بكر «الدكتور» : ١٥٨ .
- عبد «الخادم» : ٢٨٦ ، ٢٨٨ .
- عثمان مرتضى : ١٣٦ .
- عدلى يكن : ٩٩ ، ١٠٤ ، ١٢٥ ، ١٣١ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٩ ، ١٧٢ ، ١٧٦ ، ١٧٩ — ١٨٣ ، ١٨٨ ، ١٩٢ — ١٩٤ ، ١٩٨ ، ٢١١ ، ٢٢٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٦ — ٢٤٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٤ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨١ ، ٢٩٤ ، ٢٩٧ — ٣٠٠ ، ٣١٢ .
- عزيز الأرنؤوطى : ٢١ .
- عزيز بحرى : ١٢٤ ، ٢٢٠ — ٢٢٢ .
- عزيز خانكى : ٨٣ .
- عزيز كحيل : ١٢٨ .
- عفيفى : ١٤٣ .
- علوى ← محمد علوى حافظ .
- على أمين : ١٢٤ ، ١٥٦ ، ٢٧٨ .
- على حسين : ٢٠٣ ، ٢٨٠ .

● محمد سعيد : ٦٣ ، ٦٤ ، ٨٦ ، ٩٢ ، ٩٥ ،
١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٤٠ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٧ ،
١٨٢ ، ٢١١ ، ٢٦٣ ، ٢٧١ ، ٢٧٤ ، ٢٩٤ ،
٣٠٨ .

● محمد سليمان : ٢٢٦ .
● محمد شمس الدين : ١٧٩ ، ١٥٤ .
● محمد صدقي : ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٩١ ،
١٩٧ ، ١٩٩ — ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ،
٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٣٧ ، ٢٦٤ ، ٢٧٦ ،
٢٨١ ، ٢٩٣ ، ٢٩٨ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٧ ،
٣١١ .

● محمد عاطف بركات : ١١٢ ، ١٤٣ ،
١٦٣ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٥ ، ١٩١ ، ٢٠٥ ،
٢٠٦ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٨ ، ٢٣٧ ، ٢٥١ ،
٢٩٢ ، ٢٩٤ ، ٢٩٦ .

● محمد عبد السلام : ١٥٧ .
● محمد عثمان « الشيخ » : ٩٠ .
● محمد علوي الجزائر : ١٠٩ ، ١٢٨ ، ٢٥٧ ،
٢٥٨ ، ٢٧١ .

● محمد علي : ١٤١ ، ١٦٢ ، ١٧٦ ، ٢١٨ ،
٢٦٢ ، ٢٧٨ .

● محمد علي « المحامي » : ١٩٩ .
● محمد عوض جبريل : ٢١٤ .
● محمد عوض محمد « دكتور » : ٢١٤ .
● محمد فريد : ٧٠ ، ٢١٤ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ،
٢٥٠ ، ٢٥١ .

● محمد فؤاد حمدي : ٢١٤ .
● محمد متولي : ٢٠٨ ، ٢٢٣ .
● محمد محمود : ٢٩ ، ١٨٨ ، ٢٢٨ ، ٢٤٩ ،
٢٥١ .

● محمد محمود أبو النصر : ٧٤ .
● محمد مصطفى : ٢٠٩ .
● محمد نجيب الهلباوي : ٢٢٧ ، ٢٣٣ ،
٢٥٥ .

● قليني فهمي : ٦٥ .

— ك —

● كاظم : ٢٩٧ .
● كشتنر « اللورد » : ٨ ، ٨٥ ، ٩٢ ، ١٢٣ ،
١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ،
١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ،
١٥١ — ١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ، ١٦٧ ،
٢٤٤ ، ٢٦٢ ، ٢٧١ — ٢٧٤ ، ٢٨٨ — ٢٩٠ .
● كرومر « اللورد » : ٣٢ ، ٦٢ ، ٨٢ ،
٢٠١ ، ٣٠١ .

● كمال الدين حسين « الأمير » : ٦٤ ، ٨٦ ،
١٠٦ ، ١٤٣ ، ١٤٨ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٨٥ .
● كيشار « عائلة » : ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٥ .

— ل —

● لطفى « بك » ← أحمد لطفى السيد .
● لوسكيانو ، فرانيسكو : ١٥٧ ، ١٥٨ .
● ليفي : ٢٧٧ .

— م —

● ماكسويل « ليدى » : ١٨٢ .
● محب « باشا » : ٩٠ .
● محرم رستم : ١٨٣ ، ٢٣٠ .
● محسن محمد : ١٣٨ .
● محمد أباطه : ٢٢٠ .
● محمد الشافعي : ٢١٤ .
● محمد الوكيل : ٢٦٥ .
● محمد أمين يوسف : ١٢٤ ، ١٥٦ .
● محمد حتاته : ٤ ، ١١ ، ١٦٦ ، ٢٠٩ ،
٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٩٤ ، ٢٩٨ .
● محمد حسنين « الشيخ » : ١١٢ .
● محمد خطاب « المحامي » : ٢٢٦ .
● محمد زكيه علي : ٢١٤ .

- ٢٢٧٣
 ● مصطفى أمين : ١٢٤ ، ١٥٦ ،
 ● مصطفى حسين : ٣٠ ، ٣٣ ، ٣٤ .
 ● مصطفى حمدي : ٢١٤ .
 ● مصطفى عبد الرازق : ٢٤٧ .
 ● مصطفى فهمي : ٢٠ ، ٦٨ ، ٢٠٢ .
 ● مصطفى كامل : ١٧٥ ، ٢٣٨ ، ٢٥٣ .
 ● مصطفى ماهر : ١٨٣ .
 ● مظلوم ← أحمد مظلوم .
 ● مكسويل ، جون «سير» : ١٨٥ ، ٢٣٣ ، ٢٧٤ .
 ● مكماهون ، هنري «السير» : ٦٢ — ٦٤ ، ٧٠ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٩٤ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٧ — ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ٢١٢ ، ٢٦٦ — ٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٩ ، ٢٩٢ ، ٣٠٠ .
 ● منسفيلد «باشا» : ٢١ .
 ● موريس ، جورج : ١٥٧ ، ١٥٨ ، ٢٣٠ .
 ● موريس دي فلوري ← فلوري ، موريس .
 ● ميكليث ، مالكولم «موسيو» : ٢٩١ .

— ن —

- ناجي «الشيخ» : ١٧٨ ، ١٧٩ .
 ● نبوية موسى : ٦٣ ، ٩٢ .
 ● نبيلة الدسوقي : ٤ ، ١١ .
 ● نجيب غالي : ١٣٥ .
 ● نصير فريد : ٢١٤ .
 ● نعمة «هانم» : ٧٧ .
 ● نوبار : ٧١ .
 ● نوردون : ٢٥ .

— ه —

- هاباس برتلان ← يرتلان هاباس .
 ● هارفي ، بول : ١٥٦ ، ٢٥٠ .
 ٣٢٥

- محمد يوسف : ٨٣ ، ١٦٦ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٢٦ ، ٢٥١ ، ٣٠١ .
 ● حمدي فتح الله بركات : ٢٠٥ .
 ● محمود إبراهيم الدسوقي : ٢١٤ .
 ● محمود أبو النصر : ٢٣٨ ، ٢٤٧ ، ٢٥٠ .
 ● محمود حلمي : ١٧١ .
 ● محمود رستم : ١٨٨ .
 ● محمود رياض : ١٢٤ .
 ● محمود شكري : ١٦٧ ، ١٧٨ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ٢١٨ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٦ ، ٢٣٨ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ — ٢٥١ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٢٩١ ، ٣١١ .
 ● محمود صدقي : ١٢٤ ، ٢٠١ ، ٢٠٦ — ٢٠٩ ، ٢٣١ ، ٣٠١ ، ٣٠٧ .
 ● محمود صديق : ٢٨٣ .
 ● محمود طاهر : ١٥٧ .
 ● محمود عنایت : ٢٥٥ .
 ● محمود فخري : ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٦ .
 ● محمود فهمي : ٩١ .
 ● محمود محمد : ١٥٨ .
 ● محمود نصرت : ٢٩٤ .
 ● مدحت : ١٤٣ ، ١٨٨ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٩٧ .
 ● مرسى «بك» : ٢٠٢ .
 ● مرقص سمكة : ٢٤٨ .
 ● مرلي «موسيو» : ٢٩٥ ، ٣٠٤ .
 ● مري ، ارشيبالد «مسيو» : ٢٧٣ .
 ● مصطفى «خادم» : ٢١٨ .
 ● مصطفى الباجوري : ١٩٧ .
 ● مصطفى الشوريجي : ٢١٤ .
 ● مصطفى الغاياتي : ٤ ، ١١ .
 ● مصطفى المحلاوي : ١٥٧ .

٢٢٧٤

- هارفى ، جورج : ١٥٧ .
- عاشم الأشمونى : ١٤ .
- هلباوى « بك » ← ابراهيم الهلباوى .
- هينز ، چيمس : ١٤٩ .

— و —

- وليم برنيوت « السير » ← برنيوت ، وليم « سير » .
- ونجت ماريننالد : ٩٤ .
- ويلسون ، وودورو « دكتور » : ١٦٩ .

— ى —

- يحيى إبراهيم : ١٢٧ .
- يعقوب أرتين : ٢٧٥ .
- يعقوب صبرى : ٢١٤ .
- يوسف الخازن « الشيخ » : ١٢٨ .
- يوسف صديق : ٤٩ ، ٩٠ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ .
- يوسف كمال « الأمير » : ٢٠٠ ، ٢٥٤ ، ٢٧٢ .
- يوسف وهبة : ٢١٩ .

٢٢٧٥ — ح —

- حزب الاتحاد والترقى : ١٩٦ .
- حزب الإصلاح : ١٢٨ .
- حزب الأمة : ٢٣٩ .
- الحزب الوطنى : ٧٤ ، ١٥٧ ، ١٧٤ ، ١٨٢ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٩٦ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢٢٤ ، ٢٣٣ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ .
- حزب الوفد : ٢١٥ .

— د —

- دار الحماية : ١٤٤ ، ١٤٦ ، ٢٧٠ .
- دار الكتبخانة : ٢٢٢ .

— س —

- السلطة العسكرية البريطانية : ٢١٣ — ٢١٧ ، ٢١٩ .

— ش —

- شركة التأمين الإنجليزية : ٢٣٢ ، ٢٤٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ .

— ص —

- الصليب الأحمر : ٢٢٦ ، ٢٦٩ .

— ع —

- عصية الأمم : ١٦٩ .

— ل —

- اللجنة الدولية الحربية : ٢٧١ ، ٢٧٤ .

— م —

- مجلس إدارة الجامعة المصرية : ٢٧١ .
- مجلس إدارة القنال : ١٥٤ .

● ٢ — كشاف الهيئات

— ا —

- الأزهر : ٢٤٣ .

— ب —

- بنك الانجلو إيجيپسيان : ٢١٢ .
- البنك الأهلى : ٢٥٩ ، ٢٧٦ .
- بنك الأوربان : ٢٤٢ .
- بنك الرهونات : ٢٢٠ ، ٢٢١ .
- البنك العقارى : ٢٣٤ ، ٢٩٥ ، ٣٠٤ .

— ج —

- الجامعة المصرية : ٢٣٤ .
- جامعة المنوفية : ١٤ .
- الجمعية التشريعية : ٧ ، ٨ ، ٦٢ ، ٨١ ، ٩١ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٧ ، ١٤١ ، ١٤٧ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٦٢ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ٢١٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٦ ، ٢٧٢ ، ٢٨٩ ، ٣٠٣ .
- الجمعية الخيرية الإسلامية : ٩٨ ، ١٦٠ ، ٢٣٢ ، ٢٥٤ .
- جمعية الرابطة الاسلامية : ١٧٩ .
- جمعية العروة الوثقى : ١٢٤ ، ٢١١ ، ٢٧٧ .

- وزارة الأوقاف : ١٢٣ ، ١٣٣ ، ١٣٩ ، ١٤٧ ، ٢٥٠ .
- وزارة الحربية : ١٣٩ ، ٢٧٤ .
- وزارة الحفانية : ٢٨٢ .
- وزارة الخارجية : ١٥١ .
- وزارة الداخلية : ١٤٩ ، ١٥٦ ، ٢١٧ ، ٢٧٧ .
- وزارة الزراعة : ٢٦٩ ، ٢٧٧ .
- وزارة المعارف : ١٠٤ .

- مجلس الأزمهر الأعلى : ٩٩ .
- مجلس الأمن : ١٦٩ .
- المجلس الحسبي : ٨٤ ، ٢٨٠ .
- مجلس الشورى : ١٠٢ .
- المجلس العسكري : ٢٦٢ .
- مجلس الوزراء : ٢٢٨ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ .
- المحاكم الأهلية : ٢٢٠ .
- محكمة الجنج : ٢٢٠ .
- مدرسة الإرشاد الإسلامية : ١١٨ .
- المدرسة الألمانية : ١٠٤ .
- مدرسة الأميركان : ٢٨٦ .
- مدرسة التجارة : ١٧٩ .
- مدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية : ١٧٤ .
- المدرسة الحربية : ٩٢ .
- مدرسة الحقوق : ١١٤ ، ١١٦ ، ١٨٦ ، ١٩٧ ، ٢١٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٨٢ .
- مدرسة الطب : ٢٨٢ .
- مدرسة القضاء : ٩٩ ، ١٠٧ ، ٢٨٢ .
- مدرسة مصطفى كامل : ١٧٤ .
- مدرسة المهندسخانة : ٢٣٨ .
- مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر : ٢ ، ١٤ .
- المعاهد العلمية : ١١٨ .
- معهد الاسكندرية : ١٠٧ .

— ن —

- النيابة العمومية : ٢٢٠ .

— ه —

- الهيئة المصرية العامة للكتاب : ٣ .

— و —

- وزارة الأشغال : ٢٥٨ .

- البحر الأبيض : ١٦٧ . ٢٢٧٧
- بحر الأحكار : ٢٢٧ .
- البحيرة : ٢٥٨ .
- برنديزي : ٢٣ .
- البلقان : ٢٦٩ ، ٢٧١ .
- بنها : ٢٧٣ ، ٢٠٠ .
- بنى سويف : ٢١٦ ، ٢٢١ .
- بور سعيد : ٢٦٩ .
- بولاق الدكرور : ٢٦٥ .
- بولكل : ١٦٥ ، ٢١٧ .

— ت —

- ترعة البشنويطي : ٢٥٣ .
- ترعة الخطاطية : ٢٢٢ .
- ترعة الخنلق : ٢٥٣ .
- تركيا : ٤٨ ، ١٨٧ ، ٢١٣ .
- تفهنا العزب : ٢٧٢ .

— ج —

- جرجا : ١٢٨ ، ٢٩١ .
- الجزائر : ١٤٤ .
- جينيف : ١٤٤ .
- جيزة : ٢١٤ ، ٢١٧ ، ٣٧٢ .

— ح —

- حديقة الأورمان : ٢٧٢ .

— د —

- دائرة سيف الدين : ١٥٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ .
- دائرة كرم : ١٥٠ .
- درب الجمايز : ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٧ .
- الدردنيل : ١٤٥ ، ١٩٤ .
- الدرمان : ٩٠ .
- دسوق : ٢٢٧ . ٢٢٩

● ٣ — كشف البلاد والأماكن

— ١ —

- أثينا : ٢٧٤ .
- الأستانة : ١٦٧ ، ٢٦٣ .
- اسكندرية : ٩ ، ١٩ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٤٦ ، ١٥٠ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٧٦ — ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ٢١١ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٣ ، ٢٢٨ ، ٢٣٤ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٥١ — ٢٥٥ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٣٢ ، ٢٧٣ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ — ٢٩٤ ، ٢٩٨ ، ٣٠١ ، ٣٠٧ .

- اسويط : ١٢٨ .

- الإمام الشافعي : ٣٠٠ .

- المانيا : ١٦٣ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ .

- امريكا : ١٦٩ ، ٢٧٧ .

- انجلترا : ٢٦٣ .

- اوتيل سافواي : ١٧٢ .

- إيتاي البرود : ٢٨٢ .

- إيطاليا : ١٤٥ ، ٢٥٩ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

— ب —

- باب الخلق : ٢١٥ .

- بانسيون دورون : ١٤٤ .

— ع —

- عابدين : ٢٣٥ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٨١ .
- عباس المرسى : ١٧٦ .
- عزبة دسوقي : ٢٦٥ .
- العياط : ٢٧١ .

— غ —

- الغربية : ١٦٢ ، ٢٧٠ ، ٢٨١ .

— ف —

- فرنسا : ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٤٥ ، ٢٦٣ .
- فلسطين : ٢٥٠ .
- فينا : ٢٥ .
- الفيوم : ٢٧٠ .

— ق —

- القاهرة : ٢١٥ ، ١٥٦ ، ١٨٩ ، ١٩٣ ، ٢١٤ ، ٢٦٦ ، ٢٧٢ .
- قرة قول ← قسم .
- قسم عابدين : ٢٣٥ .
- القليوبية : ٢٧٢ .

— ك —

- كارلسباد : ٢٥ ، ٢٦ .
- كازينو الجزيرة : ٢٧٨ .
- كفر المصيلحة : ١٢٨ .
- الكلوب الخديوى : ١٩٧ .
- كلوب محمد على : ١٥٤ ، ٢٦٤ ، ٢٨٣ ، ٢٩٣ .

- كوبرى عباس : ٢١٧ .
- كوبرى قصر النيل : ١٧١ .
- كورفو « جزيرة » : ٢٢ .
- الكويت : ١٦٩ .

- الدقهلية : ١٢٨ ، ١٥٠ ، ١٨١ ، ٢٧١ .
- الدقى : ٢٧٢ .
- الدلتا : ٢٩٠ .
- دمنهور : ٢١٤ ، ٢٥٨ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٧٥ ، ٢٩٩ ، ٣٠٥ .
- دمياط : ١٥٦ .

— ر —

- رأس التين : ١٧٠ ، ١٨١ ، ١٨٥ ، ٢٥٥ .
- روسيا : ١٤٥ ، ٢٨٨ .
- روما : ٢٦٣ .
- رومانيا : ٣١٠ .

— س —

- سالونيك : ٢٧١ ، ٢٧٤ .
- سجن الاستئناف : ٢٠٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ .
- سجن الحضرة بالاسكندرية : ٢١٤ ، ٢١٦ .
- سراى رأس التين : ١٤٦ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٣٩ ، ٢١٧ .
- سراى عابدين : ٨٩ ، ٩٧ ، ١٤٦ ، ١٧٣ .
- السلوم : ١٦٧ ، ٢٧٦ .
- السوازم : ١٥٠ .
- سويسرا : ٢٧٩ .
- السيدة زينب : ١٩٧ .
- سيدى برانى : ٢٧٩ .
- سيدى بشر : ٢١٤ .

— ص —

- صهرجت الصغرى : ٢٩٦ .

— ط —

- طرة : ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٧ .
- طلخا : ٢١٩ .
- طنطا : ٣٠٣ .

٢٢٧٩

- مصر الجديدة : ١٤ .
- المنتزة : ٢٨١ .
- المنصورة : ١٢٤ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٣٣ ، ٢٣٦ ، ٢٤٥ ، ٢٥٠ .
- المنوفية : ١٤٣ ، ٢٦٥ ، ٢٨٦ ، ٣٠٨ .
- المنيا : ٢٨٧ ، ٢٩١ .
- المورة : ١٦٧ .
- ميت بره : ٢٧٧ .

— ه —

- الهند : ٢١٣ .

— ن —

- نيس : ٩٠ .

— و —

- الواحات البحرية : ٢٧٦ .
- الواحات الداخلة : ٢٧٦ .
- واحة سيوة : ٢٧٦ .
- واحة القفارة : ٢٧٦ .

— ل —

- لندن ← لوندريه .
- لوندريه : ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٣٥ ، ١٥٢ ، ٢٢٤ ، ٢٦٩ ، ٢٧٧ .

— م —

- مالطه : ٢١٤ .
- محطة رشدي باشا : ٢١٧ .
- محطة كارلتون : ٢١٧ .
- محطة مصر : ٢٦٥ .
- مرسى مطروح : ٢٧٦ .
- مسجد وصيف : ١٢٤ ، ١٨٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٩ ، ٢١٢ ، ٢٣٤ ، ٢٥٨ ، ٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٢٧٧ — ٢٨٢ ، ٢٨٨ ، ٣٠١ ، ٣٠٦ .
- مصر : ١٩ ، ١٣٨ ، ١٥٤ ، ١٧٠ ، ١٧٦ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢٥ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٤٨ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥ — ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٢٨٧ ، ٢٩٠ — ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠٢ ، ٣٠٧ .

- الحرب الأمريكية : ٣٠٦ .
- حرب البلقان : ٢٦٠ .
- حرب تحرير الكويت : ١٦٩ .
- الحرب العالمية الأولى : ٧ ، ١٥٨ ، ١٧٧ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٧ ، ٢٤٣ ، ٢٧٢ .
- الحرب العالمية الثانية : ١٦٩ .
- الحرب الكورية : ١٦٩ .
- الحماية على مصر « إعلان » : ٢١٣ .
- حملة السنوسي : ٢٧٦ .

— ح —

- خلع عباس حلمي الثاني من الخلافة : ٢١٤ .

— ز —

- زيارة سعد زغلول لاوروبا : ١٧ .

— غ —

- غرق اللورد كشتنر : ٢٨٨ ، ٢٨٩ .

— ق —

- القبض على جورج فيليدوس وحجسه : ١٥٨ .
- القبض على محمد أمين يوسف : ١٢٤ .
- قضية عزيز بحري والكيشارية : ٢٢٠ ، ٢٢٥ .

— ط —

- طرد محمود محمد بك من البوليس المصرى : ١٥٨ .
- طعن إبراهيم فتحى باشا بسكين : ٢٠٣ ، ٢٣٥ .

— م —

- مسألة إسماعيل صدقى : ١٢٧ .

● ٤ — كشف الحوادث

— ١ —

- الإعتداء على إبراهيم فتحى باشا بالسكين : ١٢٤ ، ١٩١ ، ٢١٣ .
- الإعتداء على السلطان حسين كامل : ١٢٤ ، ٢٣٤ .
- اعتقال سعد زغلول : ٢١٤ ، ٢١٥ .
- إعلان الاحكام العرفية على مصر : ٢١٣ ، ٢١٨ ، ٢١٩ .
- اغتيال السيرى ستاك : ٢٥٥ .
- إلقاء قنبلة على عربة السلطان : ١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٧٩ .
- الإنعام على سعد زغلول برتبة الإمتياز : ١٢٤ .

— ج —

- جنازة بهية هانم : ٢٩٧ .
- جنازة يعقوب أرتين : ٢٩٢ .

— ح —

- حادثة المكبات : ٢٤١ .
- حبس اسماء زوجة جورج فيليدوس : ١٥٨ .

٢٢٨١

— ج —

- الجريدة : ٤٥ .
- جورنال دى كير : ١٧٧ ، ٢١٨ .
- الشعب : ٢١٤ .

— ط —

- الطان : ٤٢ .

— ف —

- الفيجارو : ٤٢ .

— ل —

- لوفار دالكساندرى : ٤٤ .
- ليحييت : ٤٥ .

— م —

- الماتان : ٤٢ .
- المقتطف : ٢٨٦ .
- المقطم : ٣٦ .

— ن —

- النوفيل : ٢٢٣ .

- مسألة حسين محرم : ١٤٧ .
- معركة أجاجية : ٢٧٦ .
- مقابلة سعد زغلول للسلطان : ٦٣ .
- مؤامرة لقتل كشنر : ١٥٧ .
- مؤامرة لقتل محمد سعيد : ١٥٧ .
- مؤامرة المنصورة : ١٢٤ .
- المؤتمر الإسلامى : ٢٦٩ .

— و —

- وفاة الأميرة خديجة «هانم» : ١٧٠ .
- وفاة بهجت شقيق صدقى بك : ٢٦٠ .
- وفاة السيدة توفيق (حرم عبد الرحيم صبرى) : ٢٦٤ .
- وفاة محمود رياض باشا : ١٦٦ .
- وقوع سعد زغلول من القطار : ٢٩٩ .

● ه — الدوريات

— ا —

- الأهرام : ١٥٢ ، ٢١٢ ، ٢١٨ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٣٠٩ .

— ت —

- التيمس : ٢٦٨ .

۲۲۸۲

من أهم أعمال المحقق

- ١ - تطور الحركة الوطنية في مصر (١٩١٨ - ١٩٣٦) (القاهرة : دار الكاتب العربي ١٩٦٨) .
- ٢ - تطور الحركة الوطنية في مصر (١٩٣٧ - ١٩٤٨) - مجلدان . (بيروت : دار الوطن العربي ١٩٧٣) .
- ٣ - الصراع الاجتماعي والسياسي في مصر، من ثورة يوليو الى أزمة مارس ١٩٥٤ . (القاهرة : مكتبة مديبولي ١٩٧٥) .
- ٤ - عبد الناصر وأزمة مارس . (القاهرة : دار روز اليوسف ١٩٧٦) .
- ٥ - الجيش المصري في السياسة (١٨٨٢ - ١٩٣٦) . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧) .

- ٦ - صراع الطبقات في مصر (١٨٣٧ - ١٩٥٢) .
(بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٨) .
- ٧ - الصراع بين الوفد والعرش (١٩٣٦ - ١٩٣٩) .
(بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٩) .
- ٨ - الفكر الثورى في مصر ، قبل ثورة ٢٣ يوليو .
(القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨١) .
- ٩ - المواجهة المصرية الاسرائيلية في البحر الأحمر (١٩٤٩ - ١٩٧٩) .
(القاهرة : دار روز اليوسف ١٩٨٢) .
- ١٠ - الاخوان المسلمون والتنظيم السرى .
(القاهرة : دار روز اليوسف يناير ١٩٨٣) .
- ١١ - الصراع بين العرب وأوربا ، من ظهور الاسلام الى انتهاء الحروب الصليبية .
(القاهرة : دار المعارف ١٩٨٣) .
- ١٢ - حرب أكتوبر في محكمة التاريخ .
(القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨٤) .
- ١٣ - مذكرات السياسيين والزعماء في مصر .
(القاهرة : دار الوطن العربى ١٩٨٤) .
- ١٤ - تحطيم الآلهة ، حرب يونيو ١٩٦٧ . (جزءان)
(القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨٤) .
- ١٥ - الغزوة الاستعمارية للعالم العربى ، وحركات المقاومة .
(القاهرة : دار المعارف ١٩٨٤) .
- ١٦ - مصر في عصر السعادات .
(القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨٦) .
- ١٧ - مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الأول (القاهرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧) .

- ١٨ - مصطفى كامل في محكمة التاريخ ، (القاهرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب - سلسلة تاريخ المصريين رقم ١ سنة ١٩٨٧) .
- ١٩ - أكذوبة الاستعمار المصرى للسودان (القاهرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة تاريخ المصريين رقم ١٣ سنة ١٩٨٨) .
- ٢٠ - مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الثانى (القاهرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨) .
- ٢١ - مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الثالث (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩) .
- ٢٢ - مصر في عصر السادات (القاهرة: مكتبة مدبولى ١٩٨٩)
- ٢٣ - مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الرابع (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠) .
- ٢٤ - الاجتياح العراقى للكويت فى الميزان التاريخى (القاهرة : الزهراء ١٩٩٠)
- ٢٥ - حرب الخليج فى محكمة التاريخ (القاهرة : الزهراء - ١٩٩٠)
- ٢٦ - العلاقات المصرية الاسرائيلية ١٩٤٨ - ١٩٧٩ (القاهرة - سلسلة تاريخ المصريين ٤٩ سنة ١٩٩١) .

مع آخرين :

- ١ - مصر والحرب العالمية الثانية ، مع الدكتور جمال الدين المسدى والدكتور يونان لبيب رزق
(القاهرة : مؤسسة الأهرام ١٩٧٨) .

٢ - تاريخ أوروبا في عصر الرأسمالية ، مع د . يونان لبيب رزق و د .
رءوف عباس

(القاهرة : دار الثقافة العربية ١٩٨٢) .

٣ - تاريخ أوروبا في عصر الامبريالية ، مع د . يونان لبيب رزق و د .
رءوف عباس .

(القاهرة : دار الثقافة العربية ١٩٨٢) .

كتب مترجمة :

١ - تاريخ النهب الاستعماري لمصر (١٧٩٨ - ١٨٨٢) تأليف جون
مارلو .

(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦) .

الفهرست

صفحة

- المقدمة ٧
- الكراسة الرابعة والعشرون «الجزء الأول» ١٥
- المحتويات :
* زيارة سعد زغلول لأوروبا في يونيه - سبتمبر ١٩٠٨
- الكراسة السادسة والعشرون «الجزء الأول» ٥١
- المحتويات :
* ديون سعد بسبب بلعبه القمار
- الكراسة الخامسة والعشرون ٥٩

المحتويات :

- مقابلة سعد زغلول للسلطان حسين كامل يوم ٨ مارس ١٩١٥ ، وشكوى السلطان من تلاميذة الحقوق والمعلمين الخديوية ، واستعطاف سعد له من أجلهم .
- السلطان حسين يذكر لسعد زغلول أنه استبقى دنلوب بعد موقف التلاميذ منه .
- السلطان حسين يبدى رأيه فى اختصاصات الجمعية التشريعية ويستبعد منها الأوقاف والمحاكم الشرعية والمجالس الحسبية وسعد يدافع عن الجمعية .
- سعد يرى أن السلطان عاجز عن فعل الخير لأتمته منذ توليه السلطة .
- تعديلات رشدى باشا على القانون النظامى بخصوص الجمعية التشريعية واعتراضات سعد زغلول عليها ومهاجمته الوزارة .
- إثارة فكرة تعيين سعد زغلول وزيرا لأول مرة . ورد فعل سعد عليها .
- موقف سعد زغلول من حادثة مدرسة الحقوق ، وتدخله لدى رشدى باشا للعفو عن الطلبة .
- رأى سعد زغلول فى سياسة السلطان حسين ، وكيف أدت إلى استخفاف الناس به .
- فكرة عقد الحكومة المصرية قرضا أثناء الحرب ، واعتراض سعد عليها .
- عدول الحكومة عن استدعاء الجمعية التشريعية للانعقاد .
- سعد زغلول يعترض على نفى المواطنين المعارضين للحلفاء بأمر السلطة العسكرية البريطانية .
- عفو السلطان حسين عن تلامذة الحقوق باستثناء سبعة عشر ، ودفاع سعد زغلول عن هؤلاء الطلبة .
- مذكرة رشدى باشا للوكالة البريطانية برأى الحكومة فى مستقبل النظام السياسى فى مصر بعد الحماية "بخصوص شكل الدولة ، وعلاقتها بانجلترا ، واختصاصات الجمعية التشريعية ، واعتراض سعد زغلول على المذكرة ، وتنديده بالسلطان والوزارة .
- استياء السلطان حسين من كتاب اللورد كرومر عن عباس الثانى .
- ترويج الجرائد لفكرة تأجيل انعقاد الجمعية التشريعية .
- مقابلة سعد زغلول للسلطان يوم ١٧ مارس ، وحديث السلطان عن الحملة التركية على مصر ، وقصائد الهجاء ضده ، وأحوال الأوقاف الخصوصية ، وصعوبة موقفه .
- حديث رشدى باشا مع سعد زغلول عن مؤامرات محمد سعيد باشا لدى السلطة

- العسكرية ، وطعنه على مظلوم باشا رئيس الجمعية التشريعية .
- مكماهون يرفض الانتقال إلى السلطان حسين في قصر عابدين ، ويطلب منه الانتقال إليه في دار الحماية . وغضب السلطان حسين لهذا الطلب .
- الخلاف بين السلطان حسين ومكماهون حول حفل تسليم نيشان ملك الانجليز اليه .
- معارضة سلطة الحماية في العفو عن شقيق مصطفى كامل .
- سعد زغلول يرى أن السلطان ووزراءه بعد الحماية أصبحوا يستمدون سلطتهم من الحماية .
- مقابلة سعد زغلول للسلطان حسين يوم ٢٣ مارس ١٩١٥ ، وحديث السلطان معه حول اتصالات الخديوى عباس حلمى بألمانيا وتسريه رسوم الاستحكامات بجبهة القتال . وأسرار الحملة التركية على مصر ، وقطع السلطة البريطانية الموارد المالية عن الخديوى السابق .
- رفض سعد زغلول خضوع التعليم الدينى للجمعية التشريعية .
- استياء السلطان حسين كامل من إدارة الأزهر .
- اعجاب السلطان حسين بنبوية موسى ورغبته في تعيينها في الحرم السلطانى .
- مقابلة السلطان حسين لسعد باشا يوم ١٣ أبريل ١٩١٥ لاستطلاع رأيه في إنشاء معهد دينى للتعليم الابتدائى في عاصمة كل مديرية .
- شكوى السلطان حسين من فساد محمد سعيد باشا رئيس دائرة سيف الدين ، واعرابه عن عدم ثقته بإسماعيل صدقى باشا وزير الأوقاف .
- حادث اطلاق النار على السلطان حسين يوم ٨ أبريل ١٩١٥ ، ووقع الحادث عند الشعب .
- اجتماع مجلس إدارة الجمعية الخيرية الإسلامية .
- رغبة السلطان حسين في ترجمة العلوم المختلفة إلى اللغة العربية ، وتعميم التعليم باللغة العربية .
- مقابلة سعد زغلول مع مكماهون يوم الاثنين ١٢ أبريل ١٩١٥ ، وشكواه له من أن «نوم الجمعية التشريعية طال وثقل» ، ودفاعه عن الجمعية التشريعية ووجوب انعقادها ، وطلبه توسيع اختصاصها .
- استياء السلطان حسين لرفض ابنه الأمير كمال الدين حسين وراثته العرش من بعده .
- مقابلة سعد زغلول للسلطان حسين يوم ٢٠ أبريل ١٩١٥ .
- تقديم حسين رشدى باشا استعفائه من رئاسة الجامعة المصرية .
- مشكلة وراثته العرش بعد رفض البرنس كمال الدين حسين العرش ، واعتراض

- سعد زغلول على ترشيح الأمير أحمد فؤاد سلطانا على مصر .
- سعد يقترح أن تنتخب الجمعية التشريعية من عائلة محمد علي من يخلف السلطان حسين على العرش .
- رغبة السلطان حسين في العفو عن من اعتدى عليه ، ورفض السلطة العسكرية .
- اجتماع مجلس إدارة الجمعية الخيرية الإسلامية للنظر في مسألة التعليم .
- اعتراض سعد زغلول على سياسة وزارة المعارف في إلغاء البعثات ، والمعارضة في ترجمة الكتب الدارسية ، وعدم تعيين الوطنيين في مدرسة الحقوق .
- مقابلة سعد زغلول السلطان حسين كامل يوم ٢٨ أبريل ١٩١٥ ، وتديد السلطان بالمدرسة الحربية ونظامها ، وتحذير سعد زغلول من إعلان هذا الرأي .
- طعن السلطان حسين على قلفي فهمي باشا لأنه يريد أن يجعل للأقباط وجوداً مستقلاً عن المسلمين .
- مهاجمة السلطان حسين للشيخ رشيد رضا .

● الكراسة الرابعة والعشرون «الجزء الثاني» ١٢١

المحتويات :

- أحلام سعد زغلول .
- استقالة اسماعيل صدقي باشا من وزارة الأوقاف .
- ترشيح سعد زغلول لوزارة الأوقاف .
- اهتمام سعد زغلول بتعيينه وزيراً للأوقاف ، وعاسبته لنفسه على هذا الضعف .
- معارضة اللورد كتشنر في تعيين سعد زغلول وزيراً للأوقاف .
- مقابلة سعد زغلول مع مكماهون يوم ٢٢ مايو ١٩١٥ .
- زيارة حسين محرم باشا لسعد زغلول .
- حديث ستورز ، السكرتير الشرقي ، مع سعد زغلول يوم ٢٤ مايو ١٩١٥ ، وأسرار خصومة كتشنر لسعد زغلول .
- القبض على محمد أمين يوسف ، والد مصطفى وعلى أمين .
- الإنعام على سعد زغلول برتبة الامتياز التي تفوقه حق حمل لقب «صاحب معالي» .
- وفاة محمود رياض باشا .
- اقتراح سعد زغلول انشاء عصبة أمم في ٣٠ يونيو ١٩١٥ .
- الاعتداء على حياة السلطان حسين كامل في ١١ يوليو ١٩١٥ في الاسكندرية .
- حملة اضطهاد ضد الوطنيين .
- سعد زغلول يتحدث عن ميل مفاجيء للنساء .

- مؤامرة المنصورة .
- مقابلة سعد زغلول مع السلطان حسين كامل للدفاع عن الحريات .
- سخط سعد زغلول على الإرهاب الذي تمارسه الحكومة ، ونقده لها ، وتدخله للإفراج عن الأبرياء .
- غضب السلطان على سعد زغلول لدفاعه عن المعتقلين والسعى في الإفراج عن عبد اللطيف المكباتي .
- الاعتداء على إبراهيم فتحى باشا ، وزير الأوقاف ، يوم ٤ سبتمبر ١٩١٥ .
- مهاجمة سعد زغلول للحكم العرفي .
- بناء منزل مسجد وصيف .
- خلاف سعد زغلول مع عديله محمود صدقي باشا .
- فساد جمعية العروة الوثقى التي يرأسها محمد سعيد باشا .
- قضية عزيز بحرى والكيشارية .
- القطيعة بين السلطان حسين وسعد زغلول .
- الكراسة السادسة والعشرون «الجزء الثانى» ٢٣١

المحتويات :

- رواية سعد زغلول عن أسباب غضب السلطان حسين كامل عليه .
- نفى سعد زغلول فكرة دخوله الحزب الوطنى .
- قرار سعد زغلول بعدم استرضاء السلطان ، مع قبوله بمخاطر هذا القرار .
- عرض شركة التأمين الإنجليزية على سعد زغلول تعيينه رئيسا لمجلس إدارة فرعها في مصر .
- اعدام على صالح عبد اللطيف ، المعتدى على إبراهيم فتحى باشا .
- اعتراف فيليبيدوس بتلفيق مؤامرة المنصورة .
- خلاف في مجلس إدارة الجمعية الخيرية الإسلامية حول فصل محمد نجيب الهلباوى المدرس بمدرستها ، والمتهم في قضية الاعتداء على حياة السلطان حسين كامل يوم ٩ يولية ١٩١٥ .
- تنكر أحمد لطفى السيد لمبادئه الأولى .
- توسط عدلى باشا للمصالحة بين السلطان حسين كامل وسعد زغلول .
- مقابلة سعد زغلول للسلطان حسين كامل وتصفيية الخلاف .
- الاكتتاب لجرحى الحرب البريطانيين ، واستياء السلطان لتهافت الناس عليه .
- اقامة سعد زغلول في عزبة مسجد وصيف .
- انتخاب سعد زغلول عضوا في مجلس ادارة الجامعة المصرية .

- هجوم السنوسى على مصر .
- عودة سعد زغلول إلى لعب الورق وبداية محنة جديدة من يناير ١٩١٦ إلى أغسطس ١٩١٦ .
- غرق اللورد كتشنر وأصداء ذلك في الشعب المصرى .
- تفكير سعد فى الاقتراض من السلطان والبنك العقارى .
- تفكير سعد فى التعيين مستشارا بوزارة الأوقاف خلفا لحسن صبرى .
- انتقال سعد زغلول إلى مسجد وصيف من ٧ أبريل ١٩١٦ إلى ٦ أكتوبر ١٩١٦ .
- مشكلة لجنة بورصة الاسكندرية .
- انتهاء خدمة جراهام ، مستشار الداخلية ، ورفض سعد زغلول حضور الاحتفال بتوديعه .

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ٤٨٠٧/١٩٩٢

ISBN - 977 - 01 - 3065 - 6

[illegible]